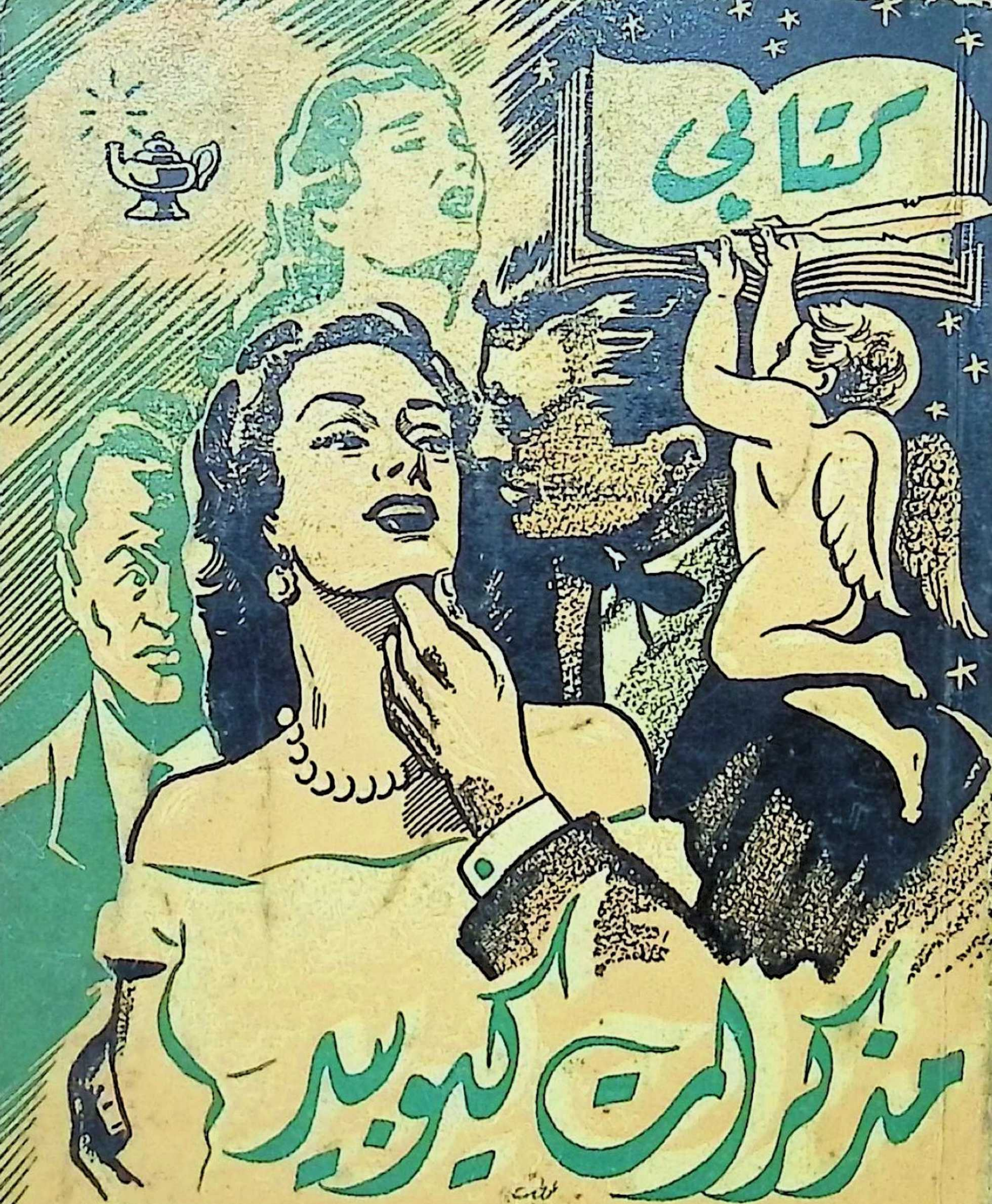




۸ کتب و کتب آخری حامی مراد

۸ قروش

منزلت کبیر

وکتب آخری

كتب للبحر

الناشر « كتب للجميع »	عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية)
الناشر « البلاغ »	اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومآساته)
الناشر « روايات الهلال »	قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج
الناشر « روايات الهلال »	انا كارنينا لتولستوى
الناشر « روايات الهلال »	رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن
الناشر « روايات الهلال »	ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز
الناشر « روايات الهلال »	ابنة البخيل (أوجيني جرانديه) لبلازاك
الناشر « كتاب الهلال »	الذئب الاغبر (مصطفى كمال)
مارس سنة ١٩٥٢	« كتابى » الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى
ابريل سنة ١٩٥٢	« كتابى » الثانى : « قلب عذراء » وكتب اخرى
مايو سنة ١٩٥٢	« كتابى » الثالث : « الهاربة من الجنة » وكتب اخرى
يونيو سنة ١٩٥٢	« كتابى » الرابع : « حواء الجديدة » وكتب اخرى
يوليو سنة ١٩٥٢	« كتابى » الخامس : « احبب نوتردام » وكتب اخرى
اغسطس سنة ١٩٥٢	« كتابى » السادس : « جريمة حب » وكتب اخرى
سبتمبر سنة ١٩٥٢	« كتابى » السابع : « عشيقة نابليون » وكتب اخرى

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

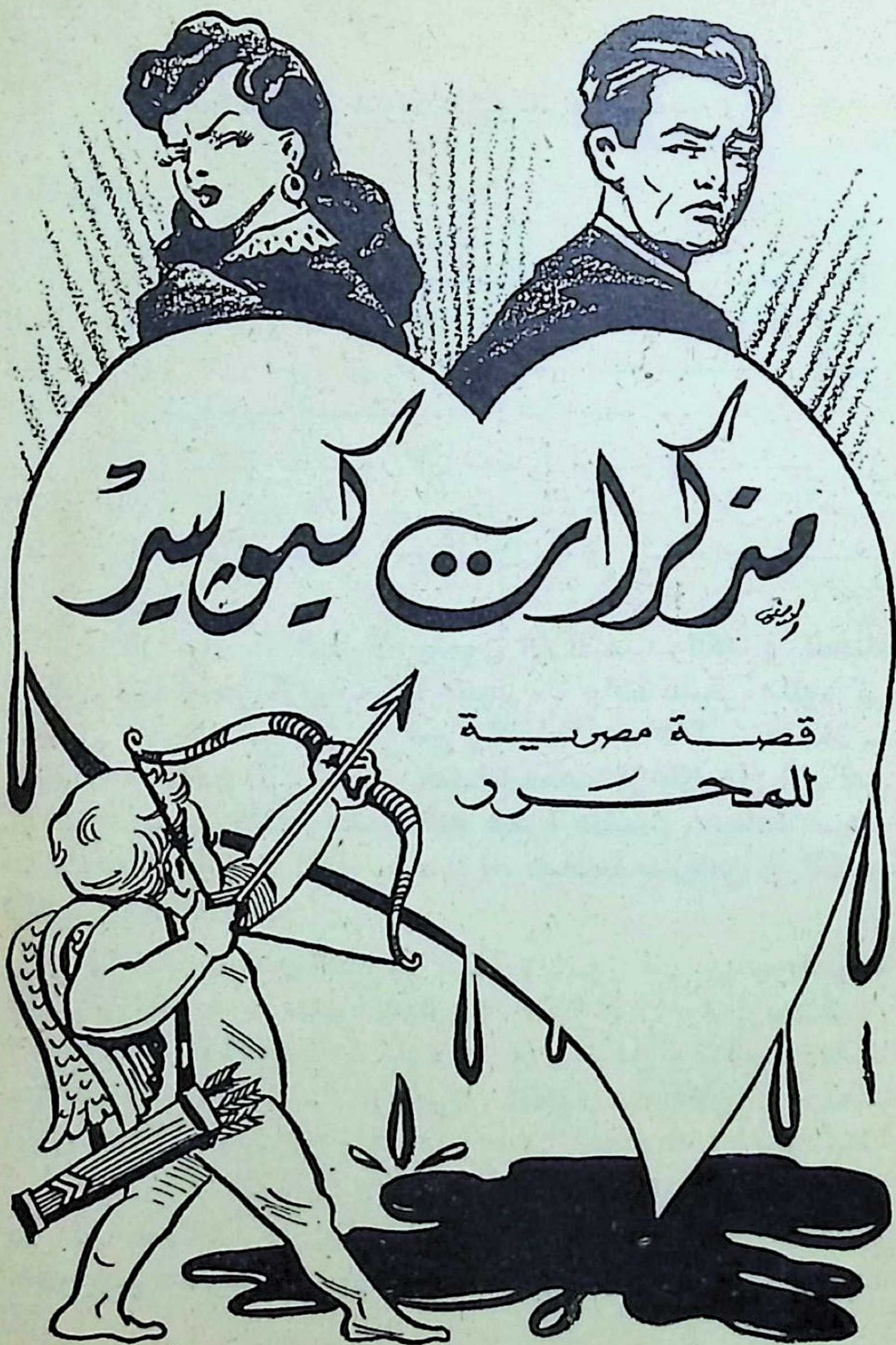
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتب : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة - تليفون ٦٥٦٠٨
الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان : ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان :
١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن : ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الثامن - اكتوبر ١٩٥٢

رمز الكتاب :  مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية



منزل العبيد

قصة مصرية
للمحاضر

(صفحات من مذكرات « كيوبيد » آله الحب)

٣٠ نوفمبر

فكرت ان اقضى فترة من الشتاء فى الاقصر . . . سأسافر اليها بالقطار ، فانى لا احب الطائرات . انها تصل الى غايتها سريعا ، قبل ان تتاح لى فرصة تمهيد الجو المناسب لايقاع الركاب فى شراكى ، وتسهيل التعارف بينهم . . !

واكثر البشر يحسبون ان مهمتى سهلة ، وانه ليس على الا ان اختار كلا من هدفى - الرجل والمرأة - وارمى كلاهما بسهمى ، فتم المعجزة : يقع كل فى هوى صاحبه ، بسحر ساحر !

يا للاغبياء . . انهم لا يعلمون ان التعب والكد فى الحياة فرض عاينا ، نحن الآلهة ، كما عليهم . . واتنا نشقى مثلهم كي نحصل على النتائج التى ترضى رؤساءنا . . فانا - مثلا - مطالب بأن اقدم كل شهر حسابا مفصلا بالارقام الى امى - افروديت - فاذا وجدت فيه عجزا عاقبتنى بزيادة عدد ((القلوب البشرية)) المطلوب منى اصطيادها بسهامى فى الشهر التالى ، وهكذا . . !

واحيانا يحتدم النزاع بيننا وتثور امى فى وجهى ، فتذكرنى بقصة ما تدعوه « عارى » الاكبر . . يوم ارسلتنى لايقاع الحورية الفاتنة « سايك » فى هوى رجل وضيع ، انتقاما منها - لتنافس بينهما على عرش الجمال - فكان ان وقعت انا فى هوى « سايك » ، وافسدت بذلك انتقام امى افروديت !

لكننى انا بدورى لا اترك فرصة الا واذكر امى بعارها هى . . يوم اثار حسننها الباهر غيرة عجائز الالهة فى جبل « الاوليمب » فاوغرن عليها صدر كبيرهن « زيوس » حتى اغرينه

بان يصدر عليها حكمه الصارم بان تصير زوجة للحداد ذى
 الحاجبين الغزيرين « فولكان » ، اقبح الالهة شكلا واكلهم شأنا .
 فى الوقت الذى كان فيه قلبها قد تعلق بآله الحرب الجبار
 « مارس » ، فما كان منها الا ان تحدث حكم الزعيم زيوس
 وصارت تلتقى بعشيقها كل ليلة تحت جناح الظلام ، ثم يفترقان
 قبل مطلع النهار ، قبل ان تفتح « اورورا » الالهة الفجر بوابتها
 ليمر موكب « ابوللو » ، آله الشمس ، فى عربته الذهبية ! ورغم
 ان مارس قد عين حارسا خاصا مهمته ان ينذرهما عند اقتراب
 موكب آله الشمس ، تجنبنا لوقوع بصره عليهما ، فان الحارس
 أغفى ذات ليلة . . فوقع المحذور ! ورأى ابوللو العاشقين فى
 خلوتهما المحرمة ، فسارع بنقل النبأ الى الزوج المخدوع « فولكان » ،
 الذى هاج وماج والقى عليهما شبكة ضخمة من سلاسل الصلب
 ثم تركهما هكذا « فى القفص » حتى تفرج عليهما الالهة جميعا
 وضحكوا ساخرين ، وعندئذ اطلق سراحهما شامتا . .

و كنت انا ثمرة هذا العشق الحرام !

**ولم اكداشب عن الطوق حتى سلمتنى امى قوسا وجعبة
 مملوءة بالسهم ، وعهدت الى بمهمنى الخالدة الشاقة : ان ابذر
 الحب فى قلوب البشر !**

ويا لها من مهمة ! . . ان اسلحتى ليست سحرية كما
 يخيل للبعض ، بل انها تخيب اذا لم احسن التمهيد والاختيار
 . . ولكى اطعن فى الصميم يجب ان اكون سريع الخاطر نهازا
 للفرص ، ويجب ان امهد الامر بدراسة طبائع الاشخاص الذين
 توقعهم الصدفة فى طريقى ، فاشحذ حواسى كلها كي اسمع
 وارى وارقب عن كذب . . حتى اعثر على ضالتي وأقف على
 موطن ضعفها فأصميتها بسهمى النافذ !

وولى اذا اصطدم السهم بقلب حجرى ، فانكسر . .
 يومئذ يكون حسابى مع امى عسيرا . . وعقابى مريرا !

٢٣ ديسمبر

اف .. متى ينقضى هذا الشتاء الثقيل ؟ .. ان زمهريره يقتل براعم الحب التى ابذرها فى القلوب ، فتجف قبل ان تتفتح ! والناس فى هذا الفصل تتبدل مشاعرهم فلا يغدو لهم هم غير ان يتدثروا بثياب ثقيلة ويلوذوا ببيوتهم ، ليقرأوا كتابا او يناموا مبكرين ! .. الشوارع مقفرة ، والحدائق مهجورة ، والسهرات قليلة ، والزيارات نادرة . فكيف اعمل برغم كل هذه القيود ، واين التقى بالناس فى جو يناسب اغراضى ومهمتى ؟
 ان حسابى الختامى قد تدهور فى الشهر المنصرم ، وقائمة جرحاى قد هبطت الى النصف .. !
 لامفر من السفر الى جهة اكثر دفئا ، يفسح فيها أمامى المجال ..
 الا قصر هى ضالتى !

٢٦ ديسمبر

حزمت اليوم امتعتى وركبت القطار الى .. الا قصر !
 وعندما حان وقت العشاء تسللت الى عربة الاكل ..
 كانت مزدحمة بالطاعمين ، من الجنسين ، فأجلت فيهم عيني الفاحصة ، حتى وقعت على شاب وحيد منطو على نفسه فى ركن العربة ، يختم عشاءه بقدرح من القهوة .. وقد بسط امامه على المنضدة الصغيرة كتابا وجعل يقرأ ، فى هدوء واستغراق ، دون ان يجيل بصره فى وجوه المسافرين او .. المسافرين !
 فكرت ان ابحت له عن انيسة تبدد وحشته ، فانا لا احب ان ارى الشباب بلا رفيق ، واكره له العزلة والانطواء ..
 والحرمان ! انها تفرس فيه بذور الخمول واليأس والعجز عن مواجهة الحياة ..

ووقع بصرى فى الركن المواجه له على زوجين : امرأة ورجل .. شابة وكهل .. حسناء ومسوخ ، فرثيت لحالها معه . انا لا انكر على الشيخ حقه فى ان يستمتع بالشباب الساحر .. لكنى لا أرى بأسا فى ان يكون له فى امرأته شريك ! ومن واجبه ان يوطن نفسه على ذلك من البداية ، ان كان فطنا ! واستخفنتنى الفرحة حين لمحت امام المرأة على المنضدة كتابا ! .. اذن فهى والشباب شريكان فى ميل واحد ، والتفاهم بينهما لن يكون عسيرا .. سوف يجدان فى محتويات كتابيهما مادة لا تنفد للاحاديث ، التى هى مفتاح كل شىء !

وبغير ان يلحظنى احد اخرجت من جعبتى سهمين ، وشددت قوسى ، ورميت كليهما بسهم .. فرفعت وخزة النصل بصريهما عن الكتابين ، والتقت نظراتهما فى الحال ! وحين طالت النظرة ، وشاركها الفم بابتسامة خفيفة ، ادركت ان سهامى قد اصابت منهما القلب ! .. فآثرت ان انصرف الى مخدعى ، مطمئنا .. فمتى تعلق القلب لم يعد العقل حيلة ، واللسان وسيلة .. للتعارف ! غدا .. اعرف النتيجة !

منتصف الليل

بعد ان غادرت عربة الطعام سرت فى ممر عربة النوم ابحت لنفسى عن مخدع مناسب ، اقضى فيه ليلتى ..

وخطر لى ان اجرب حظى فادخل مثلا خامس مخدع الى اليمين ، قبل ان اتعرف الى شاغليه !

وخدمتنى المصادفة ، فوجدت فى المخدع .. آية من آيات الجمال ، لعلها تفوق فى جمالها امى ! وبعد ان اختبأت فى ركن ، اوصدت الفتاة الباب وشرعت تبدل ثيابها .. فوقع بصرى على جسد مرمرى فاتن ، سرعان ما انسدل عليه قميص فاخر من

«الساتان» الابيض ادركت فوراً انه قميص عروس ، ترتديه
لاول مرة !

اذن فهي في طريقها لتقضى في الاقصر شهر العسل ..
ما اسعدها !

ولكن قبل ان افرغ من هذا الخاطر رفعت بصرى من
جسمها الى وجهها ، فاذا في عينيها شرود حزين ، واطياف
دموع ! .. ولمحتها تتناول من داخل صدرها ورقة صغيرة
مطوية ، ثم تنشرها بين اناملها وتقرأ سطورها بشفتين راعشتين !

واستبد بي فضول قوى الى الوقوف على سرها ..
فوثبت فوق كتفيها ، وشرعت اقرأ معها : كانت السطور تحوى
رسالة تفرط القلب من حبيبها الذى قهرتها الظروف القاسية
على الزواج من غيره .. يواسيها فيها ويناشدها الصبر ،
ويتمنى لها الهناء والسلوان ، بعبارات باكية دامية !

تساقطت دموع العروس على الورقة ، فطمست بعض
سطورها .. ثم كأنما تنبهت الفتاة لنفسها فمسحت اهدابها
وخديها بمنديل مطرز ، وأخفت الورقة في حقيبتها .. ثم
رسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة وفتحت الباب ...
فدخل منه ، يتعثر في خطاه ، رجل في ثياب النوم ، اقرب الى
الشباب منه الى الكهولة ، يبدو على محياه النبل الاصيل والخلق
الكريم

.. اقترب منها ، لكنها اشاحت عنه ، بحركة مهذبة ..
ودلفت الى فراشها ، وتدفرت بغطائها .. فمشى هو في هدوء
الصابر الى المشجب فخلع عليه «الروب» وصعد الى الفراش
العلوى .. وحين استوى فوقه وسحب الغطاء على جسمه
اطلق تنهدة مكتومة ، بلا صوت .. ثم اطفأ النور !

ادركت موقف العروسين ، فرق قلبى للزوج النبيل ،
الذى لم يجن ذنباً .. والذى جهل كل شيء عن غرام عروسه

السابق ! .. ورق في الوقت نفسه قلبى على الفتاة التعسة التى ارغمتها الظروف الظالمة - التى تدعى اسرتها ، والمجتمع - على الزواج من رجل غير الذى تحبه ! .. فصممت ان افعل شيئاً لاسعاد الضحيتين اللتين اوقعتهما المصادفة في طريقى .. ولبثت اترقب الفرصة المناسبة

وطال انتظارى ساعات ... واخيرا شعرت بالعروس تتقلب في فراشها الاسفل ، وتتأوه برغمها ، كانها تشكو من مفص ! .. وللحال اضيء النور ووثب الزوج على قدميه الى جوارها ، يسألها عما بها والحنان يبلل صوته ، ويفيض من عينيه ..

فوجدت في ذلك فرصتى ، فشددت قوسى ورميت العروس بسهم .. ومن فورها لانت نظراتها وهى تتناول من يده كأس «الكونياك» وتشكره بكلمة رقيقة .. وبعد دقائق تركتهما متعانقين !
ما اسعدنى بهذه النتيجة .. انها كفيلة بأن تمحو الف سيئة وسيئة من سيئاتى !

٢٧ ديسمبر

لم اكد اظاً بقدمى ارض «الاقصر» حتى ذكرتنى آثار اجدادنا بنصر من اروع انتصاراتى القديمة واعظم امجادى الخالدة على الزمن : غرام كليوباترة ومارك انطونى . لقد كنت انا خالقه .. فأين منه غرام هذه الايام ، الذى يغلب عليه طابع العصر : السرعة ، والتقلب ، وعبادة المادة !؟

المادة هى اليوم عدوى الاول والاكبر .. هى التى تبذر في قلوب شباب هذا الجيل بذور الكفران بى ، والتحدى لى .. حتى لم يعد يخضع لسلطانى اليوم عشر معشار من يخضعون لسلطان المنفعة واغراء المال .. صار الفتى يبحث عن الزوجة

الغنية، والفتاة تزن اقدار طلابها حسب أفضلية طراز ((العربية))!
وكم انكسرت منى سهام في قلوب رجال ونساء فضلوا
زواج المصلحة، والنسب الذي يقود الى الترقية، او الارث،
او المجد .. على زواج الحب، المبني على وفاق الارواح
والاجساد؟!

انها حرب قاسية بينى وبين المادة ...
لكننى سأنتصر!

وحسبى مشجعاً على الكفاح ان اذكر الملك الامبراطور
الذى تنازل عن عرشه كي يحتفظ بالمرأة التى احب ... ولم
يندم حتى الآن!
انه داعيتى الاكبر!

٢٨ ديسمبر

خرجت فى الضحى الى «الاقصر القديمة» متنكراً، خشية
ان يرجمنى احفاد الفراعنة بالاحجار .. فقد انبأنى احدهم
بانهم يكرهوننى، وانهم قد تنكروا لتقاليد جدتهم الملكة العاشقة
.. لكننى عدت من جولتى مقتنعا بخطأ صاحبى وسطحية
نظرته . كل ما فى الامر ان الاقصريين المحافظين - كأكثر اهل
الصعيد - ينكروننى فى العلن .. اما فى السر فهم من اتباعى
المخلصين، شأنهم فى هذا الرياء الاجتماعى شأن القاهريين فى القرن
الماضى، قبل ان يرفع عن وجوه نسائهم الحجاب، وعن قلوبهم
النقاب .. حين كانت «مشرقيات» الدور المحافظة تنوء بما
تكنم وتصون من اسرار وفضائح جريحتى وجرحاى! .. اليوم
أيضا تعرفت فى الاقصر القديمة على عدد من تابعاتى المخلصات،
بعد ان كادت ثيابهن المحتشمة ووقارهن الصارم تخدعننى عن
حقيقتهن!

بل ان دلىلى قادنى فى ختام جولتى الى حيث ارانى صرحاً

ضحما من صروحي ، قل في القاهرة ذاتها نظيره ، هو قصر
منيف شادته قصة حب جارف بين نبيلة اجنبية وشاب
اقصري !

وقبل ان اترك الاقصر القديمة الى الجديدة - التي هي
قطعة من طنطا او اسيوط - لذل لي ان اترك ورائي اثرا .. لمحت
في احد دكاكين العاديات المتناثرة خلف معبد الاقصر ، عملاقا
اسمر ، في سمرة وفتوة اجداده الفراعين ، يرتدى جلبابا انيقا
هفهافا من «السكروتة» فوقه سترة من الصوف ، وقد ربض
خلف «فترينة» مليئة بالتحف الثمينة و«الجعارين» الاثرية
الخضراء .. وفي يده «منشة» من الشعر ذات مقبض من العاج
المنحوت على هيئة رأس نفرتيتي الجميلة

ومرت ((سائحة)) مصرية من حسان الاسكندرية ،
فتوقفت عنده تسأله ان يريها ما عنده لتنتقي هدايا لصديقاتها
وتذكارات لرحلتها الى «مجاهل الصعيد» .. واثار التعبير
اللاذع نخوة الشاب الفخور بموطنه فبادلها سخرية بسخرية ،
ونكتة بنكتة .. وحين خففت رأسها لتأمل مجموعته الاثرية
امده مزاحهما بالجرأة على ان يختلس نظرات الى صدرها الذي
انحسر عنه ثوبها .. اما هي ، فقد ادركت من نظرتها التي
ارتفعت لتستقر في عينيه السوداوين اللامعتين ان سخونتتهما
قد اعجبتهما .. فلم يبق الا ان أحيل الاعجاب العابر الى حب
مكن ، يهزم جميع الاعتبارات المثبطة ويزيل ارسخ الحوائل !
ورشتهما بسهمين ..

ثم مضيت ، واثقا من النتيجة .. فاني استطيع ان ارى
في لوح الغيب ما سوف يحدث في خلال اسبوعين .. سوف
يحزم الرجل امتعته وبضاعته وثروته ويختفي من البلدة مع
فاتنته ، كي يظهر بعد حين في متجر صغير انيق بشارع النبي
دانيال ، بالاسكندرية .. اما الاسكندرية الحسنة فانها واسرتها

متوسطة الحال سوف تباركان «الصفقة» وترحبان «بالزوج»
الفرعوني الثرى !

٢٩ ديسمبر

بينما كنت استمتع بشمس الضحى الدافئة في شارع
«البحر» لمحت عربة «حنطور» تقف امام باب البنك الاهلى
وتهبط منها «حبرة» سوداء تكاد تكون مقفلة تماما ، تمشى على
قدمين ، وبداخلها امرأة ١٠٠ ! هرعت نحوها حتى حاذيتها وتأملت
وجهها ، فاذا هى فى نحو الستين ، سمراء الوجه مترهلة الجسم ،
تمسك فى يدها حقيبة يد سوداء ، مثلها . . . وتصعد سلم
البنك بخطى سريعة ما وسعها جهدها ، خشية ان تقع عليها
عين رجل !

تبعتها الى داخل البنك وقد تنسمت فى الجو رائحة
مغامرة طريفة . . . فرايتها تقف امام الصراف ، وتطلب منه
مبلغا من رصيدها الضخم ، الذى تركه لها «المرحوم» . . . ويبدو
ان الشاب كان حديث عهد بالنقل الى البلدة ، جاهلا بشخصيات
عملاء البنك الكبار فيها ، فقد طلب منها ما يثبت شخصيتها !
واهتزت الحبرة ، بمحتوياتها ، غضبا لهذه الالهانة . . .
وانفجرت المرأة فيه محتدة : «(سخصية ؟ . . . سخصية ايه اللى
عايزنى اجيبها لك يافندى يا قليل الحيا . . . اسأل زملائك مين
انا وايه كونتى فى البلد !)» . . . فانتفض الفتى خوفا على
مركزه من نفوذ العميلة الثرية وبادر بالاعتذار لها وهو يبتسم
متلظفا ثم صرف لها المبلغ الذى طلبته . . . فأحصته ورقة
ورقة وهى تتلفت يمنة ويسرة خشية عين السارق . . . او عين
الحسود !

. . . ويبدو ان ابتسامة «صبحى افندى» كانت خلاصة حقا ،
فقد قابلتها «الست أم عزيز» بابتسامة اعتذار تسلب اللب ،



ورأيت انا الفرصة سانحة لامتع
نساء البلدة بقصة غرام
مضحكة تشغل جانباً من فراغ
احاديثهن وتؤنس مجالسهن ..
فسددت الى كل من الارملة
الثرية والشاب الوسيم الفقير
سهما نفذ مباشرة الى القلب !..
ثم تركتها وهي تدعوه همسا
الى زيارتها في بيتها ليعلم ابنها
الصبي قواعد الحساب وجدول
الضرب !

٣١ ديسمبر

لطالما تمنيت ان اسهر ليلة رأس السنة في فندق «ونتر
بالاس» الفاخر .. وها اميتى قد تحققت !

كانت ابهاء الفندق وصلاته تموج بأسر كبراء المصريين
والاجانب ، وموسيقى الجاز تصدح فينسى الجميع على انغام
«السامبا» المجنونة وقار ارستقراطيتهم .. واتخذت لنفسى
مائدة فى مكان يصلح لممارسة لعبتى الخالدة ، ثم جلست
اتسلى بمراقبة الجمع الصاخب ، وارهف سمعى للاحاديث
والهمسات ..

سمعت رجلين من اعداء الزواج العابثين - وكلاهما قد
جاوز طور الشباب - يرويان النكات لعروسين من اقاربهما فى
ربيع العمر وشهر العسل .. قال الأول فى هيئة الجاد ، كى
يقتنص انتباه سامعيه : «اعتاد زوج ان يقضى سهراته فى اكثر
الليالى عند امرأة صديقة ، طيلة عدة سنوات .. فلما ماتت

زوجته ظن الناس انه سوف يتزوج من تلك الصديقة ..
وحثوه على ان يفعل . لكنه قال لهم مستغربا : «واين اذن اقضى
ليالى ؟»

وقال الثانى - ويدعى الدكتور اسماعيل : «رأيت منذ
برهة رجلا وامراة متجاورين على مائدة العشاء ، بغير ان يتبادلا
كلمة واحدة ، فقلت لنفسي : اما انهما غريبان ، لا يعرف احدهما
الآخر .. او انها زوجته !»

وضحك الشاب ، وابتسمت عروسه ، ثم نهضا ليرقصا
.. بينما استأنف الدكتور اسماعيل وصديقه عبد العزيز بك
مباراتهما الطريفة في تسفيه الحب والزواج .. وفيما يلى بعض ما
وعته ذاكرتى من حديثهما :

عبد العزيز بك (مشيرا الى العروسين وهما يرقصان) : ان
الحب فى مجتمعنا العصرى ليس اكثر من تبادل وهمين ،
واحتكاك بشرتين !

اسماعيل : ولكن من حماقة العقيمة يا عزيزى ان تحاول
بكلامك اقناع فتاة عاشقة بالتخلى عن حبها .. فان الحب لا
يقيم فى الاذن !..

عبد العزيز : الواقع ان فى الحب لتناقضا صارخا .. فنحن
عندما نحب شخصا نحرمه من «الحق» فى ان يؤلنا - سواء
بكلماته او تصرفاته - فى الوقت الذى فيه نضع فى يده
«الوسيلة» التى تمكنه من ايلامنا !

اسماعيل : والانكى من ذلك ان الحب اصم ، فان ابلغ خطاب
لا يؤثر فى مجراه عشر تأثير حركة طائشة تصدر بلا تفكير !

عبد العزيز : الغريب ان الرجل قد يفعل مع المرأة التى تحبه
ما يفعل ، ويرتكب فى حقها ما يرتكب ، ورغم ذلك فهى تراه
على الدوام «ملاكا» تنقصه الاجنحة ! .. بل انها قد تضحي
بحياتها الف مرة ومرة - لو استطاعت - من اجل حبيبها ..

ثم تخاصمه يوما من اجل اتفه مسألة تزعم انها تمس كرامتها .. وهى تغفر لحبيبها خياناته واخطائه الجسيمة اكثر من التافهة !

اسماعيل : مرجع ذلك التناقض كله واشباهه الى سبب واحد: هو أن كتاب المنطق النسائى ملطخ بالدموع، والعدالة فى محاكمهن تخضع دائما للعاطفة !

وكان العروسان قد فرغا من رقصتهما واقتربا ، فصدمت سمعهما الفقرة الاخيرة .. فعلمت عليها الزوجة قائلة : «وما قولك يا «آبيه» اسماعيل» فى منطق الرجال ، الذين يصمد الواحد منهم لمناقشة مفحمة ، لكنه يتخاذل ويستسلم امام نظرة ! .. لكنك معذور فى الواقع ، فان الاغنياء لا يمكن ان يؤمنوا او يطمئنوا الى حب لا فائدة مادية لهم من ورائه !

اسماعيل : ما الحب فى بدايته الا قليل من الحماسة وكثير من الفضول ..

الزوج (سامى) : بغير الحب لا يكون الرجل .. جنتلمان ! .. والرجل العاقل قد يحب كمجنون .. لكنه لا يحب قط كالحمقى !

عبد العزيز : العنف فى الحب ، يا ابنى ، شىء يخشى كما يخشى العنف فى البغض ..

سامى : ان اعظم معجزات الحب فى نظرى يا عمى ، هى شفاء النفس من ميلها الى العبث والاستهتار ..

اسماعيل : انت مخطيء ، فان مسلك الرجل مع المرأة يظل فاضلا نظيفا ، حتى يقع فى هواها .. وعندئذ يستحل لنفسه كل شىء باسم الحب ! .. والمرأة لا تلبث - اذا كانت مرهفة الاحساس - ان تدعن له ، لانها بطبيعتها لا تستشعر لذة الحواس الا مع الرجل الذى تحبه ..

سامى : أكثر الناس يعجزون عن التمييز بين الحب والمتعة ..

مثلهم مثل السائح الذي يخيل اليه انه قد احب بلدة ما لانه تناول فيها وجبة شهية !

عبد العزيز : ما من رجل في مجتمعنا الحاضر يندم على متعة اقتنصها .. انه اذا ندم انما يندم على المتع التي تركها تفلت منه ، والخطايا التي لم يرتكبها .. عندما تشيخ مثل الدكتور اسماعيل سوف تدرك هذا ...

اسماعيل : كما ستدرك ايضا ان الرجل الذي يعظ بالفضيلة مرء .. والمرأة التي تعظ بها قبيحة .. !
الزوجة (عنايات) : (ضاحكة) - انا لم اعظ بها ..
اسماعيل : برافو .. ارأيت يا عزيزي ؟ .. ان الجمال اقدس عند المرأة من الفضيلة !

عنايات : (مستدركة) انا لم اقل هذا .. ان منطقك يا ابيه اسماعيل ملئ بالمغالطات ..

اسماعيل : المنطق يا ابنتي هو فن اقناع الناس بالاكاذيب .. انه مطية ذوى البديهة الحاضرة ، التي تشغل الناس عن الجوهر بالبريق ... فلو اخذنا بالمنطق المجرد مثلا لقلنا انك تغيرين ازياء ثيابك كل ستة اشهر لانها لون من القبح لا يحتمل ... بينما الحقيقة انها ما زالت كيوم اخترتها في البداية لونا من الجمال لا يبارى .. ارأيت الفارق بين المنطق والحقيقة .. ؟
عنايات : (متخابثة) اسمح لي يا آبيه ان أسألك : «لماذا لم تتزوج؟»
اسماعيل : لان الرجال المتزوجين في مجتمعنا العصري يعيشون كعزاب .. والعزاب يعيشون كمتزوجين .. ! .. وفي رأيي ان الزواج جعل لكى لا تقفل محاكم الطلاق ابوابها .. وانا لا يهمنى مصير هذه المحاكم !

واعجبني منطق الرجل .. لكن تحديه لسلطاني اغاظني ، واغراني بالانتقام منه ، فنهضت من مكاني لاعد له كميناً .. وبعد جولة قصيرة عثرت على ضالتي .. في شخص عانس

انجليزية جاوزت الاربعين : وجهها مفعم ((بالرجولة)) ..
 و((جفاف)) عودها يذكر بطقس أسوان ! .. كانت قد جثمت
 كالغراب على مائدة ، وقلب ، مفتش الآثار ! .. وراحت تمطره
 بسيل لا ينتهى من الاسئلة «الاثريّة» السخيفة والاستفسارات
 «الفرعونية» اللحوقة .. حتى ضاق بها ذرعا ، فلم يجد
 وسيلة للخلاص منها غير ان يعرفها بصديقه الدكتور اسماعيل ،
 زاعما لها انه حجة لا يبارى في علم الآثار المصرية .. وقبل ان
 يحس اسماعيل بفداحة الكارثة لمح في اصابع المرأة ، وجيدها ،
 واذنيها ، ثروة من الماس البراق ، دلته على مبلغ ثرائها
 واستدرت جشعه للمال .. فالتمعت عيناه ببريق الاعجاب !
 .. وانتهزت انا الفرصة فاصميت كليهما بسهم من جعبتي ..
 ثم تركت الميل المتبادل بينهما «يختمر» على مهل ، ومرقت الى
 القاعة المجاورة - حيث يوجد البار - فجعلت اتفحص
 الموجودين ببصرى ، بحثا عن وجوه جديدة !

وفجأة لمحت على مقعدين متجاورين من مقاعد البار
 العالية .. جريحي الامس الذين صادفتهما في عربة الطعام
 بالقطار .. زوجة الكهل الشابة «زينات» ، والفتى المنطوى على
 نفسه «حسنى» .. ولكم سرنى ان ارى ما كان منطويا منه قد
 انبسط ، بفعل الخمر التى اطاحت باتزانته وارسلت الدم الى
 عينيه فراح وصاحبته يتضحكان ويتغامزان ، وقد زايله خجله
 وزايلاها هي حذرهما ..

وخطر ببالي الزوج الكهل .. ترى اين هو ؟ الا تخشى
 زينات ان يدخل المكان فى اية لحظة فيفاجئهما على هذه
 الصورة ؟ .. عجا لجرأة نساء هذه الايام ، انها شئ لم يكن
 يواتى نساء الاجيال الماضية ولا فى الاحلام !

وصح ما توقعت ، وما توجست !

لم تمض دقائق حتى أقبل الزوج من البهو المجاور ، فدار

بعينيه برهة في ارجاء القاعة ، حتى وقع بصره على زوجته
تعابث الفتى الذى بجوارها ، فاتجه نحوهما في خطوات ثابتة
لا اثر فيها لترنج الخمر ..

وامسكت قلبى بيدى توقعا للشر ..

لكن الزوجة حين رآته لم تبد ادنى انزعاج او اهتمام ..
كل ما فعلته انها استقبلته بابتسامة عريضة ثملة ورفعت
كأسها الى شفيتها تشرب نخبه .. ثم شيعته باطيب التمنيات
وهو ينصرف عنها الى قاعة القمار ، بعد ان رجاها في لهجة
رقية ان لا تنتظره او تتقيد به اذا ارادت ان تنام .. وان لا
تنزعج اذا قضى الليلة حتى مطلع الفجر حول المائدة الخضراء ،
يبارك حظه في مطلع العام الجديد !

وفيما هو منصرف ، لم ينس ان يهرز رأسه بالتحية
للفتى المخمور !

ما اطيعه .. انه زوج فطن ، «مودرن» !!

تركت قاعة البار ، مطمئنا ، لا قوم بجولة واسعة النطاق في
بقية ابهاء الفندق ، نثرت فيها سهامى بلا حساب على عدد
كبير من الرجال والنساء ، الشباب والمشييب .. ثم وقفت انتظر
اللحظة التى انعم فيها بجنى ثمار جهودى ، وقد أخذت عقارب
الساعة تزحف ببطء نحو منتصف الليل ..

اخيرا .. اطفئت الانوار ، عدا نور عينى .. فرأيت منظرا
شائقا ، لو قدر لآلة تصوير من التى يحملها البشر ان تلتقطه
لرأى بعض الأزواج مبادل زوجاتهم اللواتى اصطنعن النسيان
وابتعدن عنهم قبل انطباق عقربى الساعة بشوان .. الى
اركانهن التى اخترنها بعناية !

مئات من الاذرع المتعانقة ، والشفاه المتلاصقة ، والانفاس
اللاهثة ، والهمسات المحرقة ، والايدي المتلصصة ، والانامل
العابثة ... !

وتلفت ابحت عن زينات .. فرأيتها تنسحب من بين
ذراعى حسنى ، قبل ان تضاء الانوار ، وهى تهمس له ان
يلحق بها !

وسار الفتى وراءها يتعثر فى مشيته ، وفجأة اضيئت
الانوار .. فتسمر فى مكانه يتصبب عرقا ، كمجرم هارب من
العدالة ! .. حتى استرد بعض هدوئه فتسلل الى مكان السلم
المؤدى الى الطابق العلوى ، وصعد درجاته .. ثم مشى فى الممر
يتلفت الى ارقام الغرف بحثا عن رقم غرفته التى اضله الانفعال
عنها .. حتى وجدها . وبعد ان غاب فى داخلها لحظات جفف
فيها عرقه واصلح من شأنه ، استأنف الطواف بحثا عن ..
غرفة صاحبه !

وعلى بابها وقف يزدرد لعبه ، مجفلا .. فانه لأصعب
على الرجل ان يدخل غرفة مقفلة فيها امرأة واحدة ، من ان
يدخل غرفة فيها حشد من النساء ! ..

وحين جمع حسنى شجاعته وطرق الباب ، ثم دخل ..
انصرفت مطمئنا الى نجاح خطتى .. واثناء عودتى فى الممر
لمحت باب غرفته مواربا ، وقد نسى ان يغلقة .. فدخلت
لاستريح فترة من الوقت

ولفت نظرى فوق المنضدة كتاب مفتوح ... تناولته
فاذا هو الكتاب الذى كان حسنى يقرأ فيه فى عربة الطعام
بالقطار ، وكان من كتب «شوبنهاور» عدو المرأة والحب ! ..
فاغراني الفضول بان اقرأ فى الصفحة المفتوحة منه هذه الفقرات:

«لو كنت ملكا لكان امرى الاول الى شعبى عبارة واحدة :
«عيشوا على انفراد .. واياكم والحب والزواج !» .. فالزواج
يعنى الفاقة والحرب داخل البيت ، وهو ليس غير فخ نصيبته
الطبيعة للانسان بغية تحقيق هدفها الاكبر ، وهو استمرار

اعظم شر في الدنيا ، واعنى به الحياة ! .. فما من عجب اذن في ان يقترن الحب الجنسي في انظار الناس بالخجل والعار ، فانه اتعس توكيد لارادة الحياة ! .. ونحن عندما نرى نظرات العاشقين المختلصة تلتقى في الظلام نلمح فيها طابع التخفي والسرقة والخوف .. فلم ذلك ؟ .. لأن هذين العاشقين هما خائنان يسعيان الى استمرار العوز والكد والعبودية التي تشقى الجنس البشرى ، الذي لولاهما ولولا امثالهما لبلغ نهايته وانقرض وشيكا ! ..

«ما من انسان ذكى يقبل ان يصبح شريكا في المهزلة التي يسمونها حب الجنس الآخر .. ما الحب الا مكيدة دبرتها الطبيعة للتغلب على عدوها الدائم «الموت» عن طريق اعضاء حفظ النوع .. والطبيعة في كيدها لا تأبه للفرد ، وانما تسعى لحفظ النوع والجنس فقط ، ومن ثم لا يكاد الفرد ينجب نسلا حتى يفقد كل قيمة له في نظر الطبيعة ويكون قد أتم مهمته ونضج للقبر !

«والطبيعة تزود المرأة -لبضع سنوات محدودة- بثروة من الجاذبية الجنسية والجمال ، على حساب شقائها بقية حياتها ... حتى تستطيع خلال تلك الاعوام من شبابها ان توقع في حباثلها رجلا الى الدرجة التي تجعله يهرع الى ربط مصيره بمصيرها والتعهد برعايتها طيلة حياتها .. لكن الفراشة البشرية لا تكاد تفقد قدرتها على الاخصاب حتى تفقد بفقدانها اجنحتها الملونة وجمالها الاخاذ ، بعد ان انتهت رسالتها .. ثم تتولى الطبيعة نقل هذه الرسالة من على عاتقها الى عاتق من هن اصعب منها واجمل واصح جسما ، كي يتولين بدورهن مهمة الانتاج !

«فيالها من مهزلة ! .. وما اغبانا حين ننساق الى فخ الطبيعة ، فنحب .. !»



الا خست يا «شوبنهاور» . . ايها المرائى الكبير الذى ثرثر
وسفسط بهذا الكلام ، ثم فعل ما حذر منه ، فأحب مرتين . .
انجب من احدهما طفلا غير شرعى ، ابى عليه جبنه ونذالته
ان يعطيه اسمه العظيم !

وابتسمت فى كمى وانا اذكر الفتى المنطوى ، قارىء
شوبنهاور . . الذى لم يكد يفرغ من قراءته حتى انهارت
فلسفته امام فلسفة الطبيعة ، امام اغراء نظرة من امرأة . .
وتداعى عزمه تحت وطأة سهامى النافذة . . . ولعله الآن قد
تورط فيما تورط فيه استاذة الفيلسوف !
ولكن . . ما هذا ايضا ؟

لم اكد القى كتاب الفتى من يدي حتى لمحت على فراشه
كتابا آخر ، تذكرت انه كتاب الزوجة الحسنة الذى كانت تقرأه
فى القطار . . فتحته فاذا سطور من «فولتير» مؤشرا تحتها
بخطوط ، من قلم رشيق . . قرات فيها :

«الحب هو توشية الخيال على نسيج الطبيعة . اذا اردت
ان تكون لنفسك فكرة عنه فانظر الى العصافير والحمائم فى
حديثك . . بل تأمل الثور حين يقدم الى البقرة ! . . ثم انظر
الى ذلك الحصان القوى يقوده سائسان نحو فرسه التى تنتظره
فى هدوء ، وتسرع لمجرد اقترابه . . لاحظ التماع عينيه ، واسمع
صهيله العالى ، وارقب قفزاته ووثباته ، وانتصاب اذنيه ،
وانفراج فمه وهو يلهث ويشهق فى شبه تشنج . . ثم تأمل
انساط خياشيمه ، وانفاسه الساخنة ، واهتزاز عرقه . .
والحركة العنيفة التى يندفع بها نحو الهدف الذى اعدته له
الطبيعة . . ولا تغار من سعادته ، فكر فى امتياز الجنس
البشرى وتفوقه عليه . ان البشر يملكون فى «الحب» عوضا
هائلا عن كل الصفات التى اسبغتها الطبيعة على الحيوان وحده،

كالخفة ، والسرعة ، والقوة الخارقة ! .. البشر يستمتعون
بمسرات تجهلها كافة فصائل الحيوان الاعجم .. ما من حيوان
غير الانسان يعرف العناق والقبل .. التي يستجيب لها اطار
جسمه الحساس كله ، وتستشعر لها شفتاه لذة لا نظير لها ،
لا تمل ولا يزهد فيها . وحسبك ان تفكر في هذه المظاهر
الرفيعة للسمو والتفوق حتى تؤمن معي بأن الحب كفيل بان
يهدى شعبا كاملا من الملحددين الى الله ! ..»

اذن فهكذا انتصرت المرأة على تلميذ شوبنهاور .. كان
«فولتير» خير معوان لها .. ولى !



وضعت الكتاب الآخر مكانه .. وانسلت من الغرفة، عائدا
الى الطابق الاسفل .. كان الليل يلفظ آخر انفاسه في ضوء
القمر . وفي ركن منزو من الشرفة فوجئت بمنظر اطربنى ،
واضحكنى ! .. كان الدكتور اسماعيل منحنيا على حاجز
الشرفة ، منهمكا في مغازلة العانس الانجليزية الثرية ، وذراعه
على ظهرها ..

وحين اقتربت منهما متلصصا سمعت هذا الحوار
الشائق :

اسماعيل : الآن فقط آمنت بان صحة النفس ليست اكثر امانا
من صحة الجسم .. فنحن قد نبدو أحرارا من الحب ، ولكننا
في حقيقة الامر معرضون للاصابة به في اية لحظة كما يتعرض
الجسم لجراثيم الامراض .. وهذا ما حدث لى ! ..

مس جونس : وفارق الجنسية ، والدين ، الذى بيننا ؟

اسماعيل : لا يكون حب حقيقى بين ندين .. ينبغى أن تكون
بين العاشقين فوارق ليمحوها ، وثرعات واسعة ليملاها ! ..
مس جونس ، لقد احببتك من النظرة الاولى حبا طاهرا لا قبل
لك بتصور مداه !

مس جونس : اذا كان يوجد حب طاهر منزّه من شوائب جميع الشهوات ، فهو الحب الذى يرسب فى قاع القلب .. وهذا لا يحس به المحب نفسه !

اسماعيل : الحب يصون الجمال ، ولحم المرأة يتغذى بالعناق كما يقتات النحل من الازهار ..

مس جونس : وبعد يا اسماعيل .. تكاد تفرينى !
اسماعيل : (يناشدها فى لهفة وهو يتناول كفها بين راحتيه وينظر فى عينيها) السبيل الوحيد للخلاص من الاغراء الملح هو الاستسلام له ، هكذا قال ادبيكم اوسكار وايلد ... ميس جونس ، هلا قلت : «نعم» ؟

مس جونس : (بعد تردد .. وهى تبتسم) نعم .. !
 ثم التقت شفاهما فى قبلة طويلة ! .. وفى تلك اللحظة خرج الى الشرفة شبهان : العروسان ، سامى وعنايات .. فوقفا يتأملان المعجزة الكبرى وقد فغرا فاهيهما دهشة وراحا يضربان كفا بكف ويتمتمان : « لا حول ولا قوة الا بالله .. لا حول ولا قوة الا بالله ! .. »



أختم هذه المذكرات قبيل الفجر ، وقد أخلد الجميع للنوم .. واخلدت نفسى لراحة عميقة .. لقد ادت عملى فى اليومين الماضيين على خير وجه ، وحرزت انتصارات ساحقة .. ولسوف تتهلل امى فرحا حين اقدم لها قائمة حسابى الختامى غدا ، فقد بلغت غنائمى من القلوب فى الاسبوع الاخير وحده ٣١٦ قلبا ، هذا بيانها :

- ٤٣ زوجة وام (بين العشرين والاربعين) يقابلها :
- ٢٦ زوجا من مختلف الاعمار و ١٧ فتى مراهقا
- ٦٩ فتاة (بين الخامسة عشرة والثلاثين) يقابلها :
- ٥١ شابا و ٨٠ ازواج و ١٠ شيوخ !

١٥ أرملة (بين الثلاثين والخمسين) يقابلها :

٨ شبان ، ٥ أزواج ، وكهلان ..

٣ عوانس (بين الأربعين والخمسين) يقابلها :

شيخان وفتى مراهق

٢٨ خادمة (بين الخامسة عشرة والأربعين) يقابلها :

٧ خدم ، ٥ بوابين ، ١١ سيدا كبيرا ، ٥ اسياد صفار

.. وهكذا يمكننى ان استقل قطار الصباح الى القاهرة ،

مستريح الضمير !

وغدا سأطلب من امى اجازة لمدة اسبوعين ، استريح

فيهما من عناء الاعمال ..

١٠ يناير

حدث اليوم امام عينى حادث طريف ..

كنت اقضى فترة الشاى فى قاعة الرقص بفندق

سميراميس .. فرأيت شابا وسيما أنيقا رشيق الجسم يتقدم

الى حسناء فاتنة طالبا مراقبتها .. وقبلت الفتاة طلبه ، تأدبا ،

فخاصرها الشاب على أنغام «التانجو» الحاملة ، مأخوذا بجمالها .

ويبدو انه ضمها الى صدره ضمة قوية مستورة وهما يقومان

بحركة التفاف ناعمة بحجة مسايرة الانغام ، ثم تحسست انامله

خصرها فى مداعبة غير كريمة ، ودنا الشاب بفمه من شعرها

فأودعه قبلة صامتة مختلسة دغدغت اذنها .. واذا الفتاة تفلت

يدها من يده وتهوى على خده الاسيل بصفعة قوية صببت عرق

الخجل على وجهه .. ثم لم تكتف بالفضيحة التى اصابته بل اصررت

على ابلاغ الامر للبوليس !

وحين تركت انا المكان بعد حين كان الهرج والمرج يسودانه

والناس يحاولون اثناء الفتاة عن عزمها .. بغير جدوى

من سوء حظ المسكين انى فى اجازة ، وان قوسى وجعبة

سهامى لم تكن معى . . والا لعرفت كيف اجعل الفتاة تستكين
للمسات الفتى وتستنيم لقبلاته ، ولو كان وجهه فى دمامة القرد
او كانت سنه فوق السبعين !
اليس من حقى ان اصاب بالغرور ؟

١٤ فبراير

كنت أعبّر ميدان ابراهيم باشا صباح اليوم ، حين أوقفت
اشارة المرور بمحاذاة سيارة «بونتياك» فارهة من افخر طراز
. . وشاءت المصادفة ان يقع بصرى على صاحبها الذى يقودها
. . فكدت اصعق ! عرفت فيه موظف البنك الذى اوقعت
«ام عزيز» فى هواه اثناء اقامتى بالاقصر !

واغرانى الفضول بمعرفة تفاصيل القصة ، ففتحت
باب السيارة وقفزت الى جوار الشاب المحظوظ ، ثم ابتلعت
برشامة سحرية اظهرت له هيئتى متجسدة . . فلم يكدرانى
حتى رحب بى مهللا وعانقنى . . ألسنت رب نعمته ؟؟ . . ومنه
وقفت على كل ما حدث له : ان



دروس الحساب للمحروس
«عزيز» قد تطورت الى غرام
جارف مع امه ، انسى المسكينة
لابسة الحبرة تقتيرها الماثور
فتحت خزانة للحبيب الغالى
واراقت منها عليه من «الانتيكات»
والشييكات ما جعله يرتع فى
بحبوحة النعيم . . والمال الذى
ادخره «المرحوم» قرشا قرشا
صار الفتى يبعثه على خيلاته
من الصبايا الحسان فى

يبعثه على خيلاته من الحسان . .

الاقصر والقاهرة ، بعشرات ، ومئات الجنيهات ! .. بل ان
 المحتال الواعي ينصب الآن شبابه ويدبر خطته كي يظفر من
 العاشقة المدنفه برصيد «محترم» في البنك ووصية دسمة
 «تكتب له» فيها حصة من ثروتها ، تجنبه مفاجآت القدر
 وغوائل الدهر ، وتكفل له التخمه بالمال مدى الحياة !
 كان الله في عونك يا «عزيز» !

٢١ مارس

اطلعت هذا الصباح على بضع صور ورسوم لامى ولى فى
 عدد خاص اصدرته احدى مجلات البشر لمناسبة بدء فصل
 الربيع اليوم - حسب مزاعم كتب الجغرافيا - وان كان البرد
 القارس ما يزال يدثر الناس بالمعطف الثقيلة ويلجئهم الى
 بيوتهم اكثر الوقت ..

كانت الصورة الاولى تمثل امى «أفروديت» خارجة من
 البحر عند شاطئ جزيرة «سيتيرا» - قبل ان تتخذ «قبرص»
 مقرا لها - وقد استندت بخفة على محارة كبيرة وردية اللون،
 وبالقرب منها «فلورا» آلهة الازهار ..

اما انا فقد نشرت المجلة لى صورتين : احدهما تمثلنى فى
 هيئة طفل ذى أجنحة ممسك بالقوس فى يمينى ، وفى جعبتى
 السهام أطلقها فى مرح واستهتار على قلوب البشر ! ..
 والصورة الثانية تمثلنى آلهة معصوب العينين ، لترمز
 الى ان «الحب اعمى» ..

متى تكف هذه المجلات عن دعاياتها السخيفة ؟ .. انا
 لست آلهة معصوب العينين ، اقذف الناس بسهامى كيفما اتفق،
 وانما انا اكمل ما اكون بصرا وأرجح ما اكون عقلا وادراكا ! ..
 ولولا مغامراتى الشاذة الجريئة التى اوفق فيها بين قلوب
 اناس ينعدم بينهم التناسب والتجانس - سواء من حيث
 الشكل او السن او البيئة او المال - لظل أكثر المحرومين من

الجمال او الشباب او الثراء .. محرومين ايضا من الحب والزواج ، ولتضاعفت الفوارق بين الطبقات !

لكنى لست مكلفا بان اشرح فى كل مناسبة فلسفتى الخاصة .. وانما حسب البشر أن يعلموا اننى أؤدى لهم خدمات - اجتماعية وانسانية واقتصادية - لا تقدر ولا تحصر ! .. ولولا قلبى الرحيم لاختل توازن الكون وكثر فيه الشر والشقاق والحقد والبغضاء !

الا ليت الناس جميعا يعرفون فضلى ، وقدرى ، كما يعرفهما العشاق ! ..

اذن لكنت اسعد الالهة على الاطلاق !

٣ أبريل

وافرحته ..

لقد أقبل الربيع ، بعد غياب طويل ، فاستقبلته مرحبا بالعناق والقبل .. انه معاونى الاكبر فى عملى ، وساعدى الايمن . لا يكاد ينفث عطره فى الهواء حتى تخور مقاومة الآدميين لارادتي ، فيستسلم لى اعند المكابرين من ضحاياى .. ضحاياى ؟

ولكن هل انا «غول» ، له ضحايا ؟ .. الاوفق ان اسميهم مختارى المحظوظين ، وانهم لمحظوظون حقا . انى انفحهم بلحظات خالدة ، تظل تسكرهم بخمرها العمر كله ! .. حتى الآلام النفسية التى يقاسيها العشاق فى غرامهم لها لذتها الخاصة وسحرها الذى لا ينسى ، والذى اكاد احسدهم عليه ! .. انها تبدد وحشة الحياة وتشابه الايام الرتيب الممل . تجعل لها طعاما محببا ، ونكهة لاذعة فى حلاوتها ، عذبة حتى فى مرارتها ! وبرغم ذلك فان اكثر البشر ينسون دائما افضالى ، ويلذ لهم ان ينحوا على باللائمة ويتجنوا ! .. كلما تنكر لهم حبيب

أو أفسد الدهر لهم تدبيراً خسروا رؤوسهم واستمطروا على اللعنات .. هم يخلطون بينى وبين «القدر» ويعتبروننى مسؤولاً عن النتائج ، وهذا عين الخطأ . فانا كل مهمتى ان أبذر البذرة .. وهو الكفيل بانباتها خضراء مورقة ، أو خنق جذورها فى باطن التربة . وما تحميلي المسؤولية كلها الا افتئاتا شبيها باعتبار الزارع مسؤولاً عن استنزال الامطار ، وضمان صلاحية الطقس ، وحماية المزروع من آفات الطبيعة وسرقات اللصوص حتى يتم الحصاد ! .. او شبيها بمؤاخذه الوالد على كل ما يصيب ولده من لحظة ولادته الى ساعة مماته ، لا لشيء الا لانه كان السبب فى وجوده ومجيئه الى الحياة !

بل ان بعض الحمقى يريد أن يدس أنفه فى عملى ويحاسبنى على تصرفاتى ، زاعماً انى أجنح فيها أحياناً الى الشر دون الخير ، فأبذر بذور الخلاف فى الاسر وأهدم البيوت فوق رؤوس أصحابها ، أو أوقع بين القلوب المتصافية ، أو أغرى الناس بارتكاب حماقات .. الى آخر قائمة التهم التى يحاولون الصاقها بى ووضع وزرها على رأسى !

وفات هؤلاء انه مامن تصرف اقدم عليه الا ولى من ورائه حكمة آلهية خافية على عيونهم ، قد تكون التأديب والقصاص ، او الاغداق والمكافأة ، او التجربة والامتحان ، او توزيع الحظوظ بالعدل والقسطاس ، او تحقيق اهداف خاصة .. الخ لكن البشر لا يكفون عن تصديع رأسى بحملاتهم ، وغبائهم ! فمتى يفهمون ان الحياة معقدة متشابكة ، وان ما نراه نحن من سماواتنا ، بنظرتنا المحايدة المجردة ، لا يرونها هم فى زحمة دنياهم وانشغالهم بشئون انفسهم .. !

٢٥ ابريل

احس اليوم بانتعاش كبير ، فان حمى الربيع قد فعلت

فعلها في القلوب ، فأخذ الناس يتساقطون تحت سهامى كالفراش المحترق . وفي هذه الأحوال تسرى العدوى عادة سريان النار في الهشيم ، فاذا النفوس والابدان متفتحة للعناق ، ظمآنة للهوى والقبل . . . ترتدى في احضان بعضها البعض عند اقل بادرة كالثملة النشوانة ، صيرها الحب مجنونة مجنونة ! وهكذا عدت الساعة من الفيوم بصيد دسم ، يعوض خسائرى السابقة في الشتاء اضعافا مضاعفة . كان « شم النسيم » ممتعا في اوبيرج البحيرة ، وقد تحرر خليط الحاضرين من كل قيد واعتنقوا جميعا ديانة واحدة : هي ان الحياة لا تساوى شيئا بغير الحب . . . ولا الجمال يساوى شيئا بغير متعة !

وكان اكثر صيدى من الوجوه الجديدة التى لم اصادفها من قبل ، فاتسع امامى مجال العمل متحررا من مفعول سهامى السابقة . . . وفيما انا اجوس في الشرفة المطلة على بحيرة قارون لمحت وجهين اعرفهما . . . ولم يحوجنى الامر الى اكثر من قدح زناد ذاكرتى ثوان معدودة ، تبينت بعدها فيهما عروسى عربية النوم : الزوجة الباكية النافرة ، التى زوجت مرغمة غير فتاها الذى تحبه . . . وزوجها النبيل الصابر ، الذى قبل نفورها منه ليلة الزفاف صاغرا !

اردت ان ارقبهما عن كثب ، لارى نتيجة تدخلى السابق فى حياتهما ، وهل كانت ثمرته وقتية ام دائمة ؟ . . . فاقتربت منهما ، حتى شاركتهما مائدتهما . . . واذا اول ما تلحظه عيناي ، عدا الابتسامة المتبادلة على الشفاه ، والسعادة المشرقة فى العيون . . . بوادر الامومة فى قوام العروس ، الذى « كان » رشيقا . . . !

وكان يحوم حول المائدة شاب حائر ، يختلس النظرات الى الزوجة فى الذهاب والاياب ، فى قلق وغيظ ، حتى افلح فى

ان ينبهها الى وجوده . . لكنها تظاهرت بانها لا تعرفه ، ولم
تعره أدنى التفات ، بل لم يبد على وجهها أدنى ظل للانفعال
او الحنين !

ولم يأس الحبيب القديم ، فعاد يستأنف طوافه في ارجاء
الحديقة والشرفة ، حتى اصبح على قيد خطوات من محبوبته
. . وعندئذ تعمد ان يسأل أحد السقاء بصوت عال عن مكان
غرفة التليفون ، فلما أشار له الى الطريق المؤدى اليها في داخل
الفندق اتجه نحوها . . بعد ان التفت الى الخلف التفاتة تنادى
الزوجة ان تتبعه !

لكن هذه لم تتحرك من مكانها او تقطع حديثها الضاحك
مع زوجها . . فلما عاد الشاب بعد ربع ساعة يأسا ارتمى
على أحد المقاعد واشعل سيجارة ينفس بها عن غيظه ، ثم تمتم
لنفسه في خيبة أمل :

— حقا ان النساء خائنات . . !

واطربتنى النتيجة . . لكن الاسى الذى داهم الفتى على
الاثر حرك قلبى بالاشفاق عليه ، فانتهزت فرصة دخول مهاجرة
فلسطينية فاتنة واختيارها مائدة قريبة منه ، ورمىتهما
بسهمين . . فالتقت النظرات ، ولم تمض برهة حتى كانا
يجلسان الى مائدة واحدة !

وخرجت من الفندق راضيا عن نفسى ، مستريحا الى
محصول يومى ، تاركا وراءى مجموعة من القلوب المتشابكة
اعقد تشابك وامتعه . . لكنى لم اصل الى الباب الخارجى حتى
لمحت فى إحدى السيارات الانيقة المتراسة امامه . . رجلا
وفتاة . ادركت من هيئتهما انه هو سائق السيارة وهى ابنة
مخدومه . . وكانا يتبسطان فى الحديث ، فلذ لى ان اتسلل
الى داخل العربة لانصت الى حديثهما . .

كانت تشكو اليه ، فى سذاجة ابنة السادسة عشرة ،

تشدد أبيها معها وحرمانه اياها من الاختلاط البريء بأسرات
الأصدقاء والأقارب والجيران ، التي بين أفرادها شبان ، ايا كان
خلقهم ومسلكهم .. حتى لقد ضاقت بحياتها ولم تعد تجد
في العيش لذة او متعة ، بين قضبان هذا السجن الكئيب الذي
يكاد يزهدق انفاسها ..

ورق قلب السائق لحال مخدمته ، فجعل يسرى عنها
فيلتمس لها العذر في شكواها من ناحية .. ويلتمس لابيها
العذر في تشدده من الناحية الاخرى ، محاولا جهده افهامها
خطورة الحرية التي تطلبها لنفسها ، وايضاح الامر لها بالامثلة
والحكايات التي استقاها من خبرته الطويلة .. ولذ الحديث
للفتاة ف راحت تستوضحه اكثر فاكثر ، وهو يشرح لها ويفصل
.. حتى تفتحت حواس الفريرة لهذه الامور الشائقة التي
يحدثها «محمود» بانها تقع لغيرها من الفتيات اللواتي في سنها ..

**ولمحت - من مكمنى - عيني الفتاة تشردان الى بعيد ،
كالحاليتين .. وعيني السائق الشاب تلمعان لمعانا خاصا ..**
فوجدت في ذلك فرصتي لتأديب الآباء الذين من هذا الطراز ،
الذين يهيء لهم غباؤهم ان في وسعهم صون بناتهم من التلف
بحبسهن في قمقم ، كما كان يفعل اجدادهم ، بدلا من تنشئتهن
التنشئة القويمة في ظل التربية الصالحة والحرية المعتدلة التي
تناسب روح العصر ...

ومن ثم اخرجت جعبتي واطلقت على كل من الشاب
والفتاة سهما نافذا .. فالتقت عيونهما في نظرة طويلة
صامتة ..

- محمود ... اريد ان تدريبنى على قيادة السيارة
- واذا خرج ابوك يبحث عنك في فترة غيابنا ؟
- انه لن يخرج .. لن يقلق على مادمت في حراستك ..
ففارق الطبقات بيننا في نظره خير حارس !

وحين بنعت السيارة عن الفندق ، اقتربت «سميرة» من محمود لتمسك بعجلة القيادة ، فالتصقت كتفها بكتفه .. ونفخ الهواء قميصها الحريري «السبور» فأبعده عن صدرها .. واطلت نظرات محمود من فوق كتفها على الصدر الخمرى فلم تحس الفتاة الا وهو يضغط بقدمه على «الفرامل» ضغطا قويا ، ثم يختطفها ويطبق على شفتيها بفمه ؛ ولم تمنع .. !

٣٠ ابريل

خرجت اليوم ساعة الاصيل للتنزه في مصر الجديدة ، التي يبدأ في هذا الوقت من كل عام موسمها الصيفي البهيج ، فتعج شوارعها بالشباب والفتيات الحسنان ، من كافة الاجناس والطبقات والازياء والاعمار .. وتصير مقاهيها «كرنفالا» للفتنة والاناقة والجمال ، احار فيه اين اوجه غزواتي .. واى الناس اترك ، واى الناس اختار !

وفيما انا ارصد المارة عند تقاطع شارعين كبيرين سمعت شابا وفتاة يتناقشان في حدة ظاهرة .. تذكرت فورا انهما من عملائي السابقين فاقتربت منهما لانصت الى موضوع المناقشة .. كان الشاب يتهم حسناء بانها تخدعه مع شاب آخر ، ويدلل على اتهامه بالامثلة والبراهين .. ثم يهددها بالانتقام الذريع !

وفجأة رايته يتركها وينطلق عدوا الى الرصيف المقابل ، ثم يلقي بنفسه عامدا امام عجلات «مترو» كان يشق الشوارع في اقصى سرعته ! .. وصرخت الفتاة ، وتصايح الناس ، واقبلت عربة الاسعاف ، ولكن .. بعد فوات الاوان !

وصحبت الجمع الى قسم البوليس ، حيث كتب المحضر التقليدي وسجلت اقوال الفتاة واهل الفتى .. ولمحت والد

المنتحر يذرف الدمع السخين ، فلما رآنى حدجنى بنظرة اتهام قاسية ..

من لى بمن يفهمه انى من دم ابنه برىء ، مظلوم ؟ ..
لقد ادرت الامر كله فى راسى وانا منطلق مع الجماهير الى قسم البوليس ، فاقتنعت بانى غير مسؤول .. وانى لم افعل اكثر من انى بذرت الحب فى قلب الفتى كما ابذره فى قلوب الملايين ، ثم تركت القلب والعقل يتصارعان ، ويصفيان الامر بينهما كما يحلو لهما . وليس ذنبى ان اولهما كان الاقوى فصرع غريمه ، ثم اودى بصاحبه .. بينما كان يمكن ان يحدث العكس !
وهمست فى اذن الاب المفجوع : « قر قلبا .. فان ما وقع كان لابد ان يقع للفقيد يوما .. فى اول ازمة تواجهه ، ولو لم تكن ازمة حب ! »

مرة اخرى انادى على رؤوس الاشهاد : « انى برىء ! »
فليحتكم رعاياى الى عقولهم اذا تخرج الامر ، والا فعلى انفسهم هم الجانون !

٢ مايو

كان لحادث الامس تأثير سىء على اعصابى ، فلما صحوت اليوم شعرت وانا اتمطى فى فراشى بانى قد ضقت ذرعا بالمدن الصاخبة ، وانتابنى حنين الى الريف .. فركبت من الجيزة احدى سيارات اتوبيس الاقاليم بغير ان اسأل عن وجهتها .. ثم غلبنى النعاس فاغفيت . وحين صحوت بعد نحو ساعة كانت السيارة تشق طريقها وسط الحقول الخضراء الزاهية ، المنبسطة على الجانبين ، وهواء الصبح الجميل يداعب ابدان المزروعات فتميس قدودها دلالا وهى تلين للمساته .. فاستخفنتى فتنة الطبيعة وقفزت من السيارة

وفيما انا منطلق عبر الحقول ، اقفز فوق هامات الشجر
وانحنى لاشرب من مياه الغدران ، سمعت همسا يسرى الى
اذنى مع النسيم منبعثا من ظل شجرة صغيرة . . فاسترقت
الخطي نحو مصدره ، واذا فتى وابنة عمه يتندران باحاديث
القرية وقصص الاهل والجيران . وكان حديثهما بريئا من كل
شائبة ، صافيا صفاء ماء الجدول الرقراق . . لكن السامة كانت
تقطر منه . فحلا لى ان اذيقهما رحيق الحب واشعل بين
ضلوعهما انفعال العواطف الحارة ، التى بغيرها لا تفتح مسام
القلوب لادراك حقائق الحياة وكنه الوجود . . .

لكنى اردت ان اداعبهما فى البداية مداعبة طريفة، فرشقت
الفتى وحده بسهم دون الفتاة ! وجلست اتسلى برؤيته ينعطف
نحوها ، ويتودد اليها تدريجا . . . ثم يخفض بصره الى الارض
وهو يرسم على التراب بفصن فى يده خطوطا واشكالا لا معنى
لها . . وفجأة يقول لها :

— انا فى قلبى يا خضرة يا بنت عمى حاجة عاوز اقولها
لك . .

ويصارحها بحبه . . فتففر الفتاة فمها دهشة ، وتحملق
فيه متعجبة من هذا الطارىء المفاجىء الذى طرا على علاقتهما
. . بينما يمضى الشاب فى مطارحتها الغرام ، وهى جامدة
القلب ، باردة العاطفة . . تستمع اليه ، وتصده ، وتسخر منه ،
فى هدوء مثير . .

وبذلت وانا ارقب العاشق الولهان من مكنى جهدا كبيرا
كى اقمع ضحكة تريد ان تفلت منى . . فان الحب — كالحماسة —
يبدو مدعاة للضحك حين لا يكون متبادلا !

وبدأ «علوان» يئأس ، ويفتر . . . حتى رق قلبى له ،
واستمتعت بفايتى من دعابتى ، فأطلقت السهم الاخر على قلب
الفتاة . . وجلست ارقبها وهى تتراجع من عنادها، وتستجيب

لعاشقها خطوة فخطوة ، حتى تداعت اخيرا بين ذراعيه القويتين !
وفيما هو يعتصر بدنها الرخص لصق صدره وينهل من
شفتيها . . . دوى في الفضاء طلق ناري ، اصاب الفتاة في مقتل !
والهت الصدمة العاشق المفجوع عن مطاردة القاتل في
الوقت المناسب . . فلما افاق من حدة المفاجأة ، كان هذا قد
اختفى بغير ان يعرفه احد !

اما انا فقد رايتة وهو يتسلل بين عيدان المزروعات ، لاثدا
بالفرار . .

انه . . اخوها ، قد ثار لشرفه !

وعندما حمل علوان جثة حبيبته باكيا منتحبا ، فاضت
دموعى برغمى . . فقد حزت الفجيعة في نفسى . بل اعترف انى
عدت الى امى ثائرا واعلنت اليها استقالتي من عملى ، الذى
يحمل ضميرى كل يوم وزر هذه المآسى الدامية . . . فجعلت
تهدىء من ثائرتى بمنطقها المقنع المألوف . . ذكرتنى باننى وفقا
لدستور عملى لست مسؤولا عن النتائج ، وان مسؤولية
الحادث انما تقع اولا على القاتل ذى العقلية المخبولة ، وثانيا
على العاشقين ذاتيهما اللذين - وهما اعلم الناس بتقاليد بيئتهما
القروية - تركا نفسيهما ينساقان وراء عاطفتهم دون ان
يحتكما الى ((العقل)) الذى كان يقتضيهما ان يتخذا جانب
الحيطة والحذر . .

واقنعتنى حجة امى . . فاسترددت استقالتي ،
واستأنفت عملى !

(طبق الاصل)

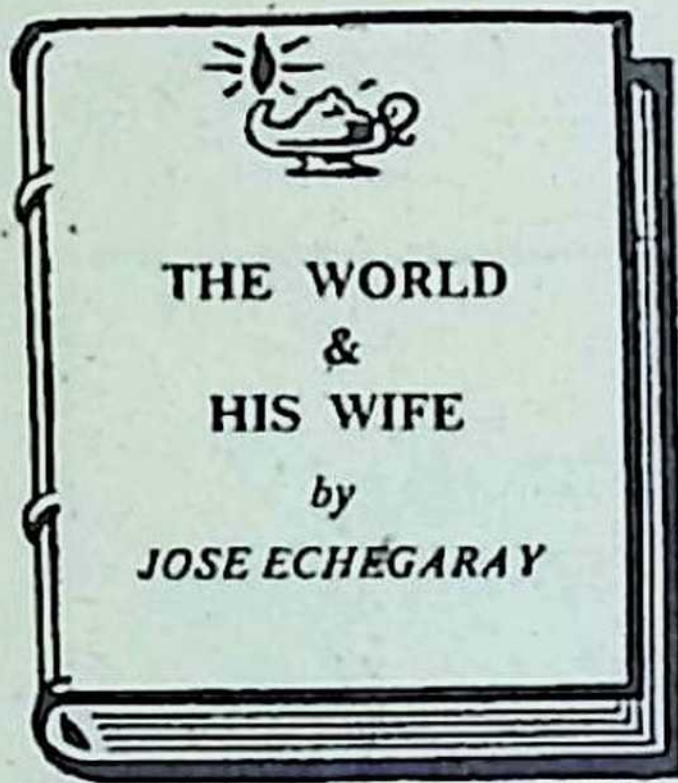
عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة من « كتابى » ، المسرحيات العالمية الآتية .. على التوالى : «خطايا الحب» لاوسكار وايلد .. ثم «الحب الاثم» او (سلطان الظلام) لتولستوى .. و«نزاهة الحكم» او (المفتش العام) لجوجول .. و«سلاح المرأة» لاريستوفان .. و«فولبون» او (الثعلب) لـ «بن جونسون» .. و«جيوكوندا» لدانونزيو .. واليوم اقدم لك هذه المسرحية من المسرح الاسباني : «كلام الناس» لجوزيه اشيجاراي .. تليها فى الاعداد القادمة باذن الله المسرحيات الخالدة الآتية : اوسكار وايلد : (مروحة الليدى وندرمير) جون درنكواتر (ابراهيم لنكولن) - برنارد شو : (بيجماليون) - مكسيم جوركى : (الصعاليك) - تشيكوف : (الشقيقات الثلاث) - ايسن : (مهزلة الحب) - هوجو : (هرنانى) - مولير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل .. الخ) - شكسبير : (عطيل ، هملت ، ماكبث ، ترويض النمرة ، تاجر البندقية ، روميو وجولييت .. الخ) - سوفوكل : (اوديب الملك) .. الخ

عندما ترفع الستار ..



روائع المسرح العالمى (تمثلى .. والغنائى)



کلام الناس

قصه تمثيلية كبرى: للكاتب الأسباني "جوزيپ ايشيجراي"



المؤلف

«جوزيه اشيجاراي» - الذى عاش بين عامى ١٨٣٢ و ١٩١٦ -
هو زعيم كتاب المسرح فى اسبانيا الحديثة . . درس فى شبابه الهندسة،
ثم اشتغل زمنا بتدريس الرياضيات فى مدرسة «كامينوس» بمدريد .
وفى عام ١٨٦٧ عين وزيرا للمعارف والمالية ، وبقي فى منصبه سبع
سنوات . . حتى آل حكم البلاد الى اسرة «البوربون» فاعتزل السياسة
وكرس حياته للتأليف للمسرح . ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٠٥
- اى طيلة ثلاثين سنة كاملة - ظل يؤلف للمسرح بمعدل مسرحيتين
كل سنة ! . . وفى مسرحياته نرى طابع التأثير بروح عميد المسرح
العالمى الحديث « ايسن » ، كما نلمس الميل الواضح الى معالجة
موضوعات مسرحياته بصراحة العالم الذى يصور الواقع على بشاعته ،
وليس بخيال الشاعر الذى يلونه وينمقه ! . . وفى سنة ١٩٠٤ فاز
«اشيجاراي» بجائزة نوبل للآداب فارتفع الى مصاف الكتاب العالميين .
والمرحبة التى اقدمها لك فيما يلى عنوانها الاصلى «الجران جاليوتو»،
لكنها مثلت على مسارح انجلترا باسم «الناس . . وزوجته» ، فلقيت
نجاحا هائلا خلال السنوات الاخيرة . .

شخصيات الرواية

Ernest	ارنست : شاب يتيم يهوى التأليف المسرحى
Don Julian	دون جوليان : الاب «الروحى» لارنست
Theodora	تيودورا : زوجة دون جوليان
Severo	سيفيرو : شقيق دون جوليان
Mercedes	مرسيدس : زوجة سيفيرو

تمهيد للقصة

◆ تبدأ الرواية بشبه «مقدمة» ، نرى فيها الشاب اليتيم الموهوب «ارنست» - الذى يعيش فى كنف السيد «دون جوليان» - منهمكا فى تأليف رواية مسرحية . لكن الرواية مستعصية عليه ، تأبى ان تخرج الى «الحياة» ! .. فهى ما تزال بلا عنوان ، ولا حوادث ، ولا حبكة ، ولا خاتمة فاجعة ! .. والشخصية الرئيسية فيها ليست شخصا محددا من البشر أو الاحياء ، وانما هى شخصية «معنوية» - أو بالاحرى رمز فلسفى - انها «الرأى العام» !

وفيما «ارنست» منهمك فى صراع أدبى مع هذه الفكرة المستحيلة ، يدخل «دون جوليان» مع زوجته الحسناء تيودورا ، وقد عادا لتوهما من المسرح :
جوليان : أو تريد نصيحتى ؟

ارنست : نصيحة صديقى وحامى ، وأبى الروحى ؟ بالتأكيد أريدها ..

جوليان : اذن فلتنبذ هذه الفكرة السخيفة وتمضى الى فراشك .. وغدا تبدأ فى تأليف رواية جديدة ، رواية لها عنوان وخاتمة ، وحوادث ، واشخاص ، وعقدة .. الخ

تيودورا : كان ينبغى ان تذهب معنا الى المسرح يا ارنست ، بدلا من ان تضع وقتك فى محاولة تأليف هذه المسرحية «المستحيلة» .. فانك فى المسرح تلتقى بالناس ، وتستمد منهم افكارا ، وتسمعهم يثرثرون أحدهم فى سيرة الآخر ..

ارنست (يكرر كلماتها الاخيرة) : يثرثرون أحدهم فى سيرة الآخر ! .. رجال ونساء ينهشون سمعة بعضهم البعض ، كما تنهش الوحوش لحوم البشر .. آه ، اخيرا وابتنى الفكرة التى كانت تنقص مسرحيتى ! والآن ، الى العمل .. فلأبدأ كتابة المسرحية .. لم تعد الصفحة الاولى بيضاء خالية ، فقد كتبت فيها على الاقل عنوان الرواية : « كلام الناس ! »

- ١ -

♦ ترفع الستار فاذا نحن في صالون منزل «دون جوليان» ، حيث كل شيء يوحى بالتعرف البالغ .. والوقت قبيل المساء

دون جوليان جالس على اريكة ينظر شارد الفكر الى زوجته «تيودورا» الواقفة بجوار النافذة :

تيودورا : ما الذى يشغلك يا عزيزى ؟

جوليان : انى افكر ..

تيودورا : وفيم تفكر ؟

جوليان : فى لاشيء .. فى الخير !

تيودورا (فى حنان) : هذا ليس بغريب يا جوليان ، مادمت انت الذى تفكر !

جوليان (جادا) : انى افكر فى امر «ارنست» .. ومستقبله

تيودورا : ياله من فتى مسكين ! .. انه طيب ، نبيل ، كريم الى غير حد ..

جوليان : مثل ابيه ، الذى ضحى باسمه ، واملاكه ، بل وبحياته ، من اجل ابيه .. والآن وقد ترك ارنست وحيدا فى الدنيا فقد بات من واجبى ان افعل شيئا من اجله ، كى اسدد الدين ..

♦ ونفهم ان ارنست يعيش فى بيت جوليان ، وفى كنفه .. وان الاخير قد جعل من نفسه «ابا ثانيا» للشباب اليتيم ، كما جعلت زوجته من نفسها اختا له .. لكن الفتى يستنكف الوضع الشاذ الذى يكتنف اقامته فى بيت راعيه وحامييه :

ارنست : كان يجب ان اكون سعيدا مع «اب» مثلك ، و «اخت» مثلك انت ، ولكن .. الا تريان زيف موقفى وحرجه ؟ .. انى اعيش من احسانكما !

جوليان (الى زوجته تيودورا) : ان صديقنا الصغير واسع الخيال .. !

تيودورا (الى زوجها جوليان ، تكمل كلامه) : وساذج للغاية ! .. انه يبدو كأنما يعيش في عالم غريب ، من صنع مخيلته !

ارنست : اخشى ان اكون كذلك .. انى لا اعرف في الواقع سوى النزر اليسير من امور هذه الدنيا ، ولا افهم الناس الذين يعيشون فيها ، بل اننى ارتجف حين افكر فيهم : ماذا يقولون عنى ، وعن مركزى في هذا البيت ؟ لابد انهم يتساءلون : «من يكون هذا الفتى ؟ .. هل هو احد الاقارب ؟ كلا .. هل هو سكرتير لرب البيت ؟ .. كلا ! .. ام هو شريك له ؟ ولا هذا ايضا ! .. اذن فماذا يصنع في بيت دون جوليان ؟» .. هذا مايتهامسون به ولا بد فيما بينهم !

جوليان : انت تتوهم ذلك كله !

ارنست : كلا ، لست اتوهم شيئا ، بل ان بعض افراد اسرتك ذاتها - اخاك وزوجته ، وابنتهما - قد بداوا يتناولون سيرتى ، ويرددون ما يسمعون من الآخرين .. ما هم الا مرآة تعكس آراء الناس !

جوليان : ومن يعبأ بكلام الناس ، او بثرثرة الفضوليين الاشرار !

ارنست : آه ، لكن ثرثرة الناس تبدأ عادة كأكذوبة ثم تنتهى كحقيقة ! .. انها «تخلق» الخطيئة التى تندد بها .. !

♦ ويرى جوليان ان ارنست يعانى اعراض «(فلسفة)» شاعر ساذج ، مرفه الاحساس ! .. لكنه لكى يريح ذهن الفتى في هذا الصدد يعرض عليه منصب السكرتير الخاص له ، فيقبل ارنست العرض مرحبا .. ثم يمضى جوليان الى بعض اعماله تاركا ارنست وحيدا .. مع تيودورا ؛

ارنست : لقد كنتما دائما شديدى العطف على . كيف استطيع ان اوفيكما يوما بعض دينكما ؟

(ويتهالك جالسا على الارىكة في تآثر بالغ ، بينما تعبر تيودورا الغرفة الى حيث جلس وتظل واقفة الى جواره ..)

تيودورا : تستطيع أن توفي
ديننا بتطليقك الخوف والريب !
وفيما هما يتحدثان هكذا يهبط
الليل رويدا ، وتفرق الحجرة في شبه
ظلمة .. وفي هذه الاثناء يقبل من
الخارج «دون سيفيرو» شقيق جوليان ،
وزوجته «مرسيدس» .. فيسمعان
لفظ الحديث من داخل الغرفة دون ان
يميزا الالفاظ :

مرسيدس (الى زوجها دون
سيفيرو ، في صوت هامس) :
انه ارنست .. !



انهما دائما معا !

سيفيرو (الى مرسيدس) : وتيودورا !

مرسيدس : انهما دائما معا .. !

سيفيرو : لا عجب اذن في ان يتكلم الناس عنهما .. يجب ان
ننبه جوليان !

مرسيدس : نعم وننذر تيودورا .. !

◆ وهكذا يتدخل الفضوليان بين الزوجين !.. وفي اثناء انهماكهما في تسميم
اذهان جوليان وتيودورا ، يتوالى ابنهما «بييتو» التأثير في قلب ارنست المرهف
بشرئته الشريرة !.. ويلج ثلاثتهم في الايحاء لضحاياهم بان كل تلك الاقاويل
ليست من ثمار افكارهم الخاصة .. كلا .. بل هي صورة دقيقة لما سمعوه من
افواه الناس . فان الجميع يتحدثون في الامر ، لاسيما وان جوليان في الاربعين ،
بينما زوجته تيودورا لم تتجاوز العشرين ، وارنست شاب انيق جذاب ..
فلم لا يتكلم الناس ؟!

ونتيجة لهذا التدخل الاثم لا يستطيع الاصدقاء الثلاثة - دون جوليان ،
وتيودورا ، وارنست - ان يحتفظوا كل نحو الآخر بالود الصريح البريء الذي
كان يشعر به من قبل ، وان ظلت صلتهم في الظاهر كما هي .. انهم يأنون

السماح لالسنة المجتمع الشريرة ببث الكراهية في قلوبهم مكان الحب الخالص. وحين يحل موعد العشاء يلج جوليان على ارنست في أن يتأبط ذراع زوجته ، كالعادة ، قائلا له : «لست أعبأ البتة برأى الناس ! .. دع الناس يثرثرون ويتهامسون ، بل دعهم يتصايحون ، فان براءتنا هي خير دفاع في جعبتنا .. !»

لكن بذرة الشك قد زرعت في ذهنه ، وبدأت تنمو وتكبر ! .. وفيما هو بهم بدخول غرفة المائدة يستدير الى أخيه سيفيرو متسائلا :
جوليان : لماذا ينظر ارنست وتيودورا الى هكذا ؟ لماذا ؟
سيفيرو : أخيراً بدأت تعود الى صوابك !
جوليان : تقصد ان تقول انى بدأت أصدق ترهاتك .. لقد سددت فريتك جيدا فسلكت سبيلها مباشرة الى القلب !

- ٢ -

◆ فاذا كان الفصل الثانى فقد تعقدت الامور ، وترك ارنست بيت جوليان وتيودورا ! .. وهو الآن في طريقه لان يبحر الى أمريكا الجنوبية كي يشق مستقبله في مجاهلها .. ولكن قبل ان يسافر يتعين عليه أن يواجه أمرا هاما : ان يبارز ندلا حقيرا يدعى الكونت «نبرادا» ، لتطاوله على سيرة تيودورا على ملا من الناس ! .. وقد اختيرت لاجراء المباراة غرفة خالية تقع فوق مسكن ارنست المؤقت ..

لكن جوليان يعلم بامر المباراة المزمع أن تتم ، فيعتزم أن يسبق ارنست اليها : «فان الاهانة التى توجه الى زوجتى يجب أن أرفعها انا ، وليس هو !» .. وهكذا يختار جوليان شقيقه سيفيرو شاهدا ويتوجه الاثنان الى الغرفة المقصودة ، لاتمام المباراة .. بغير علم ارنست !

وفي هذه الاثناء تعلم تيودورا بنبا المباراة الفتيدة أن تجرى بين ارنست والكونت نبرادا ، فتهرع الى مسكن الشاب مدعورة ، رغم أن صداقتها قد فترت واعترتها الكلفة :

ارنست : ان الشياطين الصفار الذين ينسجون خيوط

الافتراءات الظالمة في الخفاء قد افلحوا في بلوغ غايتهم .. !
تيودورا : لم تعد الاحوال ملائمة الآن يا ارنست ، فهناك هوة بيننا .. !

ارنست : انت على حق يا تيودورا .. لم يعد في وسعنا الآن ان نحب احدا الا آخر كأخ واخت .. ولن يستطيع الناس ان يفهمونا اذا فعلنا !

تيودورا : ولا انا استطيع ان افهم الناس ..
ارنست : ما كان يجب ان تأتى يا تيودورا .. فلو رأنا احد هنا؟

وهنا تبوح له تيودورا بسبب قدومها :

تيودورا : يجب الا تقدم على المبارزة !

ارنست : لماذا ؟

تيودورا : انه ليزعجنى ويفزعنى ان افكر في الدم الذى سوف تريقه من اجلى ! .. ثم يجب الا تغرب عن بالك الفضيحة ..
ارنست : اية فضيحة .. ؟

تيودورا : كل الناس يتحدثون عنا ، ويشيرون نحوى باصبع الاتهام والتحقيق ، لان الذى يدافع عن شرفى هو انت ، وليس زوجى .. !

◆ لكن ارنست يصر على ان يكون هو - دون غيره - الذى يبارز الكونت نيرادا : «فلو قتلته فسوف يربح الناس، اذ يتخلصون من نذل ! .. واذا قتلتنى هو اكون انا الرابع ، اذ اتخلص من الناس .. !»

وهنا تعمد تيودورا الى التوسل والمناشدة ، بعد ان فشل سلاح الجدل والمناقشة .. ودون ان تشعر ترق تدريجيا عباراتها ، وتوسلاتها ، فيتحول



الصديق في لهجتها الى عشيق ! .. ثم تتعطل لغة الكلام، فيلوز كلاهما بالصمت ..
ويطول صمتهما دون أن يجرؤ احدهما على النظر الى الآخر !
وفجأة يقطع حبل الصمت صدى اقدم تقترب من باب الحجرة ، فيشير
ارنست الى تيودورا كي تختبئ في الحجرة المجاورة ! .. ولا تمضي لحظات
حتى يحمل جوليان الى المكان مصابا بجرح خطير ، ويحدج «سيفيرو» - الذي
كان يحمل الجريح - «ارنست» بنظرة تنطوي على البغض الشديد :
سيفيرو : انت السبب فيما حدث ! ..
ارنست : دون جوليان ! .. صديقي ! .. رب نعمتي ! ابى ! ..
جوليان (بصوت خفيض) : لا بأس يا ابني .. لقد أدت انت
واجبك ، وانا واجبي !
سيفيرو : اسرع .. الالم يكاد يقتله .. خذه الى مخدعك ،
أرحه على فراشك ..
ارنست : كلا .. ليس هناك !
سيفيرو : ولم لا ؟ من في تلك الغرفة ؟

♦ وفجأة يفتح الباب على مصراعيه ، وتظهر على عتبة تيودورا ! ..
فيتحامل جوليان على نفسه ويصيح كمن لا يصدق عينيه : «من هناك ؟
تيودورا ؟» ثم يقع على الارض مفشيا عليه ! ..

- ٣ -

♦ فاذا كان الفصل التالي فقد بارز الشاب «ارنست» غريمه الكونت
نيرادا ، وقتله ! .. بينما حمل جوليان الى بيته، حيث رقد في حالة احتضار ..
ويأتي ارنست ليستفسر عنه ، فيلتقي بـ زوجة اخى جوليان - مرسيدس -
وابنها بيتو :

ارنست : مرسيدس ، بحق الرحمة اجيبينى .. آه لو علمت
بمبلغ عذابى ! .. أخبرينى ، هل جوليان .. ؟
مرسيدس : انه يعاني اثار جرحه الخطير ، وهو يمقت مجرد
ذكر اسمك ! .. ابرح هذا البيت ! ..

♦ لكن الفتى يابى الخروج ، وانما هو يتوسل كي يرى جوليان ويتحدث

اليه ولو بكلمة واحدة يؤكد له فيها براءة تيودورا : «ان السنة الناس الشريرة قد قتلت شرف ثلاثة ، وسمعة ثلاثة ، وارواح ثلاثة .. انهم قد دفعونا الى قلب دوامة رهيبه من الاكاذيب والابتذال .. الناس يقولون ان جوليان اخذ مكانى فى منزلة «نبرادا» ، واننى تأخرت فى الحضور لاننى كنت بين ذراعى (..) رباه ! ان شفتى تابيان النطق ببقية العبارة ! .. ابحتى ياسيدتى عن أقدر شىء يمكن أن تجديه ، حثالة و «وحل» النفس البشرية ، والقيها الى الرياح الاربع كى تذروها فى كل اتجاه ، وتلطخ بها كل اللسنة والشفاه .. وعندئذ تتجمع لك عناصر هذه المأساة ، التى هدمت حياة رجلين شريفيين وامرأة نبيلة .. !»

وبعد أن يطلق الفتى العنان لسخطه وحنقه على هذا النحو ، يعود فيستعطف مرسيدس كى تسمح له بأن يرى جوليان لحظة واحدة، والا فقد عقله! ولكن ، مرة اخرى تجابهه المرأة بالرفض البات : انه لن يرى جوليان ! .. وان كان يستطيع اذا شاء أن يودع تيودورا ، بشرط ان لا يطأ البيت مرة اخرى! ويلتقى ارنست وتيودورا ، على انفراد :

تيودورا : ارجوك ان تذهب يا ارنست .. وانى اغفر لك كل الشر الذى جلبته علينا

ارنست : الشر الذى جلبته «انا» عليكما ؟

تيودورا : ارجوك ان تذهب ، فان جوليان يتعذب فى الغرفة المجاورة .. وانا اتعذب هنا

ارنست : وانا أأست اتعذب بدورى ؟

تيودورا : اغفر لى اذا كنت قد أسأت اليك ..

◆ وعند هذه الكلمات يغلب على ارنست التأثر فيخر جاثيا على ركبتيه امامها ويتناول يدها .. فى الوقت الذى يظهر فيه سيفيرو عند الباب ويراها معا ! .. فيامر ارنست بمبارحة البيت فورا ، ثم يستدبر نحو تيودورا قائلا : «اما انت .. فاخفى رأسك الى الارض خزيا وعارا !»

ويمسك بها من خصرها فى وحشية محاولا ان يجبرها على ان تجثو عند قدميه ، فيلقى ارنست بنفسه عليه ويخلص تيودورا من قبضته .. ويبلغ ضجيج الصراع مسامع جوليان فينهض من فراشه ويقبل مترنحا :

جوليان : سيفيرو ، لقد خدعاني .. كذبا على ! الآن ارى وافهم كل شيء بوضوح ..

ارنست : انك تراه من خلال ذهنك المحموم يا ابى ..

.. لكن جوليان يصر على ان زوجته وربييه قد خاناه ، ويصيح بالآخر :

جوليان : اعترف باثمك .. !

ارنست : ليس ثمة اثم !

◆ فيصفه جوليان على وجهه بقوة تستثير شفقة مرسيدس ذاتها ! ..

بينما يهتف زوجها سيفيرو في ارتياح : «هذا جزاء عادل .. !»

اما جوليان فيعود وهو يترنج الى الغرفة المجاورة ، مستندا على ذراعى

سيفيرو ومرسيدس. وتحاول تيودورا ان تتبعه، لكن سيفيرو يتصدى لها صائحا:

سيفيرو : اخرجى من هذا البيت فورا .. اخرجنا كلاكما .. !

تيودورا : هل هذه رغبة زوجى .. ؟

سيفيرو : زوجك قد مات .. !

.. ويامر ابنه بيتو بان يطرد تيودورا الى الطريق : «فى التو واللحظة..»

اتسمعين ؟ لقد دنست هذا البيت بما فيه الكفاية !»

ارنست : احذروا من ان يمس احدكم هذه المرأة باى اذى ،

فانها تخصنى ! .. هذه ارادة الناس ، وانا اقبلها !

سيفيرو : اخيرا رفعت النقاب عن نواياك أيها النذل !

ارنست : انت على حق .. اخيرا أصبحت انا عاشقها المتيم ،

ومغويها الشرير ، وكل ما اردتنى ان اكونه .. فاعلن ذلك ..

اعلنه على الملأ .. واذا سألوك من كان الوسيط فى هذه الصفقة

الاثمة فقل انه انت ! انت .. انت وامثالك من ذوى الالسنه

القدرة والقلوب الشريرة التى صاغت منى على هواها صورة

طبق الاصل من شخصك .. !

تعالى يا تيودورا ، اننى استطيع ان ارى خيال امى تطبع

قبلة على جبينك الطاهر .. انك تخصيننى انا الآن ، ولتكن

السماء حكما بين الناس وبينى .. !

(ستار)

عزيزى القارىء ..

قرأت معى فى الاعداد السابقة من (كتابى) - فى هذا الباب - الكتب النفسية التالية : « كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل .. ثم « طريق السعادة الزوجية » لفريدريك برينك .. و « مركب النقص - اسبابه وعلاجه وامثلته عند العظماء » تأليف و. ج. ماكبرايد .. و « حواء الجديدة - مرشد المرأة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده » للدكتور كورتنى بيل .. و « كيف تقهر الخجل » تأليف س. ه. تيار .. و « كيف تقهر القلق » تأليف جون كنيدي

وفى العدد الماضى قدمت لك « فن الحب » ، وهو الفصل الاول من كتاب « اندريه موروا » الممتع الخالد : (فن الحياة) .. واليوم اقدم لك الفصل الثانى منه وهو « فن الزواج » .. يليه فى الاعداد القادمة باذن الله : فن الصداقة ، فن الحياة العائلية ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن الشيوخوخة ، فن الصداقة ، فن الحياة العائلية ، فن السعادة .. الخ

خوافز الحياة



التفكير ،
والجنس ..
والمجتمع ..



اندريه موروا
فن الزواج

L'ART DE
MARIAGE
par
ANDRÉ MAUROIS

فن الحب .. وفن الزواج

◆ **إذا** كان فن الحب هو فن تحويل الرغبة الطارئة الى عاطفة نفيسة .. فلا بد أن تواجهنا في صده حالة رجل يتصدى له القانون أثناء ممارسته هذه الرغبة بالقول : « **قف ! أنت لا تستطيع الاستسلام لغرائزك الطبيعية ما لم توقع عقدا شرعيا يربطك بالمرأة التي تشعر نحوها بهذه الرغبة ، وبالأطفال الذين قد يولدون نتيجة هذا الارتباط !** »

وهذا الرباط قد يصعب حله ، أو يسهل ، باختلاف الازمان والعادات السائدة والاديان المختلفة : فالمسلم يستطيع أن يطلق زوجته بايقاع يمين خاصة ، أى النطق بعبارة معينة بسيطة .. بينما الكاثوليكي لا يستطيع أن يتحرر من زوجته الا اذا منحته الكنيسة قرارا بالغاء زواجه ، وهو اجراء يكاد يدخل في باب الامر النادر ، بل المستحيل في أكثر الاحوال ! .. وبين هذين الدينين المتناقضين توجد أديان ومذاهب تتوسط في أحكامها فتجيز الطلاق في حالات قليلة محددة ، وبشروط خاصة ..

وأحيانا يعزز الشرع رباط الزواج القانوني بالقوة ، فيخرقه أحد الزوجين سرا ، سواء في خفية عن الآخر ، أو بعلمه وموافقته ، أو تسامحه ! .. وأحيانا أخرى - كما في أميركا مثلا - يسهل فصحى هذا الرباط الشرعى بعد اتخاذ اجراءات بسيطة مرسومة ..

وسواء سهل الطلاق أم أحيط بضمانات صارمة ، فالثابت أن الاقبال على الزواج ماض في ريقه أمس واليوم وغدا ، في أربعة أركان المعمورة ! .. وفي رأيي ان هذا هو الاتجاه الصحيح - كما سأوضح فيما بعد - أما الان فلادع خصوم الزواج يبدون وجهة نظرهم أولا :

دون جوان .. والزواج

♦ **أول** وأهم اعتراض جدى على الزواج هو الذى عبر عنه الشاعر الانجليزى (شيلي) بقوله : « ان الحب يموت حين يقيد بقيود .. وان دوافع العاطفة أو بواعثها، أو محرقاتها، لا تخضع بطبيعتها لنظام ، ومن ثم لا يمكن أن يحكمها قانون ! » .. ويعلل خصوم الزواج فرض هذا الرباط الشرعى على الحب ، رغم انه مضاد له بطبيعته ، بقولهم : « أن من مصلحة النساء دائما أن يأسروا - مدى الحياة - الرجال الذين بلغ بهم التهور ان أحبوهم ! » ولا حاجة بنا الى القول ان جميع خصوم الزواج هم من الرجال .. !

ويسخر برنارد شو فى كتابه «الانسان والانسان الاسمى» من الزواج ، على لسان بطله « دون جوان » ، بقوله : « عندما كنت فى الارض ، وكنت أعرض على النساء تلك العروض التى يعتبرها المجتمع منافية للاخلاق ، وهى نفسها التى جعلت لى هذه الشهرة العالمية و خلقت منى بطلا من أبطال الاساطير ، كانت كل امرأة منهن تعرب عن قبولها لما أعرض بشرط أن تكون تلك العروض غير منافية للشرف ! .. فاذا سألتها عما تعنى بذلك أجابت أنها تطالبنى بالامور الآتية : أولا ان احرص على رفقتها الدائمة لى ، وأطلب مشورتها ، واكفل لها حق التحدث معى حتى آخر ايام حياتى . وأن أعرض نفسى للعقوبات اذا لم أظل طيلة عمرى مفتونا بتلك الرفقة والمشورة والاحاديث ! ... **ثانيا** - أن ادير ظهري لجميع نساء الارض الاخريات ، مدى الحياة ، من أجلها ! .. ولم أعترض أنا على هذه الشروط لانها تعسفية وغير انسانية ، فحسب .. بل كان اعتراضى لانها غير معقولة أو مقبولة أصلا ! .. قلت بصراحة تامة : أولا - أنه اذا لم تكن شخصية المرأة وذكاؤها يساويان أو يفوقان شخصيتى وذكائى ، فان أحاديثها

سوف تهبط بمستواي ، ومشورتها سوف تضللني وتقودني الى
الاطفاء، ورفقتها الدائمة سوف تضجرني وتثقل علي . . وانني لا
أستطيع الارتباط بعواطفى لمدة أسبوع واحد مقدما ، فكيف
أضمن تعلقها بشخص ما مدى الحياة ؟ . . وثانيا - ان الحيلولة
بينى وبين الاتصال بغيرها من النساء مدى الحياة سوف تضللني
وتضيق أفق عقلى وقلبى اذا خضعت لها والتزمتها . . أو تلقى بى
الى أحضان اللعنة المسماة « الخيانة الزوجية » اذا تمردت عليها !
. . وأخيرا، ان العرض الذى تقدمت به الى هذه المرأة - أو تلك -
لا يتصل بشيء من هذا كله على الاطلاق، وانما هو نتيجة طبيعية
لميل غريزى بسيط للغاية : هو ميل رجولتى نحو أنوثتها »

وخلاصة هذا الاعتراض الاول على نظام الزواج هو أنه
يفرض الاستقرار فى شيء غير قابل بطبعه للاستقرار . . ويطلب
الدوام لشيء لا يمكن أن يدوم ! . . والجميع متفقون على ان
الحب الجنى غريزة طبيعية مثل الجوع أو الظمأ . . لكن دوام
الحب ليس أمرا غريزيا . . فاذا كان الحب الجنى يتطلب
التغيير ، ففيم اذن هذا النظام القائم على الوعد بالحب لشخص
واحد ، مدى الحياة ؟

الزواج يضعف الشجاعة

◆ **والاعتراض الثانى على الزواج هو أنه يضعف شجاعة**
الانسان ونشاطه العقلى ، وفى هذا يقول رومان رولون : « الرجل
المتزوج ليس أكثر من نصف رجل ! » . . ويحدثنا رديارد كبلنج
عن الكابتن « جادسبى » ضابط السوارى الذى تزوج فصار زوجا
ناجحا وضابطا فاشلا، فان حرصه على انقاذ حياته من أجل
زوجته وولده جعله لا يحارب بنفس البسالة النارية التى كان
يحارب بها قبلا . . !

ويرى السياسى الفرنسى العظيم « بريان » ان السياسى
ينبغى أن لا يتزوج : « فلننظر الى الحقائق ونواجهها .. لقد
استطعت طيلة كفاحى الشاق لتكوين مستقبل مستقبلى أن أحتفظ
برصانتى وصفاء ذهنى ، لانى كنت أخلد الى الراحة فى المساء
بعد مجهود اليوم الشاق . لم تكن لى زوجة طموحة غيورة تذكرنى
فى كل حين بنجاح زملائى وتذكر لى الانتقادات التى تقال
ضدى ! .. كانت لى قوة الذين يحيون بمفردهم ! » .. فالزواج
يجعل الرجل قابلا للعطب ، ويعرض سفينة حياته العملية لشتى
المخاطر بمضاعفة مساحة « الشراع » المعرض لعواصف الحياة
الاجتماعية .. !

هل تفضل الاديان العزوبة ؟

◆ **فاذا انتهى خصوم الزواج من اثبات هذا الاعتراض الثانى**
انتقلوا الى الذى يليه ، وهو حكم المنطق والادلة .. فقالوا :
ألم تعترف الكنيسة الكاثوليكية نفسها - التى تفضل الزواج على
العزوبة - بأن العزوبة أليق بكرامة الرجل وهيبته ، وفرضتها
على قساوستها وكهنتها ؟ .. مكررة فى كل مناسبة أن لا شئ
أدعى الى الضحك والسخرية من فيلسوف متزوج ؟ فهو ان
استطاع تحرير نفسه من ضعفه لن يستطيع أن يحرر منه زوجته ،
والمرأة دائما هى أقوى الزوجين من ناحية التأثير المعنوى ، فضلا
عن أن المستوى العقلى لحياة الزوجين يكون عادة هو مستوى
الشخص الاضعف منهما ..

والاعتراض الرابع الذى يسوقه أعداء الزواج هو أن الشباب
والفتاة اللذين يتزوجان انما يرتضيان باختيارهما تطبيق الحياة
العاطفية والمغامرات وسحر التعارف المستمر بأشخاص جدد
من الجنس الاخر ، والنشوة العجيبة التى يحدثها الوقوع فى
الحب كل مرة .. وبتطبيقهما ذلك كله يطلقان المنبع الرئيسى

للمشاطر النفسى والحسى ، ويحكممان على نفسيهما بالجمود
والبلادة السابقين لاوانهما ، فينهيان حياتهما وهى لم تكد تبدأ
.. ولا شىء يمكن أن يبدد ملل وسامة الحياة المبينة على
الواجبات والمسئوليات ، اذ لا يلبث حب الزوجين أن تشوبه
أثقال المتاعب البيتية وتربية الاطفال .. فيبلغ الزوجان أرذل
العمر دون أن يستمتعا بهجة الشباب التى لا يحققها غير الحب
العنيف .. والزواج يقتل هذا الحب .

دفاع أنصار الزواج

♦ **تلك** هى حجج خصوم الزواج ، وهى من القوة بمكان ..
ولكن رغم ذلك كله فان نظام الزواج قد عاصر شتى الاضطرابات
والانقلابات السياسية والدينية والاقتصادية مدى آلاف السنين ،
وبدلاً من أن يتلاشى أو يضعف نراه قد ازداد قوة عن ذى قبل ..
فلنحاول فهم الاسباب الاجتماعية العميقة لاستمراره وثباته ..
فالبشر بطبعهم أنانيون ، وهذه ليست جريمة ، فهم يجب
أن يكونوا كذلك كى يعيشوا ويتغلبوا على عوامل الفناء .. وهم
يملكون فى ذواتهم غريزة حفظ النوع التى تدفعهم - كما يقول
سبينوزا - الى السعى وراء الامان ، والطعام والمأوى ، حتى لو
كان ذلك على حساب اخوانهم .. ولو لم يملك البشر سوى هذه
الغريزة لاستحال عليهم انشاء مجتمع بشرى والمحافظة عليه ،
ولصيرتهم الانانية وحوشا يلتهمون بعضهم البعض .. ومن هنا
وجدت غرائز أخرى فى مثل قوة غريزة حفظ النوع، كى تستنفذ
نشاطهم وسعيهم وأفكارهم .. وأهم هذه الغرائز الاخرى التى
تشتبك فى صراع مع غريزة النوع ، غريزتان : الغريزة
الجنسية .. وغريزة الامومة . ومن هنا نجد الحيوانات
المتوحشة ذاتها تنسى وحشيتها وتأخذ فى ملاطفة انائها
وهدهدة صغارها ، فى فترات الحب والامومة .. وهكذا ، عن

طريق تكوين العائلات ، أو الخلايا الصغيرة في جسم المجتمع ، تغلبت البشرية على الانانية الغريزية في الانسان .. لان التضحية تصبح في العائلة أمرا طبيعيا يسير جنبا الى جنب مع الرغبة الجنسية والامومة ...

وهذا يتطرق بنا الى الحجة الاولى من حجج أنصار الزواج، اذ كيف يبني الانسان خلية اجتماعية دائمة تقوم على الرغبة الجنسية اذا كانت هذه الرغبة تغير وتبدل أهدافها من البشر كل حين ؟ كيف يبني الرجل بيتا اذا كان يغير المرأة كلما راق له ؟ وكيف تؤسس المرأة أسرة مؤلفة من والدين واطفال اذا كانت تغير رجالها كلما شاء لها هواها ؟ ..

من هنا وجد الزواج، أى الرباط الذى يكفل استمرار الصلة بين الرجل والمرأة ، وحماية المرأة من الرجال الآخرين، وحماية أطفالهما من عاديّات الزمن !

العاشق ليس أسعد من الزوج !

◆ وهنا قد يحتج « دون جوان » - باعتباره ممثل وجهة نظر أعداء الزواج - بأنه لا يبالي بالخلية الاجتماعية أو حفظ النوع ، وان الحياة فى نظره هى تجديد مستمر للرغبة والمتعة دون قيود .. ولكن هل صحيح ان حرية تغيير العشيق كل حين ، تجلب السعادة ؟ بل هل صحيح ان العاشقين غير المتزوجين يستمتعان بحرية تفوق حرية الزوجين ؟ الواقع ان الحب بين غير المتزوجين لا يقل قيودا عن الزواج .. فان المشاكل التى تعقد الحياة الزوجية وتنقصها - مثل المشاجرات، والغيرة ، والملل واختلاف الاذواق - توجد فى كل صلة بين رجل وامرأة ، شرعية كانت أو غير شرعية .. والحب الحر ليس فى الواقع حرا ! .. واذا أردت مثلا على ذلك فاقرا قصة غرام الموسيقى « ليست » و « مدام داجول » .. أو اقرا - فى

قصة أنا كارنينا - الفصل الذى يصف فرار « أنا » مع « فيرونسكى » ، تجد فيرونسكى يعانى من شكوك عشيقته وخوفها من فقدہ أضعاف ما يعانىہ الزوج من مضاعفات الزواج ... !



خلاف ... !

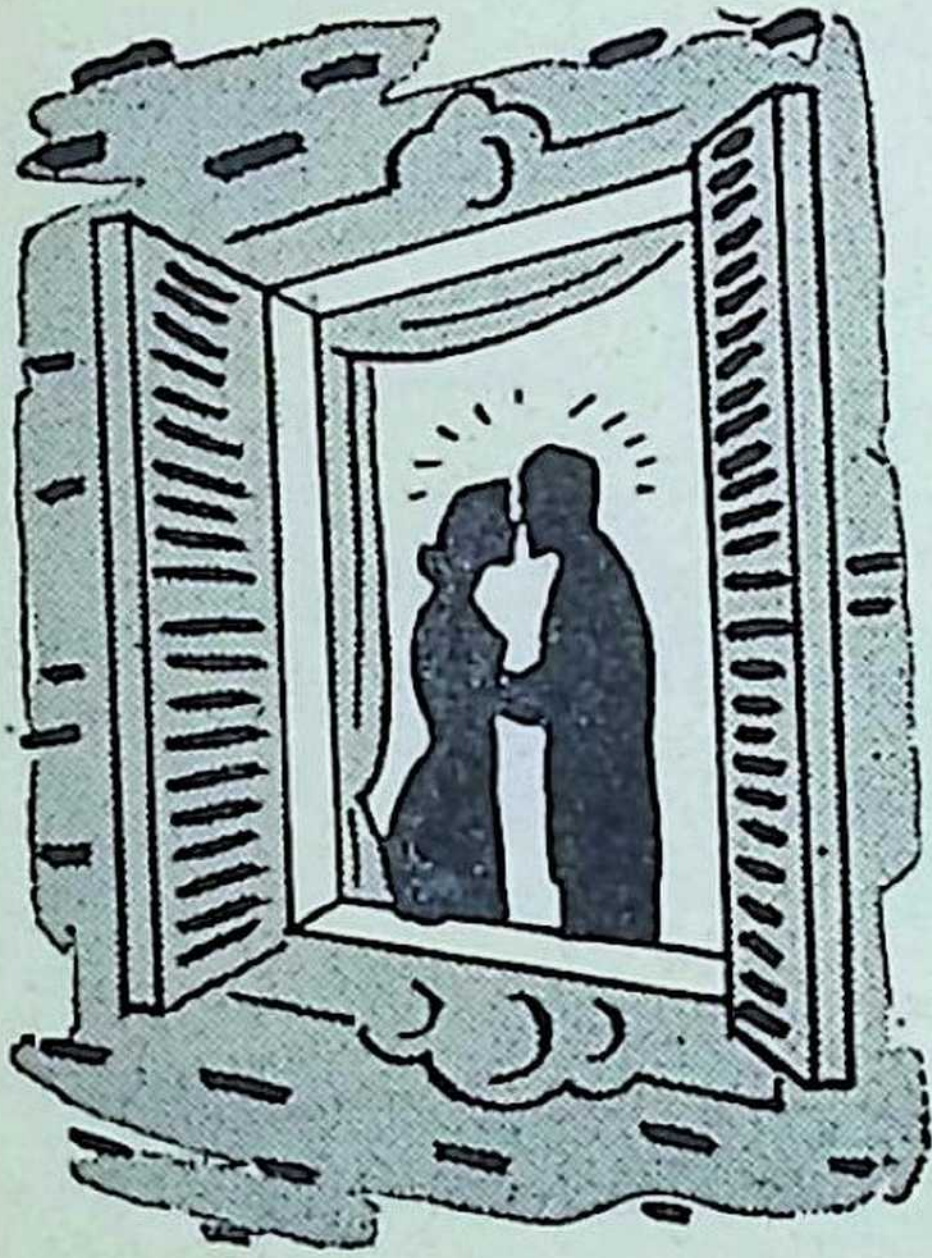
الزواج رابطة... لمصلحة الطرفين

♦ **والحجة الثانية من حجج أنصار الزواج** هي أن أى حب لا يخلو من اختلاف ومشادات بين الحبيبين ، بين الحين والآخر

... فاذا لم يكن هناك رباط مقدس يربط بينهما فان أى خلاف أو مشادة بينهما قد تؤدي الى انفصالهما ، الذى لابد أن يندما عليه بعد وقوعه ... وبالمثل تتعرض صلة الحبيبين للانقطاع فى كل مناسبة تتهددها ، مثل مرض أحدهما زمنا طويلا ، أو بلوغ أحدهما طور الشيخوخة ، أو غير ذلك من الازمات التى ينعكس تأثيرها فى حالة الزواج فتقوى من الرابطة بين الزوجين بدلا من أن تضعفها أو تنهيها ... فالزواج هو الرابطة الوحيدة التى يزيدها « الزمن » قوة على قوة ... !

والحجة الثالثة فى تأييد الزواج هي أنه خير صلة تحقق

التفاهم بين الجنسين وتغذى التجاوب الروحى بينهما ... فالزوج بحكم خبرته الكاملة بنفسية زوجته يستطيع أن يفهم النساء عامة فهما أعمق من فهم الاعزب لهن ، ومن يفهم النساء يستطيع أن يفهم الحياة كلها فهما أدق وأصوب ... والاعزب



وفاق .. !

مخلوق غير اجتماعي ، وحريته
حرية أقرب الى الفوضى ..
ثم ان انشغال العوانس والعزاب
بأنفسهم انشغالا متزايدا كلما
تقدموا في السن قد يفقدهم
اتزانهم العقلي ، فالعزوبة بالنسبة
للرجل العادى - وقد يستثنى
من ذلك الفنانون - تؤدى الى
انحطاط مستواه الذهني
وتدهوره .. فضلا عن ان انغماسه
في ملذاته الجنسية الحرة لا
يمنحه عشر معشار سعادة الزوج
والاب ورب العائلة في الزواج
الموفق .. ناهيك بما يحسه

الاعزب المتقدم في السن من وحشة كثيبة وفزع من الموت ،
يصاحب غالبا كل معيشة متحررة من القيود .. واذا كانت
حياة المرأة مع الزوج عسيرة فان حياتها مع العشيق أشد
عسرا وتعقيدا .. !

فشل الغاء الزواج في روسيا

ولعل أحدث تجربة بصدد المفاضلة بين الزواج والعشق
الحرام هي التجربة التي قامت بها روسيا بعد ثورتها
الشيوعية .. فقد حاول المجتمع الروسى أن يلغى الزواج في
البداية ، أو يجعله حبرا على ورق .. ولكن لم تمض سنوات
حتى أيقن الجميع - نساء ورجالا - أنهم أشقى بكثير مما كانوا .
وقد عبرت امرأة روسية عن هذا المعنى في رسالة كتبتها الى
حبيبها وقالت فيها : « أريد سعادة ولو ضئيلة خاصة بى ،
وقفا على ، سعادة شرعية ! .. انى احلم بركن هادىء استطيع
أن أنفرد بك فيه .. ألا يفهم المجتمع أن هذه ضرورة انسانية ؟ »

زواج الحب

◆ قد يحدث أن يتم الزواج نتيجة حب سابق بين الرجل والمرأة ، لكن الامر ليس دائما كذلك . . . ففي العصور القديمة وفي أكثر الشعوب الشرقية يتم الزواج ضد رغبة أحد الطرفين أو كليهما ، نتيجة اتفاق الاسرتين مثلا ، أو وساطة الوسطاء . وكثير من هذه الزيجات غير المبنية على الحب تكون سعيدة موفقة ، وأحيانا أسعد من مثيلاتها المؤسسة على الحب . . . وهذا أمر يسهل تعليله : فان الحب العنيف يولد أحلاما خيالية لا يمكن أن تتحقق في الحياة الواقعية . والعشاق حين يتزوجون يصابون غالبا بخيبة أمل ، لانهم كانوا يتوقعون من الزواج سعادة تفوق ما يمكن أن تسمح به الحياة نفسها . . . وفي أمريكا تتم أكثر الزيجات نتيجة حب سابق ، لكن نسبة الطلاق في أمريكا تفوق نسبتها في أكثر البلاد الأخرى أيضا . . ! فالشباب العصري يحلم بزوجة في جمال كواكب السينما واناقتهم . . لكنه يغفل عن حقيقة هامة - بل حقائق - تنكشف له بعد الزواج . . من هذه الحقائق ان جمال كواكب السينما أكثره خداع مصور بارع ، والجزء الحقيقي منه يساهم فيه جيش من خبراء الجمال والحلاقين والمزينين والمدلكين ، فهو جمال مصنوع لا مطبوع . . !

والشباب العصري يجهل أيضا أنه خلال حياته الزوجية سوف يقع بصره على زوجته بشبابها البيئية وشعرها المشعث ومزاجها الحاد . . والشابة العصرية تجهل بدورها أن الرجال أنانيون بطبعهم ، وانهم كثيرا ما يكونون منهوكي القوى بسبب أعمالهم فيعودون الى بيوتهم في حالة يرثى لها من العصبية وحدة الطبع .

فماذا تكون النتيجة ؟ . . يصاب الزوجان بخيبة أمل ، وبدلا من أن يقولوا لنفسيهما أن لا شيء في هذه الدنيا كامل ،

ولا حتى الحب ، تراهما يحسبان أنهما قد أخطأ الاختيار ،
وان الكمال يمكن أن يوجد في شريك حياة آخر .. ومن ثم
يسعيان الى الطلاق ويحصلان عليه ، فيأخذ كلاهما في البحث
عن الشريك الجديد . ثم تتكرر المأساة ويتكرر الطلاق ،
فالأزواج ، فالطلاق .. حتى تعلمهما الشيخوخة والتجارب ان
يقبلا التسامح واللين ، أو ((الحل الوسط)) الذي كان ينبغي
أن يقبلاه في حبهما الاول ! .. ولو انصفت الجامعات والمدارس
لادخلت في برامجها دراسة أساليب « التسويات » الزوجية ،
أى التقابل في منتصف الطريق .. ثم دراسة نفسية الأزواج
والزوجات .. فان الزواج الناجح هو الذي يقوم على التسوية
والتراضى ، والتسامح ، لانه من العسير بل المستحيل أن يوجد
انسانان يتفقان في الطباع والعادات والميول ، فاذا لم يوطن
كل طرف نفسه على شيء من التضحية ، وقدر من التساهل
والتراجع عن مطالبه ، واذا لم يتعلم كيف يقابل الشجار
بالمزاح .. فقل على الحياة الزوجية السلام ! ..

المشكلات الجنسية

◆ على أن أصعب ما يمكن تسويته من أبواب الخلاف
الزوجي هو باب الخلاف الجنسي .. ولا شك أنه توجد حالات
يتم فيها التوافق الجنسي الناجح بين زوجين ذوى طبيعة
حارة مثلاً ، ولكن في أكثر الحالات تمتع المرأة زوجها دون أن
تستمتع هي باللذة الجنسية .. ويزيد من عذابها ما تقرأه
في القصص والاشعار عن العالم الساحر الذي يعيش فيه غيرها
من النساء ! .. ولا بد لتحقيق التوافق الجنسي الكامل بين
الزوجين من أن يكيف كل منهما طبيعته وفق طبيعة الآخر :
بالصبر الجميل ، والمحاولات المتكررة ، والتسامح المتبادل ،
والتقدير السليم .. وهذه المشكلة تواجه المتزوجين زواج حب

مثل ما تواجه المتزوجين زواج مصلحة ، على السواء . .

والمشاهد ان زواج المصلحة قد بدأ فى التناقص منذ نهاية
الحرب العالمية الاولى (سنة ١٩١٨) وأخلى مكانه لزواج الحب،
أو فى القليل لزواج « الرضا المتبادل » بين الطرفين نفسيهما،
لا التراضى بين أسرتيهما ! . . وهكذا صارت المرتبة الاولى من
الاعتبار للنظرة الجذابة ، والطبع الرضى ، والتوافق فى الذوق
والميول الجثمانية والذهنية . . بعد أن كانت للمركز الاجتماعى
والمكانة الشخصية أو الثروة المالية ! . . ورغم ذلك فان اجتماع
الجاذبية الجنسية والذهنية المتبادلتين معا ، غير كاف لتكوين
زيجة سعيدة . . وسواء كانت الزيجة زيجة حب أو مصلحة
فان الشرط الاساسى الذى لا بد من توافره لتحقيق السعادة
الزوجية هو أن تصح نية الطرفين ورغبتهما المخلصة من
البداية على أن يكون زواجهما زواجا دائما . . أما لو قال
الرجل لنفسه وهو مقدم على الزواج : « اذا سئمت زوجتى
فسوف أخونها سرا مع نساء أخريات ! » . . أو لو أضمرت
المرأة هذه النية : « اذا لم يعجبني زوجي فسوف أحصل على
الطلاق ! » فان زواج مثل هذين الطرفين لا يمكن أن يدوم . . !
واذن فخير مسلك ينبغي أن يسلكه كل من الزوجين هو
أن يبيت النية على قمع نزواته وشهواته ، ويقسم لنفسه هذا
القسم : « انى أقيد نفسى بشريكى هذا مدى الحياة ، ومنذ الان
سيكون هدفى : ليس ان أبحث عن شخص آخر يتمتعنى
ويسعدنى ، بل أن أمتع وأسعد هذا الشخص الذى اخترته ! »
. . فاذا كان هذا القسم جديا « ومخلصا » فهو قد يكفى وحده
لتحقيق الزواج السعيد .

صعوبات الحياة المشتركة

♦ أن مصاعب الحياة المشتركة كثيرة ومتشعبة .. والسبب الرئيسي لها هو الاختلاف الطبيعي بين أساليب تفكير ومعيشة كل من الجنسين وأساليب الجنس الآخر ، وإن كان الاتجاه الحديث يميل الى الغض من أهمية هذا الاختلاف . فقد صارت برامج تعليم البنات شبيهة ببرامج تعليم الذكور ، والوظائف التي يشغلها النساء هي ذات الوظائف التي يشغلها الرجال ، وفي كثير من البلاد منحت المرأة حق الانتخاب .. لكن هذه المسألة ينبغي أن لا تنسى الرجال أن المرأة هي المرأة دائما ، وأن جنس الاناث هو الجنس العاطفي ، أو السلبي ، وجنس الذكور هو الجنس النشط أو الايجابي .. وأن هناك بين عقل المرأة وجسمها صلة أوثق وأقرب من الصلة بين عقل الرجل وجسمه .. فالرجل يفكر في العالم الخارجي والمرأة تفكر في مملكة بيتها ، وفي الحب والامومة

أفكار الرجل تسير بسرعة الطائرة ، وأفكار المرأة تسير بسرعة القدمين .

الرجل يبتكر الانظمة والنظريات والمبادئ والآراء الفلسفية .. والمرأة لا تفكر الا في الحقائق ، ولا تهتم بالنظريات المجردة الا اذا كانت تحب رجلا يؤمن بتلك المبادئ ، أو اذا كانت تعاني مرارة اليأس من أهمال مثل هذا الرجل لها .. فالفلسفة عند المرأة هي بمثابة الحداد الخفي على عاطفة فقدتها .. !

الرجل يخلص للآراء والمبادئ ، والمرأة تخلص للكائنات

البشرية فاذا ارتفعت أسعار الاطعمة مثلا ، أو نشأ خطر نشوب حرب ، بسبب سياسة حزب معين أخلص الرجل لحزبه ودافع عنه ، أما المرأة فهي لا تتردد في ترك حزبها كي تحافظ على سلام بيتها وسعادته .. !

عندما يحب الرجل .. والمرأة

♦ **وقد يسأل سائل :** ولكن كيف يختلف تفكير المرأة عن تفكير الرجل ، وجمعا يتعلمان في مدارس واحدة ، وطبقا لبرامج ومواد واحدة ؟ .. وليس أبلغ في الرد على هذا من العبارة التي قالتها يوما طالبة في كلية الطب : « **لو شقى الطبيب بسبب فشله في الحب فانه يستمر في زيارة مرضاه والعناية بهم كالعادة .. أما لو أصبت أنا مثلا - أو أية امرأة - بصدمة في حب ، فاني ألزم فراشي لابلكى ليل نهار !** » فالنساء لا يمكن أن يشعرن بسعادة الا اذا عشن في جو عاطفي .. والمرأة الناجحة في عمل من أعمال الرجال تتمنى أن تجد رجلا يتولى عنها عملها كي تصبح هي مساعدة له ، وحبذا لو استطاعت أن تحبه ! .. فالنساء رائعات كمساعدات للرجال ، لا كمديرات أعمال أو خالقات مشروعات .. لان الشيء الوحيد الذي تنبغ المرأة في خلقه ، هو طفلها !

على ضوء هذه الاختلافات بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل ينبغي ان يواجه كل من الزوجين خلافاته مع الآخر ، ويسويها . .
♦ **وهناك عدة أساليب في تسوية الخلافات المحتومة بين طبيعة المرأة - التي قوامها الحب - وطبيعة الرجل التي قوامها العالم الخارجى .. والاسلوب الاول منها هو سيطرة الرجل الانانية على بيته .. فرجل الأعمال أو الفنان يثور - وله الحق في ان يثور - على طغيان الزوجة ، وقد يهجر بيته - كما فعل « تولستوى » في أخريات أيامه - اذا لم توفر له زوجته فيه جوا يلائم رسالته التي يعيش من أجلها .. وحيثما يكون من المحتم أن يفاضل الانسان بين الحب والعمل ، أو الحب والواجب .. نرى المرأة تناضل بقدر طاقتها للاحتفاظ بالاثنين .. أما الرجل فهو لا يكون رجلا اذا طغت عاطفته على هدف حياته .. وأمامنا أمثلة حية يقدمها لنا الروائيون في قصصهم**

المستمدة من صميم الحياة ، منها مثل « كارمن » ، التي دمرت حياة حبيبها الضابط ومستقبله . . . « ومانون ليسكو » التي قادت حبيبها الى ارتكاب الجريمة بعد الجريمة !

. . . وحتى الزوجة يجب أن يخشى بأسها وخطرها اذا أرادت أن تسيطر على حياة زوجها من جميع النواحي ، وتستأثر به ، فأنها عندئذ لا تلبث أن تدمره . . وهو يكون قد قضى على نفسه اذا وصل الى المرحلة التي تصبح فيها زوجته - أو زوجته وطفله - محور وجوده واهتمامه وحدهما . . . وانها لعلامة خطيرة أن يحس الرجل أنه لا يكون سعيدا الا في مجتمعات النساء . . فان الرجل الكامل الرجولة يحب اصطراع العقول كما كان أجداده يحبون تشابك السيوف . . . واصطراع العقول لا يكون في مجتمعات النساء، أو حتى في مجتمعات النساء والرجال المختلطة . . .

ساعة لعمالك . . وساعة لقلبك

لكن هذا لا ينفي دور المرأة ونصيبها في الحياة الزوجية السعيدة . . فلئن وجب على الرجل أن يخرج من بيته في النهار ، ليقضى ساعات عمله مع غيره من الرجال ، فانه حين يعود بعد انتهاء حصته من العمل يحب أن يجد في بيته جوا آخر مغايرا للجو خارج البيت . . أو على حد تعبير د. هـ . لورنس : « ان الرجل لا يمكن أن يكون رجل أعمال أربعا وعشرين ساعة في اليوم . . فحتى نابليون كان يسره أن يعود الى بيته بعد انتهاء عمله ليخلع حذائييه ويجلس عند قدمي زوجته ، ويخضع لسحرها ، ولعالمها الخاص : عالم الحب ، والعاطفة والعطف . . وانه ليلذ لكل رجل أن يخلد في وقت الراحة للمرأة وعالمها الخاص »

والمرأة الحقة لا تفار من حب زوجها لعمله وتفانيه فيه ،
أو من نشاطه السياسى أو العقلى . . . وهى قد تتألم من ذلك
فعلا ، لكنها تكتم ألمها وتشجعه على الاستمرار فى طريقه . .
 وفى القصة القديمة ان «أندروماك» أخفت دموعها حين حانت
 ساعة رحيل « هيكتور » فقد كانت تعرف ما ينتظر من المرأة
 أن تقدمه للرجل من معونة . . .

الزواج . . ورقة يانصيب !

◆ **وانه لمن المهم فى هذا الصدد أن نذكر دائما أنه مهما كان**
كلا الزوجين راغبا فى الزواج من الآخر ومتحمسا له قبل اتمامه ،
فان وصول الطرفين الى التوافق المرجو أمر عسير المنال . .
ومهما بلغ عمق الحب المتبادل بين الاثنين ، وذكاء عقليهما ،
فلا بد أن يجد كلاهما نفسه فى الايام الاولى من الزواج بازاء
شخص يكاد يكون غريبا عنه تماما ! . . ولقد سميت الاسابيع
 الاولى التالية للزواج باسم « شهر العسل » . والواقع أن كل
 صعوبة تنسى خلال ثمل الليالى الاولى التى يقضيها الزوجان
 معا : فالزوج يهجر اصدقاءه ، والزوجة تهمل هواياتها السابقة
 . . ولكن قد لا تنقضى أسابيع أو شهور حتى نسمع لهجة
 كلا الزوجين فى الحديث عن الآخر قد تغيرت ، فانه يكون قد
 مل العواطف العنيفة وتاق الى هواياته الاولى الهادئة ! . .

ولكن أحيانا تسوء الامور أكثر من ذلك ، وينقلب « عدم
 التفاهم » الى عداء خفى ، فترى كلا الزوجين يحدج صاحبه
 بنظرة انتقادية تتصيد الاخطاء . . فاذا أويا الى فراشهما كانا
 أشبه بنريبين صامتين ، مفتوحى العينين . . ثم تنفلت الزوجة
 فجأة فى البكاء ، وتتساقط دموعها من عينيها فى الظلام ،
 والرجل يصغى الى نشيجها صامتا ! . . فى مثل هذه الحالات
 يكون لابد من أن يتنازل كل طرف عن بعض أحلامه القديمة

ويلتقى مع شريكه فى منتصف الطريق . وليذكر الاثنان أن الكمال لا يمكن بلوغه ، ولو بلغاه - بمعجزة من معجزات الحب - فانهما يعجزان عن الاحتفاظ به طويلا . والواقع أنه من الخطأ أن يتزوج المرء كما يشتري تذكرة اليانصيب ، قائلا لنفسه : « من يدري ؟ ربما أصير سعيدا ! » .. وانما ينبغى بدلا من ذلك أن يكون لسان حاله هكذا : « أنا أعرف اننى لا بد سأصطدم بشيء من الشدوذ فى شريك حياتى .. لكنى يجب أن أتغاضى عنه وأنجح فى حفظ بنيان بيتنا من الانهيار ... وسوف أنجح ! »

والواقع أن أى مشروع يقدم عليه الانسان فى حياته لا يمكن الوثوق من النجاح فيه ، مهما صحت عليه نيته ، وتوفر له الحماس والعناية ، ولا سيما اذا كان الامر يتعلق بأكثر من شخص واحد .. ولكن اذا انعدمت الثقة فى النجاح من البداية فالفشل مؤكد لا ريب فيه .. !

الزواج الناجح يحتاج الى مجهود متواصل !

والزواج - كإى مشروع - لا يكفى أن ينجح فى البداية ، بل لابد من مداومة بذل المجهود المتواصل للاحتفاظ بذلك النجاح ! .. أما لو قال الزوجان لنفسيهما « لقد ربحتا المباراة .. فلنأخذ قسطا من الراحة ! » فانهما يرتكبان أكبر خطأ فى حق سعادتهما المشتركة . فالزواج الناجح صرح يجب ان يعاد بناؤه كل يوم والا تهدم ! .. والنظرة فى هذا المقام ، أو الابتسامه ، قد تغنى عن العتاب والايضاح .. ولكن لا شيء فى حياتنا اليومية يبقى اذا أهمل : لا البيوت ، ولا الصداقات ، ولا المتع ... السقوف تسقط على من فيها ، والحب يتبخر وينتهى .. البلاط اذا قدم به العهد يحتاج الى تثبيت .. والمفصلة فى الباب تحتاج الى اصلاح .. وسوء التفاهم بين

الأشخاص ينبغي أن يزال ويصفى ، والا تولدت عنه المرارة في النفس ! . . والشعور اذا تعمق في النفس يصبح مركزا للفساد والتعفن ، وذات يوم ينفجر « الدمى » أثناء مشاجرة فيرتاع كل من الزوجين حين يرى الصورة التي يحتفظ بها الآخر له في نفسه !

لا بد من التساهل !

وما من زواج يمكن أن يكون سعيدا ما لم يحترم كل طرف فيه ذوق الطرف الآخر وميوله ، فانه من السخف أن يتوقع أحد اتفاق اثنين في أفكارهما وآرائهما ورغباتهما، لان ذلك مستحيل، بل وغير مرغوب فيه . . . وفي شهر العسل يريد كل زوج أو زوجة أن يوهم نفسه أنه متفق مع الآخر في كل شيء . . ولكن مع مضي الايام تسترد كل شخصية قوية حقوقها الطبيعية . وهنا لابد لمن يريد أن يجعل الزواج سعيدا أن يخلط الصداقة بالحب بين الزوجين ، والصداقة في هذا المجال تتخذ معنى التساهل والتسامح ، فان الزوجين يدركان انهما يختلفان ذهنيا وأخلاقيا لكنهما يقبلان عن طيب خاطر اختلاف طباعهما لانهما يجدان فيه فرصة للنضج الروحي . . فالمرأة اليقظة البارة الكتومة تستطيع أن تعين زوجها بأفكارها ، وفي هذه الصداقات الذهنية يتضاءل عادة دور المطالب الأولية ومنها الحب الجنسي ، الذي كان ذا أهمية كبرى للزوجين في البداية . . وبالنسبة لزوجين متآلفين تألفا حقيقيا روحيا ، على هذا النمط ، لا تغدو الشيخوخة أمرا كريها مرهوبا ، لان متعة الزوجين حين يشيخان معا تفوق خوفهما من فقدان الشباب ! .

♦ **والخلاصة** أن الزواج الموفق الناجح أمر عسير... وكيف يمكن أن تكون سهلة حياة انسانين يعيشان معا ، اذا كان كل منهما عرضة لنوبات من العصبية ، والانفعال ، والاختلاء ، والامراض ، التي تفسد حياة صاحبها ؟ .. الواقع أن زواجا بغير خلاف هو أمر مستحيل ، استحالة وجود وطن لا تصيبه أزمات ! .. ولكن حين يعتاد الزوجان تسوية خلافاتهما بالتسامح والرقّة تصبح أزماتهما أمرا تسهل معالجته ، وخطرا فقد شوكته ..

فالزواج اذن ليس ما يتصوره العشاق .. ونجاحه لا يحتاج فقط الى جاذبية جنسية ، بل الى عزيمة ، وصبر ، وكياسة ... فاذا توافرت هذه الشروط أمكن الوصول الى شركة جميلة في الحياة ، مدى الحياة ! .. شركة عمادها اركان أربعة : الحب ، والصداقة ، وارضاء الحواس ، والاحترام المتبادل !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى الاعداد السابقة من
«كتابى» طائفة من القضايا والمحاكمات
الهامة ، هى على التوالى : محاكمة
«جورجيت هودو» ملكة الجمال
الباريسية .. محاكمة السفاحين
«بيرك» و«هير» .. ثم محاكمة فيلسوف
اليونان العظيم «سقراط» .. واخيرا
محاكمة «آن بولين» ملكة انجلترا التى
اتهمت فى شرفها ..

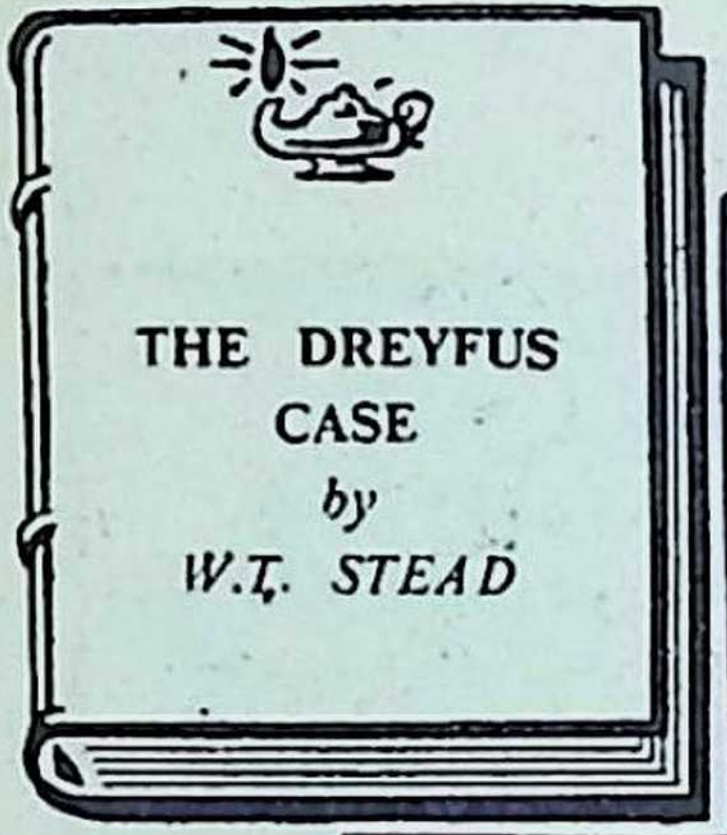
واليوم اقدم لك فيما يلى أشهر
قضايا الفساد فى العصر الحديث على
الاطلاق ، وهى قضية «دريفوس» ، التى
زاللت بنيان المجتمع الفرنسى منذ
نصف قرن ، وحدثت ضجيجا فى كافة
انحاء العالم، حتى لقد اوفدت الصحف
الامريكية مندوبين عنها الى باريس
ليتابعوا ادوار المحاكمة ويوافوا القراء
بانبائها .

وفى الاعداد القادمة ساقدم لك
بمشيئة الله مجموعة متنوعة من القضايا
والمحاكمات الكبرى التى احدثت دويا ..
سواء فى الشرق او الغرب ، ومنها :
محاكمة «مرجريت فهمى» .. محاكمة
«فلورنس ماى بريك» - وهى المحاكمة
التي تعتبر سبة فى جبين القضاء
الانجليزى - ثم محاكمة «ستافسكى»
.. و «الكابتن كيد» .. والمحاكمات
الجنائية التى لمع فيها نجم المحامى
العالمى «مارشال هول» .. وعشرات غيرها

الجرىمة .. والعقاب



المحاكمات الكبرى فى الماضى والحاضر

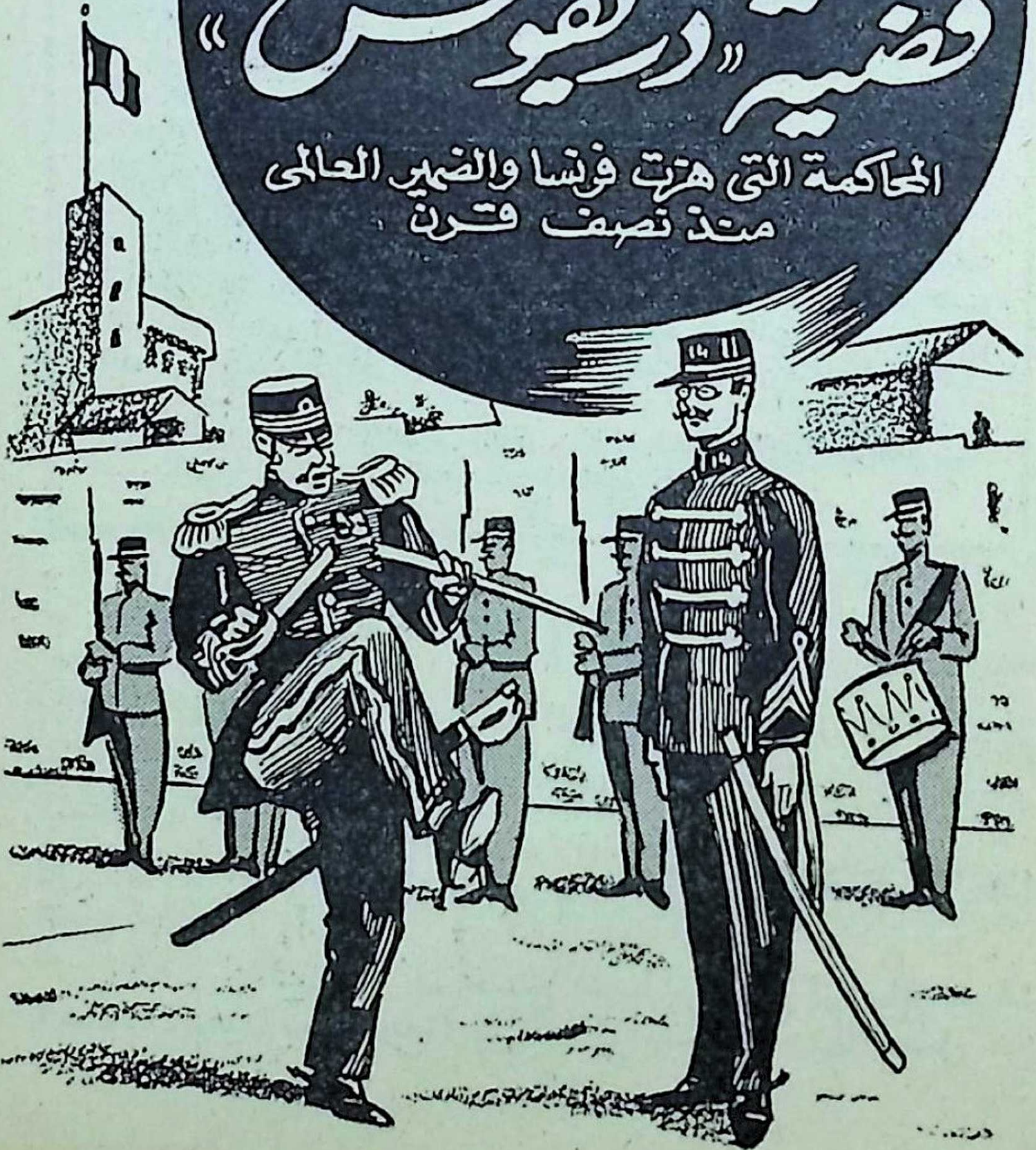


THE DREYFUS
CASE
by
W.T. STEAD

الصحفي العالمي
«و.ت. ستيد»
يسجل لعشاق العدالة:

قضية «دريفيوس»

المحاكمة التي هزت فرنسا والضمير العالمي
منذ نصف قرن



اشهر قضايا الفساد

◆ لعل قضية من قضايا العصر الحديث لم تشغل الاذهان ، وتهتز لها المشاعر ، وتثور لها الضمائر ، كقضية دريفوس : فهي قضية الحق المهدر ، والعدالة المفترى عليها ، والفساد الطاغى .. فساد القادة في الجيوش ، والقضاة في محاريب العدل ، الى الحد الذي ذهب معه البريء البار ضحية الخائن المفسد ، الذي حماه الطفيان ، ووضع في منصة الحكم ، واضفى عليه اكاليل الشرف .. وهو الجدير بان يرسف في الاغلال ، لولا سيادة الضلال .. !

ولكن عدالة السماء تمهل ولا تهمل .. والفساد لا يدوم الا ريثما تنبه الضمائر الفافية ، وتنطلق صيحة التطهير مدوية .. فتتبدل الاوضاع بين عشية وضحاها : فاذا الحق ابلج ، والعدل مصون ، والفساد صريع ، والطفيان مهيف الجناح .. !

وان في ذلك لاية : ان العاقبة للمتقين .. وان في ذلك لعبرة : ان الله لا ينصر القوم الظالمين .. فما احرانا ان نؤمن وان نعتبر ، وقد رأينا آية الله تترى وتكرر ، هنا كما هناك ، فينقلب الظالمون شر منقلب ، وقد وثب الحق في اهاب الجيش الحر الظافر ، الذي نقل مصر من حال الى حال .. بل قل طفر بها الى الامام طفرة لم تكن لتبلغها بعد قرن من الزمان !

واليوم ، تحية لانتصار الحق ، نقدم للقراء قضية دريفوس ، اشهر قضايا الفساد في الذم .. والتطهير في الامم !

شهرة المظلوم لا الظالم ..

◆ الشهرة ذكر يتداوله سمع الزمن ، وتتناقله ألسنة الناس . واذا كان هذا هو مقياس الشهرة ، فدريفوس من اشهر مشاهير التاريخ .. !

ولكن بماذا استحق دريفوس هذه الشهرة الضافية ؟ ماذا صنع لينالها ؟

انه في واقع الامر لم يصنع شيئا . فهو لم يبلغ هذا الصيت البعيد بما صنع ، بل بما لم يصنع ، وبما تحمل من



آلام وعقاب على ذنوب هو منها
براء .. فاضحى بذلك « رمزا »
لضحايا الفساد ، والرمز قد
يكون حجرا ، او صورة لجندى
مجهول .. وكل ما هناك من
فرق ان الرمز في هذه الحالة كان
له اسم ، وكان هذا الاسم هو
« دريفوس » .. !

شخصية دريفوس

وكل ما كان يؤهل دريفوس
للقيام بهذا الدور هو فضائله
السلبية : فقد كان رجلا نظيفا ، شجاعا ، ذكيا ، طموحا ، رب
اسرة مستقيم الخلق .. واذا هو ينكب في حريته وشرفه بتلك
التهمة الظالمة التى قضت على مستقبله !

ولم يملك الرجل دفاعا عن نفسه سوى ان يصبح بأعلى
صوته : « انى برىء ! » .. ولكن صيحته ذهبت مع الريح ،
وضاعت في ضجيج الاتهام الظالم والحماسة الشعبية المضللة ،
فاغلق عليه باب « قبر الاحياء » : باب السجن الرهيب ، ليغيب
في ظلماته سنوات ! .. حتى قبض الله لضمير « الراى العام »
ان يتحرك ، بفضل جهود ابطال الانصاف الذين طلبوا اعادة
محاكمة السجين التعس ، الميت الحى ! .. ففتح الباب مرة
اخرى ، ليخرج منه الى قفص الاتهام دريفوس آخر ، قد ابيض
عارضاه ، واسرعت اليه الشيخوخة قبل الاوان ! .. !

.. فليست قيمة دريفوس اذن في شخصه ، بل فيما
يرمز اليه ... فان الآلة الضخمة حين تنتزع عاملا من مكانه ،

لتلو كه بين دواليبها الهائلة لا تثير الناس لشخص هذا الشهيد وصفاته الذاتية ، بقدر ما تثيرهم لانه بشر برىء . . ولانه ضحية ، محض ضحية !

بل ان دريفوس كان اكثر من مجرد ضحية ، كان بمثابة «انبوبة اختبار» ، او ورقة من «عباد الشمس» وضعت في محلول هو المجتمع الفرنسى ، لتدل على طبيعة ذلك المحلول . . . فقضية دريفوس لا تعنى البشرية بما تضمنته من وقائع ، بقدر ما تعنيها لما تدل عليه هذه الوقائع من انحلال في بنية الامة الفرنسية في ذلك العهد ، وتغلغل من جانب الفساد والتعفن في ااداتها الحكومية وضمائر رجالها العموميين . . . فقد كانت قضية هذا «الانسان» بمثابة مرآة سحرية رأى فيها كل فرنسى ذى خطر صورة روحه التى بين جنبيه ، وصورة روح فرنسا في ذلك الحين . . . كما كانت القضية فيصلا فارقا بين الحق والضللال ، بين الصدق والخديعة ، بين الرجولة والخسة ، بين الارحية والنفعية ، بين البطولة والجريمة ، وبين النبيل والوصولية . .

فما اتفه الشخص في دريفوس بالقياس الى هذا الاثر الهائل الذى نجم عن محاكمته ، وهذه العبرة الكبرى التى خرج بها الشعب الفرنسى - بل شعوب العالم قاطبة - منها: وهى ان العزة بالاثم اشد نكرا من الاثم في ذاته . . وان الامعان في الضلال ، وادعاء العصمة من الخطأ - فرارا من الاعتراف به! - لهو اقصى درجات الفرور والغباء ، بل الاجرام! . . فهو يدفع اصحابه الى محاولة محو الاخطاء ، او في القليل سترها ، ولو كلفهم ذلك التورط في جرائم التزوير والاختلاق والنصب . . بل والقتل اذا لزم الامر!

والآن لنبدأ القصة من اولها . . .

من هو دريفوس ؟

◆ هو الزاسي ، ولد في سنة ١٨٦٠ - من اصل يهودي -
فما بلغ العاشرة حتى وقعت حرب السبعين ، وهزمت فيها
فرنسا هزيمتها النكراء ، فقضت شريعة الغالب ان يفصل
عنها اقليما الالزاس واللورين ، «لتأمين حدود المانيا الفتية ضد
كل عدوان في المستقبل» - كما قيل في تبرير ذلك الاجراء . . !
وتمسك آل دريفوس بفرنسا ، فرحلوا عن الالزاس الى
باريس ، وقلب الفتى الصغير يذوب حسرة على مسقط رأسه
الذي تدوسه اقدام اجنبية ، وتدنسه ظلال راية الاعداء . . .
فنشأ والانتقام لوطنه ينمو بين طواياه ، انتظارا لساعة الفصل
الحاسمة يوما ما . .

فلما اشرف على الثامنة عشرة كان طبيعيا ان يلتحق
بمدرسة الهندسة العسكرية (البوليتكنيك) . . وحين اتم
الدراسة فيها دخل مدرسة المدفعية التطبيقية ، فتخرج منها
ملازما ثانيا في سلاح المدفعية وهو في سن الثانية والعشرين
وهكذا خطا أول خطوة نحو الانتقام لبلاده العزيزة من
المانيا المغتصبة . .

والواقع ان فرنسا كلها كانت تموج بمثل ما يموج به
صدر دريفوس الشاب من رغبة في الانتقام من المانيا واسترداد
الالزاس واللورين منها بالدم والحديد ! . . ومن ثم بدأت الدولة
كلها تقدم ابناءها واموالها قربانا لذلك المعبود الجديد ، «اله
الانتقام» . . واستمرت تلك القرابين ثلاثين عاما ، تضخم فيها
الجيش ، وتورم سلطانه . . وتورمت ايضا ديون فرنسا ،
وارهقتها الضرائب حتى شلت حركة العمران فيها او كادت ! . .

دريفوس في الجيش . .

◆ وفي هذه الاثناء كان دريفوس يشق طريقه في الجيش

مخلصا ، مجتهدا . . فلما تقدم لدخول مدرسة اركان الحرب وهو في سن الثلاثين - سنة ١٨٩٠ - كان ترتيبه في امتحان القبول ٦٧ . . ولكنه تخرج بعد سنتين فكان التاسع بين الناجحين ، وحاز درجة «جيد جدا» ! . . وبذلك صار عضوا عاملا من اعضاء هيئة اركان الحرب - التي تضم ٢٠٠ ضابط فقط - وهو شرف لا يناله الا الاكفاء ، وتتقطع دونه اعناق الكثيرين . . وقد نال ذلك الشرف وهو في الرابعة والثلاثين .

وكان هذا النجاح السريع ، مضافا الى شبابه ، وراثته الموروثة ، سببا في إثارة حسد الكثيرين له ، وغيرتهم منه . . وقد زادت وطأة هذا الحسد حين تزوج امرأة فارعة الطول ، بارعة الجمال ، رائعة القد ، ذات ثروة فاخرة من الشعر الجميل . . . فولدت له ولدا وبنتا كانا قرة عينه ، وتمت بذلك له نعمة الدنيا من المال والبنين . . .

♦♦ بداية المأساة ♦♦

♦ في ذلك الوقت كان وزير حربية فرنسا هو الجنرال «مرسييه» ، ورئيس ادارة المخابرات العسكرية هو الكولونيل «ساندهر» . . وكان ساندهر هذا يكره اليهود ، ويفص بوجود هذا اليهودي دريفوس في هيئة اركان الحرب !

وكان مساعد ساندهر يدعى الكولونيل هنري . . وكان هنري هذا خائنا ، حتى لقد باع للملحق العسكرى الالماني «شفارتسبوكن» اكثر من ١٦٠ وثيقة خطيرة ، من بينها تفاصيل خطة التعبئة العامة للجيش الفرنسى في حالة الحرب . . !

وفي نهاية يولييه سنة ١٨٩٤ تلقى «شفارتسبوكن» من هنري - عن طريق وسيطه المدعو «استرهازى» - اشارة تتضمن ان وثائق خاصة بسلاح المدفعية ، وبمستعمرة مدغشقر وتسليحها ، تكاد تكون حاضرة بين يديه . . وانه ماض الى

المناورات ، ويأمل ان يستكمل تلك الوثائق في خلال بضعة ايام !
وكانت السفارة الالمانية في باريس تستخدم في ذلك الحين
امرأة للتنظيف وجمع المهملات والنفايات من دارها كل مساء . .
فاشتريت ادارة مخابرات الجيش الفرنسى هذه المرأة ، لكى
تزودها بمحصول سلة المهملات من الاوراق الممزقة . . فلم يكن
هذا المحصول يصل الى ادارة المخابرات حتى ينهمك أكثر من
ضابط في لصق قصاصات الورق المتناثرة لمحاولة فك رموزها !

فلما فرغ الملحق العسكرى الالمانى من قراءة رسالة الخائن
«هنرى» السالف ذكرها ، مزقها والقى بها في سلة المهملات . .
وفي تلك الليلة عينها كانت الرسالة قد وصلت عن طريق «جامعة
القمامة» الى مقر ادارة المخابرات العسكرية الفرنسية ! . .
وادرك الضباط الذين فكوا رموزها انهم قد وضعوا أيديهم اخيرا
على الرجل الذى ظل يفشى أسرار الجيش للعدو زمنا دون أن
ينكشف أمره . .

وانتفخت اوداج «ساندهر» ، وخفق قلبه زهوا وفرحا
. . فراح يزأر كالاسد الهصور وقد شم رائحة الفريسة عن بعد!

الشبهة تحوم حول دريفوس

♦ وكانت الادلة التى تشير الى المتهم كثيرة : فهناك أولا خط
يده الذى كتب به الرسالة ، وهناك - ثانيا - المعلومات التى
تتضمنها تلك الرسالة . . وهناك - ثالثا - اشارة كاتبها الى
انه مزعم ان يشترك في المناورات ! . . واخيرا كان مضمونها
يفصح عن أن صاحبنا من ضباط هيئة أركان الحرب . . !

ولما كانت اكثر موضوعات الرسالة تتصل بالمدفعية ، فقد
غلب على الظن ان كاتبها من ضباط ذلك السلاح ! . . وكان
طبعيا والحالة هذه ان تميل الظنون الى اتهام ذلك اليهودى
الطارىء على هيئة اركان الحرب : فهو من ضباط المدفعية ،

وكان مرشحا للاشتراك في المناورات .. فلم يبق الا التأكد -
بمضاهاة الخطوط - من انه كاتب تلك الرسالة المشئومة !
ولما كان الانسان ميالا دائما الى تصديق ما ((يتمناه)) ، فقد
شهد وكيل القسم الذي يعمل فيه دريفوس انه يعتقد ان ثمة
تشابها بين خط الرسالة وخط الضابط دريفوس !!
وعندما يريد الرؤساء شيئا ، يؤيد المرؤوسون عادة تلك
الارادة ! .. لهذا لم يكد الخير ((ديجوير)) يقرر انه ((لا)) يعتقد
بتطابق الخطين ، حتى استبدل فورا بخير آخر هو رئيس
تحقيق الشخصية ((برتيون)) !

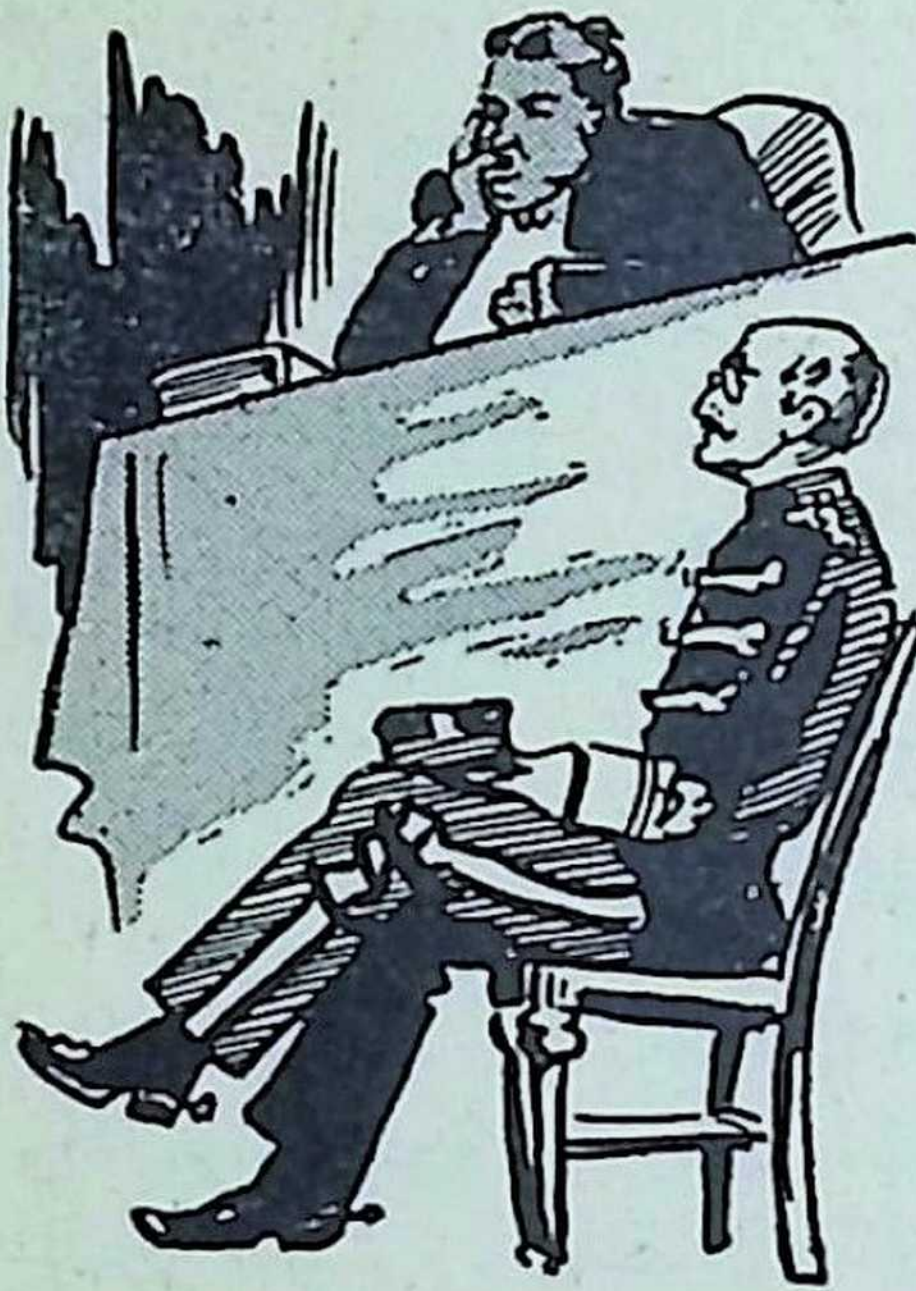
وفي هذه الاثناء كان الكولونيل «هنرى» قد شعر باكتشاف
رسالته - التى كتبها بخط شريكه استرهازى فى الواقع -
وادرك ضرورة تكديس القرائن المضللة التى تؤيد الاشتباه فى
دريفوس ! .. ولكن كانت المعضلة الكبرى ان الرسالة كانت
مؤرخة فى شهر مايو ، وفى ذلك الشهر كان دريفوس يعلم انه
لن يشترك فى المناورات ! .. لكن هنرى احتال على ذلك بأن
غير تاريخ الاشارة فجعله شهر ابريل !
وهكذا تمت حلقات السلسلة ، ولم يبق الا ان يلغوا الاغلال
حول معصمى دريفوس .. !

وقد تم القاء القبض عليه فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٤

الخائن يعتقل البريء !

♦ وكان الذى كلف بتنفيذ امر القبض ضابط يدعى البكباشى
«ديكلام» ، كتب الى دريفوس الكلمة التالية : «ارجو ان تقدم
نفسك لوزارة الحربية فى صباح ١٥ اكتوبر الساعة التاسعة ،
لكى تتلقى تعليمات خاصة بك»

وذهب دريفوس فى الموعد المحدد ، فأخذ ديكلام يملئ
عليه ، بحضور اثنين من كبار موظفى الوزارة ، خطابا يتضمن
كلمات مشابهة لما جاء فى الرسالة . فراح دريفوس يكتب دون



أن يفهم المقصود ، بخط واضح
متزن .. واذا ديكلام يصيح به:
- انك ترتعد !

- كلا .. ولكن اناملى مقرورة
وفي هذه اللحظة دخل الخائن
هنرى ومعه مدير الامن العام
وقبضا عليه باسم القانون !!
فصاح دريفوس متعجبا ،
ومستفهما ، ومستنكرا ..
لكنهم اجابوه بقولهم :

- انك تعرف السبب فلا
تتجاهل ، لان خيانتك قد
كشفت !

ثم اقتاد هنرى الخائن دريفوس البرىء الى غيابة السجن ،
حيث اودع زنزانة اعدت له فى اليوم السابق بأمر وزير الحربية
.. الذى كان قد وقع أمر القبض قبل عملية الاملاء لمضاهاة
الخط باربع وعشرين ساعة !

.. فى السجن

♦ **وكان طبيعيا** ان يثور دريفوس ويغدو اشبه بالمجنون ،
فقد راح يصيح طول الوقت متأوها ومتفجعا ، طالبا ادوات
الكتابة ليتظلم الى الوزير .. ولكن بغير جدوى ! وعافت نفسه
الطعام تسعة ايام ، وصار لا يذوق النوم الا حين يهدده التعب
من الصراخ والزئير . وزاروه فى سجنه ليحملوه على الاعتراف
بما لم يرتكب ، فازداد غضبا وتألما ..

وهاجم ديكلام بيته بحثا عن الادلة المزعومة، دون ترخيص

من النيابة ! .. وإباح لنفسه ان يصيح في وجه زوجته ان زوجها خائن ، خائن لوطنه ولها ، لانه قد ثبتت عليه تهمة الفسوق كما ثبتت عليه تهمة الخيانة العظمى ! .. ثم حذرنا من افشاء خبر القبض عليه وهددها بالويل والثبور .. بيد ان السيدة الوفية لم تصدق حرفا مما قيل لها . ورغم عدم وجود أية أدلة ضد المتهم فقد صرح الوزير للصحف ان تهمة الخيانة العظمى ثابتة ثبوتا قاطعا على المدعو الفريد دريفوس ، وان ادانته محققة ! .

أمام المجلس العسكري

♦ **وأخيرا** حدد يوم ١٩ ديسمبر لبدء محاكمة دريفوس ، واختير سبعة من الضباط اعضاء للمجلس العسكري العالى الذى سيتولى تلك المحاكمة .. وكان دريفوس حتى بداية المحاكمة واثقا من صدور الحكم ببراءته ، وتقدم على هذا الاعتقاد الى قضائه . وقد وكل للدفاع عنه الاستاذ «ديمانج» لكنه تلقى الصدمة الاولى حين طلب نائب الاحكام نظر القضية فى جلسة سرية ، ولم تجد احتجاجات محامى المتهم امام التعلل بمصالح الدولة العليا واسرارها ! .. وهكذا اقفلت الابواب دون نور العلانية ورقابة الرأى العام ..

ومن عجب ان الادلة كانت تقوم كلها على ان دريفوس كان يقضى فى مكتبه ساعات بعد انصراف زملائه بحجة انجاز الأعمال ، وانه قال عند القبض عليه « خذوا مفاتيح مكتبى وفتشوا فى كل مكان فلن تجدوا شيئا يديننى ! » .. ولما كان هذا هو الواقع فعلا ، فقد اعتبر دليلا على انه محتاط سلفا حيلة المريب ، وهذا بطبيعة الحال منطق مقلوب ! ..

ثم قدمت الرسالة التى يقوم عليها الاتهام ، ومعها تقرير مدير تحقيق الشخصية الذى يزعم بانها مشابهة تماما لخط المتهم !

الملف السرى !

◆ **وبدا أن القضية غير مستريحين تماما الى اداة دريفوس** بهذه الادلة الواهية . . . وعندئذ لجأ الفساد الى ضربته الكبرى ، فاذا بوزير الحربية يبعث الى رئيس المحكمة بمظروف مختوم فيه ملف سرى ليطلع عليه الرئيس والقضاة ، على الا يطلع عليه المتهم او محاميه ، لان ذلك الملف يتضمن اسرار الدولة العليا . وأصر الوزير الهمام على ان يعود ياوره بالملف السرى فور اطلاع الرئيس عليه دون أمهال . . . !

وما أن قرأ الرئيس اول وثيقة في الملف حتى صاح :

— وما حاجتنا الى مزيد من الادلة بعد هذا ؟

ثم اطلع زملاءه القضية على تلك الوثيقة ، وعلى اثر ذلك صدر الحكم فورا بادانة المتهم باجماع الآراء !

وكانت الوثيقة الاولى خاصة ببيع دريفوس اسرار قبلية أثناء التحاقه بكلية اركان الحرب . . . وكانت تتضمن سيرة موجزة لحياة دريفوس تصورها في صورة غاية في الابتذال والدعارة . وقد بلغ من قذارة هذه الوثيقة ان وزير الحربية احرقها بنفسه بمجرد استردادها من المحكمة ، كما يدفن القاتل الخنجر الذي اقترف به جريمته ! ولكن صورة من هذه الوثيقة كانت محفوظة بادارة المخابرات السرية ، الى أن كشف امرها في سنة ١٨٩٧ فبعثوا بها الى الجنرال ميرسييه في بيته — وكان قد ترك منصب وزير الحربية قبل ذلك — فاحرقها بنفسه هي الاخرى . . . !

وكانت الوثيقتان الثانية والثالثة خطابات من الملحق العسكرى الايطالى الى الملحق العسكرى الالماني وفيها اشارات الى الوغد « د » الذى يبيعهما اسراراً عسكرية فرنسية ذات قيمة ، واشارات الى ان زوجة « د » تتعشى في بعض الاحيان مع الملحقين !

ولما كانت مدام دريفوس لم تقابل الملحقين في حياتها فلا ريب أن « د » لم يكن هو دريفوس . . !

أما الوثيقة الرابعة فكانت صورة تقرير سرى من الملحق العسكرى الإيطالى الى حكومته يقول فيه : « إذا لم تكن لدريفيوس علاقة بكم فكلفوا السفير بالتكذيب رسميا حتى نتحاشى تعليقات الصحافة ! »

ولكن وقع تحريف فى فك رموز الشفرة بحيث صار معناها أن القبض على دريفوس يوجب الاحتياط حتى لا يكشف بقية الجواسيس !

وهكذا أدان المجلس العسكرى العالى رجلا بريئا ، ووصم شريفا بوصمة الخيانة العظمى . ولم تجد التماساته واحتجاجاته نفعا فى تغيير الحكم . . فاقطع الى السجن ، مارا بالكلية الحربية حيث جرد من علامات رتبته ! . . وكان آخر ما استحلف به زوجته ألا تتوانى عن التنقيب والبحث عن المذنب الحقيقى ! !

وفى نفس اليوم طلعت الصحف على الناس بتصريح من وزير الحربية نسب فيه الى دريفوس أنه صرح بقوله : « انى برىء . . وإذا كنت قد اعطيت المانيا وثائق لا قيمة لها فلكى اجعلها طعاما للايقاع بجواسيس المانيا ! »

وهو كلام لم يصدر عن دريفوس اصلا ، ويدل على ان وزير الحربية كان يعلم ببراءة دريفوس مما نسب اليه . وقد بعث دريفوس بتكذيب للتصريح المنسوب اليه ، ولكن وزير الحربية لم يسمح بنشره !

الدفن الحى . .

◆ وما أن تمت « حفلة » تجريد دريفوس فى الكلية الحربية ، وهو يصرخ محتجا ببراءته ، والشعب المتجمع حول اسوار المدرسة الحديدية يجأر بالهتاف :

— الموت للخائن! نريد رأس دريفوس! يسقط يهوذا الخائن!
 ما أن تمت هذه المراسم الاليمية ، حتى كان رئيس
 الجمهورية قد اضطر لاخلأ مقعده لرئيس جديد ، هو المسيو
 «فور» ، الذى عدل مكان تنفيذ العقوبة ، فبعد ان كان مقررا
 ان يقضيها دريفوس فى احدى القلاع الحصينة بفرنسا . . امر
 رئيس الجمهورية بأن يقضيها فى جزيرة الشيطان . . !
 وما ادراك ما جزيرة الشيطان! انها جزيرة نائية تتنازعها
 امواج المحيط عند ساحل غينية الفرنسية بجنوب امريكا . .
 وذهبوا به الى هناك ، حيث قضى عامه الاول منسيا من
 الناس ، الا من خاصة ذويه ، وكان حجابا كثيفا قد اسدل بينه
 وبين الحياة ، كحجاب القبر . . !

ونالت منه الملاريا الوبائية ، وانهارت صحته تحت ضغط
 آلامه النفسانية والعصبية ، واتلفت جرعات دواء الملاريا
 المتعاقبة طاقته الهضمية . . وكان طيلة الوقت يكرر لحراسه
 القساة الجامدى الوجوه الشاهرى السلاح :

— انى برىء . . لست خائنا . . وما كنته ، ولن اكونه . . !
 . . يرددها فى نفمة آلية ، كأنها «اسطوانة» من اسطوانات
 الحاكى!

ولما كانت سنة ١٨٩٦ ، امر وزير المستعمرات بأن يضاف
 الى قيود سجنه قيد جديد ، وذلك بان توضع فى يديه ورجليه
 الاغلال ، امعانا فى النكاية به . . وان يقيد الى الفراش بقضيب
 طويل من الحديد لا يسمح له اثناء الرقاد الا بالحركة على
 جنب واحد ، وبصعوبة وألم شديدين ! اما ثنى ركبتيه اثناء
 النوم فرباع المستحيلات !

وكان الموت مخرجا مريحا له من هذا العناء ، لكنه كان
 يكرر دائما انه لن يريحهم بموته ، وظل يكافح الموت بقوة ارادة
 فولاذية . . فقاوم المرض والالام النفسية وظل حيا فى قبره
 النائى على أمل غامض فى استرداد اعتباره يوما ما . .

ولكن هذا اليوم ظل بعيدا ... مدى خمس سنوات طويلة !

مفاجأة ... !

♦ وفي أول يوليو سنة ١٨٩٥ ترك «ساندهر» منصبه في إدارة المخابرات السرية لخليفته الكولونيل «بيكار» .. قائلا له في صدد «دريفوس» - الذي كانت الصيحات قد بدأت تتعالى بطلب اعادة محاكمته :

- اذا احتجت لشيء فاطلب من هنرى «الملف السرى» ، وسيقنعك الاطلاع عليه بادانة الرجل !

وبقيت الامور عند هذا الحد الى أن كانت نهاية مارس سنة ١٨٩٦ ، فاذا بجامعة القمامة العتيقة تنقل الى الادارة - فيما تنقل من قصاصات سلة مهملات السفارة الالمانية - رسالة صغيرة موجهة الى استرهازى عضو المخابرات السرية الفرنسية .. يطلب فيها منه ايضاحات كتابية فى صدد «المسألة موضوع البحث» ، حتى يرى الملحق العسكرى هل يستمر فى اتصالاته بمؤسسة « ر » أم لا .. !

واهتم بيكار - الرئيس الجديد - بالموضوع . اذ كيف يتفق أن يكون استرهازى متصلا بالملحق العسكرى الالمانى ؟ وتحرى بيكار سيرة استرهازى فوجده منحلا ساقط السيرة من أكثر من جهة واحدة !

وطلب بيكار ((عينات)) من خط يد استرهازى ، فهاه ان يجده مطابقا كل المطابقة لخط الرسالة التى ادين بسببها دريفوس !

ورفع بيكار معلوماته الى القائد الجنرال جنوز ، فأمره بالاستمرار فى تحرياته .. فاستدعى رئيس ادارة تحقيق الشخصية (الذى كان قد اقسام امام المجلس العسكرى العالى

ان الاشارة بخط دريفوس) فاذا به يجزم هذه المرة انها بخط استرهازي !

وهنا عاد بيكار الى «جنوز» مقترحا الترخيص له بالعمل الحاسم فوراً ! . . ولكن كان معنى ذلك فضح المجلس العسكري العالي والنظام العسكري كله امام الرأي العام ، وزعزعة الثقة في هيبة الجيش . لهذا نصحه «جنوز» بالتريث والحذر . . بيد ان بيكار عاد بعد مدة قصيرة يلح في العمل الحاسم حتى لا يفلت زمام الموقف ومزية المفاجأة من يد ادارة الاستعلامات الى الجواسيس والاعداء . . فكان رد «جنوز» في اليوم التالي على بيكار :

— ولكن ماذا يضرك ان يبقى هذا اليهودي في جزيرة الشيطان ؟

— ولكن اذا كان بريئاً ؟

— ماذا تقول ؟ أوتريد ان تعيد هذه المحاكمة ، لتطحن بسمعة الجيش وسمعة قواد كبار — مثل الجنرال ميرسيه وزير الحربية السابق — كانت لهم في المحاكمة الاولى اصابع وضلوع ! ؟

— دريفوس برىء يا سيدى القائد ، وهذا سبب كاف لاعادة المحاكمة . . وهب ان اسرته وضعت يدها على المجرم الحقيقى ، فكيف نواجه الناس حينئذ ؟

— انك اذا كتمت الموضوع لن يعلم بالحقيقة احد . . !
— ان هذا الذى تقول عجيب وشائن يا سيدى الجنرال . ومهما يكن من امر فلن اسمح لنفسى ان احمل هذا السر معى الى القبر !

وخرج بيكار من الغرفة وقد حزم امره على شىء !!

جهود امرأة !

♦ صدق القدامى حين قالوا ان من الاعداء من يؤدون لنا

خدمات لا يقدر عليها الاصدقاء! .. ففي سبتمبر سنة ١٨٩٦ نشرت جريدة «الكير» مقالا او تحقيقا صحفيا بعنوان «الخائن»، تضمن بعض المعلومات عن قضية دريفوس .. فأرادت صحيفة «الماتان» ان تنافس زميلتها في هذا المضمار وتحرز نصرا صحفيا مثيرا ، فنشرت صورة زنكوغرافية لما زعمته الرسالة التي اثبت الخبراء انها بخط دريفوس! .. ولما كانت هذه الاشارة في الواقع بخط استرهازى فقد أدى نشرها الى انزعاج الملحق العسكرى الالماني والملحق العسكرى الايطالى لان رجليهما قد انكشف امره! .. اما استرهازى نفسه فبادر بالفرار الى مدينة روان ..

وكان الاثر المباشر لنشر صورة الرسالة أن تقدمت زوجة دريفوس الى السلطات بالتماس اعادة محاكمة زوجها! .. فكان رد الحكومة على هذا الالتماس في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٦ غلطة اخرى من سلسلة اغلاطها ، قالت على لسان وزير الحربية في بيان للصحف :

— ان قضية دريفوس لها قوة الشيء المحكوم فيه ، فلا وجه لاعادة المحاكمة ..!

واذ ذاك اطمأن استرهازى لذلك التصريح فعاد الى باريس . وفي هذه الآونة بالذات ندبوا بيكار لمهمة خارج باريس ، فصارت ادارة المخابرات في يد الكولونيل هنرى شريك استرهازى في الخيانة .. فراح يعد سلسلة من الوثائق المزورة المدسوسة على الملحق العسكرى الايطالى ، بحيث يفهم منها ان دريفوس هو « د » المشار اليه في بعض تقاريره التي استطاعت المخابرات الفرنسية الحصول عليها! .. بيد ان التزوير كان غير محكم ، كما ذهب الشخص الذى قام به (لحساب هنرى) الى الملحق العسكرى الالماني وباعه سر ذلك التزوير!

اما هنرى ، فانصرف بعد ذلك الى تدبير ما يطيح ببيكار

الصادق الامين من ادارة المخابرات ، ليحل هو محله على رأس ادارة المخابرات !

والواقع ان المهمة التي ندب لها بيكار في اخطر بقعة من الحدود التونسية كان المقصود بها التعجيل بالقضاء عليه قبل ان ييوح بسر دريفوس لاي انسان ! . . ولولا ان الجنرال المقيم في ذلك القطاع لم يكن فاهما للمقصود من المهمة فمنع بيكار من الذهاب الى غاية مداها ، لكان بيكار قد قتل ولا محالة !

وادرک بيكار ان المتآمرين قد شرعوا يلقون شراکهم حوله، فعاد الى باريس حيث قدم لمحامييه الخاص صورة من المكاتبات المتبادلة بينه وبين الجنرال جنوز بخصوص قضية دريفوس ، وحقيقة كاتب الرسالة التي ادين دريفوس بناء عليها ! . . فحمل المحامي هذا كله الى نائب رئيس مجلس الشيوخ المدعو ((شويرر كستتر)) ، وهو رجل الزاسي فاضل من مواطني دريفوس كان غير مستريح من بداية الامر لادانته ، فما ان اطلع على هذه المكاتبات ورأى تأشيرات جنوز الفاضحة حتى عقد العزم على اصلاح هذا الخطأ الشائن فقابل رئيس الوزراء . . ولكن رئيس الوزراء صم اذنيه عن نداء العدل ! . . فاتجه الرجل الى الجنرال بيبو صديقه الحميم ووزير الحربية ، ولكن تساند الفساد في الاداة الحكومية والجيش جعل ذلك الرجل يصم اذنيه ايضا عن نداء العدل والحق . . بل وبدأت الصحف تنشر حملات طافحة بالسباب ضد نائب رئيس مجلس الشيوخ الذي يريد اثبات براءة دريفوس !

ان ربك بالمرصاد !

◆ ولكن في اكتوبر سنة ١٨٩٧ حدث ما قلب موازين الامور، فقد اكتشف سمسار في البورصة يدعى ديكسترو - كان يتولى شؤون استرهازى المصرفية - ان الرسالة بخط عميله

استرهازي لا محالة ، فحمل خطاب استرهازي الذي تحت يده الى نائب رئيس مجلس الشيوخ ، واتضح من المضاهاة صدق اعتقاده ! فسارع شقيق دريفوس الى نشر بيان على صفحات الصحف يتهم فيه استرهازي علنا بأنه كاتب الاشارة!! وكانت النتيجة المباشرة لانكشاف الامر ان راح انصار الفساد ينشرون حملات منظمة للنيل من أنصار دريفوس .. وبدأت المعركة الرهيبة بين الفريقين ! .. فراح هنري واسترهازي يزوران برقيات على انها صادرة من بيكار لكي يلقوا عليه تهمة الخيانة . ولكن شاءت عدالة السماء ان يضع المجرمون «امضاءهم» على التزوير دون ان يدروا ، فقد كتبوا اسم بيكار بالطريقة «الخاطئة» التي يتجهجاه بها استرهازي ، فتيسر بذلك لبيكار أن يعرف صاحب التزوير ويعمل على فضح أمره !

ولما أحس استرهازي بوشك افتضاحه توجه لمقابلة الملحق الألماني وشهر مسدسه في وجهه مهددا اياه ان يقتله ثم ينتحر ان لم يذهب الملحق ليقول لمدام دريفوس ان الذي كان يبيعه الاسرار الحربية هو زوجها وليس استرهازي ! ولكن الملحق الألماني رفض هذا الطلب ، ولم يفعل أكثر من أن وعد محدثه بالايشي به او يبوح بسره ..

تزوير مركب !

◆ وفكر المجرمون في اجراء «تزوير مركب» لانقاذ استرهازي وذلك بأن يدسوا وثائق مزورة على انها صادرة من استرهازي .. ثم يحقق معه في امرها قضائيا ، فيثبت بطبيعة الحال انها مزورة ضده ومدسوسة عليه ، واذا ذاك يصدر الحكم ببراءته ! .. وتكون تلك مناسبة طيبة لان تعلن وزارة الحربية انه رجل شريف «استحق تقدير الوطن» وانه ضحية حملة ظالمة من

المجرمين الخونة ! .. ثم تكون الخطوة التالية اتهام بیکار بالتزوير .. وبذلك يضرب الأثمة الاذكياء عصفورين بحجر واحد !

وقد تم كل شيء بالفعل حسب الخطة الموضوعة ، فأعلنت براءة استرهازی .. وقبض على بیکار واودع السجن !!

انى اتهم !

♦ في هذه اللحظة انبرى لقضية دريفوس محام من نوع ممتاز، خارق للعادة . ذلك هو الكاتب الالمی «امیل زولا» ، الذى نشر في صحيفة «الأورور» اتهاما صريحا لوزارة الحربية بأنها برأت استرهازی بالامر ، للتستر على «جريمة» ادانة دريفوس البريء غيلة وغدرا !

وكان الاتهام من القوة والعنف بحيث رأت الحكومة انها مجبرة على انقاذ شرفها ، بتقديم «امیل زولا» نفسه للمحاكمة ! بيد ان الفساد كان من الخبث والدهاء بحيث اقتضت المحاكمة على الفقرة الخاصة بأن تبرئة استرهازی كانت بأمر وزارة الحربية ! .. أما كل ما يتعلق بقضية دريفوس فمنع التعرض له اثناء القضية لانه حائز لقوة «الشيء المحكوم فيه» ! .. وهكذا تحصن الفساد بذرائع ومعاذير قانونية وفقهية ، في الوقت الذى وقف فيه وزير الحربية في المحكمة يقول للمحلفين :

— اذا لم تدينوا زولا فمعنى ذلك ان شرف الجندية قد استبيح ، وسيضطر كبار الضباط الى تقديم استقالة اجماعية ما دامت تصحياتهم الكريمة لا تقابل الا بالجحود ، وما دامت كراماتهم نهبا لكل متناول !

وهنا وقف زولا فألقى دفاعه الخالد ، الذى جعل همه فيه أن يدفع التهمة ، لا عن نفسه .. بل عن دريفوس ! .. وقد ختم ذلك الدفاع بعباراته الماثورة :

((ان دريفوس برىء ، اقسم على ذلك ، بحياتي ، بشرفي ! ..
 ((في هذه الساعة الحاسمة .. وامام هذه المحكمة الموقرة ،
 التي تمثل العدالة الانسانية .. وامامكم انتم جميعا ايها السادة ،
 الذين تمثلون صفوة رجال القانون .. وامام فرنسا بأسرها ..
 بل أمام العالم اجمع .. اقسم ان دريفوس برىء ! .. بل باسم
 الاربعين عاما التي انفقتها في الكد والعمل ، وباسم النفوذ الادبي
 الذي كفله لي ذلك الجهاد الشاق ، اقسم ان دريفوس برىء ! ..
 باسم الصيت الذي بنيته لنفسي حجرا فوق حجر ، وباسم
 مؤلفاتي التي ساهمت في نشر الثقافة الفرنسية ، اقسم ان
 دريفوس برىء ! .. فليتبدد كل ذلك مع الريح ، ولتفنى
 مؤلفاتي ويمحى اسمى من الوجود ، ان لم يكن دريفوس بريئا !
 .. وانه لبرىء !

((ان الجميع يقفون في هذه القضية ضدى : مجلسا البرلمان
 .. والسلطات المدنية .. والصحف الكبرى الواسعة الانتشار
 .. والرأى العام الذى سمم كل هؤلاء افكاره ! .. وليس في
 جانبي غير شىء واحد : المثل الاعلى ، المثل الاعلى في الحق
 والعدالة ! .. لكنى مع ذلك مستريح الخاطر ، مطمئن الى انى
 سانتصر .. فلقد عقدت العزم على ان لا يظل وطنى ضحية
 للاكاذيب والمظالم . وانا اعلم اننى قد ادان بسبب ذلك ، ولكن
 سوف يأتى اليوم الذى تشكرنى فيه فرنسا على كونى ساهمت
 في انقاذ شرفها !))

ورغم هذا الدفاع البليغ فقد ادانت المحكمة اميل زولا ..
 حكمت عليه بالحبس سنة وبغرامة قدرها ثلاثة آلاف فرنك !
 .. فى الوقت الذى تألف فيه مجلس عسكري لمحاكمة بيكار
 محاكمة سرية ، لانه اطلع محاميه على المكاتبات المتبادلة بينه
 وبين الجنرال جنوز .. فأُسفرت المحاكمة عن معاقبته بالطرد
 من خدمة جيش الجمهورية !

وقدم زولا نقضا للحكم الى محكمة النقض ، فقبلت الطعن - لخطأ المحكمة في تطبيق القانون - وامرت باعادة المحاكمة .. غير ان زولا استمع لنصائح الذين حذروه من تعريض نفسه للسجن ظلما وعدوانا ، فأثر الهجرة الى انجلترا للبقاء فيها بمنأى عن الخطر حتى تتغير الاوضاع ..

وهكذا انتصر الفساد على العدالة مرة اخرى !

وزراء يكذبون !

♦ وكانت ثلاثة الاثافي ان برلمانا جديدا قد أنتخب ، فوقف وزير الحربية الجديد يعلن بكل تبجح ان دريفوس قد اعترف بجريمته ، وقدم للمجلس وثيقة مزورة تؤيد هذا الزعم ! .. فقرر المجلس باجماع اصوات النواب ما عدا صوتين (٥٧٢ ضد ٢) ان تعلق صور من هذه الوثيقة المزورة في كل قرية من قرى فرنسا البالغ عددها ٣٦٠٠ قرية ! .. وثار بيكار على هذه الفرية المكذوبة فكتب الى الصحف ان هذه الوثيقة مزورة ، فكان رد الحكومة القاء القبض عليه وايداعه السجن من جديد ! بيد ان الضمير الانساني أبى على الملحقين الالماني والايطالي الا أن يعلنوا أن الوثيقة مزورة ، وافضيا لوزير الحربية بأن الذي زورها قام بذلك التزوير باملاء الكولونيل هنرى ! .. فأمر وزير الحربية بالتحقيق مع هنرى ، وضيق الخناق عليه ، فاعترف بأنه قام بذلك التزوير لمصلحة الجيش العليا ، فألقى القبض عليه في الحال !

ولكن ، في صباح اليوم التالي فوجيء المسؤولون بالعثور على هنرى هذا في زنزانته .. مذبوحا ! ومازال سر مصرعه غامضا الى اليوم ! ..

هل قتل حتى لا يشي بشركائه ؟

هل انتحر بأمر رؤسائه ليصون سمعة الجيش ؟

أم انتحر من تلقاء نفسه خزيا وعارا ؟
علم ذلك عند علام الغيوب ..

ولكن الذى لاشك فيه ان الصحافة قامت وقعدت لمقتله،
وقالت انه شهيد الواجب، وان تزويره لم يكن الا «كذبة بيضاء»
لصالح الدولة .. وجمع بالاكتتاب العام مبلغ ٦٠٠٠ جنيه
لاقامة نصب تذكارى للشهيد الكريم !

واخيرا ...

♦ **وانتج اعتراف هنرى ومصرعه اثرهما العميق ، فاستقال**
وزير الحربية ، واستقال قائد الجيش «بواديفر» ، وفر
«استرهازى» و«ديكلام» الى انجلترا .. وهناك راح استرهازى
يكرر على جميع الاسماع دون حياء انه هو كاتب الرسالة
المشئومة بلحمه ودمه !

واضطر رئيس الوزراء «بريسون» أن يعلن اعادة نظر
القضية أمام محكمة النقض والابرام .

وفى ٢٦ سبتمبر بدأت المحكمة العليا تحقق القضية من
جديد .. وانتهت بعد تحريات دقيقة الى أن استرهازى هو
كاتب الرسالة السرية التى آدين بسببها دريفوس . وان هذا
كاف لهدم ادانة دريفوس ، ولوجوب اعادة النظر فى قضيته
فورا !

وهكذا اعيد دريفوس من جزيرة الشيطان الى فرنسا ،
لتعاد محاكمته .. لا فى جلسات سرية ، بل على ملا من رأى
العام فى «رين» . وادلى ستة وزراء للحربية من رجال
الجيش القدماء بشهاداتهم ، فقرروا اعتقادهم الراسخ فى براءة
دريفوس ! ..

واخيرا جاءوا بالملف السرى المزعوم .. فاذا به خلو من
أى دليل ، ما عدا شائعات حشيت بها تقارير سرية لا سند لها ،

فاضطر الجنرال مرسية (وزير الحربية السابق وقت محاكمة دريفوس الاولى) أن يواجه القضاة بقوله :
- اختاروا بيننا : هو أو انا !

أى بين هيبة العسكرية وبين تبرئة دريفوس ! .. ولم يكن القضاة رجال قانون بل رجال سيف ، فخیل اليهم ان المطلوب ان يثبت دريفوس براءته والا فهو مذنب ، لا ان يثبت الاتهام ادانته والا فهو برىء .. !

بيد أن الاستاذين لا بورى وديمونج بينا للقضاة العسكريين الوضع الحقيقى لاصول العدالة .. فوجد هؤلاء انفسهم عاجزين عن اثبات الادانة ، ولا سيما بعد أن اتضح أن استرهازى اعترف بكتابة الاشارة ، كما ثبت ان استرهازى حضر المناورات وان دريفوس لم يحضرها ..

ورغم هذا كله فقد عز على أكثر القضاة أن يطعنوا هيبة الاحكام فى الصميم فيسجلوا اعترافهم بخطأ الحكم السابق ، فانحاز خمسة منهم ضد دريفوس .. ولم ينصفه من الظلم الفاحش الواقع عليه غير قاضيين فقط !

وهكذا صدر الحكم بحبسه فى قلعة حصينة بارض فرنسا مدة عشر سنوات ! .. ولكن شعور القضاة بخطاهم فى تصحيته ، فى سبيل هيبة القضاء ، جعلهم يشفعون ذلك الحكم برجاء اعفاء المذنب من التجريد من رتبته العسكرية لوجود ((ظروف مخففة)) .. مع انه لا ظروف مخففة على الاطلاق فى جرائم الخيانة .. وانما هو شعورهم الدفين بنقاء ساحته !

وسرى فى النفوس شعور بالغضب لذلك الذى حدث .. ووضح للناس ان وجود اثنين من قضاة دريفوس يقولان ببراءته ، معناه أن الرجل برىء فعلا ، وليس هناك دليل واحد قاطع على ادانته . كما أن السنوات العشر اخف عقوبة ممكنة للخيانة ! .. واذن فالحكم ينطوى فى الواقع على اعتراف ضمنى بوقوع ظلم على الرجل ، وبانه برىء الساحة ..

واستجاب رئيس الجمهورية لصوت الرأى العام ، فقرر اطلاق سراحه فوراً !
وهكذا خرج دريفوس الى نور الحرية فى الساعة الثالثة صباحاً ، بعد خمس سنوات من دفنه حياً . . !

يطالب برد اعتباره . . بحكم قضائى !

◆ لكن الوطنى البرىء الذى أدانته القضاء بحكم دامغ ، لم ير فى «عفو» رئيس الجمهورية رداً كافياً لاعتباره . . فكتب الى رئيس الوزارة - فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠ - يقول : «ان براءتى التى أستشعرها فى قرارة نفسى تهيب بى أن اظل ادا فع عنها واسعى لاثباتها - بحكم قضائى - حتى آخر يوم من حياتى . . لذلك اكرر مطالبتى بالحق المشروع لكل مواطن فى الدفاع عن شرفه . . ومن ثم فانى التمس من عدالتكم اصدار الامر باعادة التحقيق فى قضيتى بمعرفة اعلى هيئات القضاء فى البلاد !»
وواصل دريفوس سعيه الى هذا الهدف نحو عامين . .
واخيراً - فى سنة ١٩٠٣ - اجابه المسؤولون الى طلبه فشكّلوا لجنة من كبار رجال القانون والجيش لفتح باب التحقيق فى قضيته من جديد . .

وعكفت اللجنة على مهمتها طيلة اكثر من عامين آخرين ، بذلت خلالهما جهوداً جبارة فى سبيل الكشف عن الحقيقة واثباتها بالادلة القاطعة . . فلما انتهت من ابحاثها رفعت نتيجة التحقيق الى النائب العام ، الذى أمر باعادة نظر القضية من جديد امام دوائر محكمة النقض مجتمعة . .

ونظرت المحكمة القضية ، وقتلتها بحثاً وتمحيصاً . . حتى انتهت فى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٦ الى اصدار حكمها النهائى فيها ببراءة دريفوس من كل ما نسب اليه ، وأحقيقته فى التعويض عما أصابه من عسف واضطهاد . . ونشر الحكم على نفقة الحكومة فى خمسين صحيفة فرنسية !

ثم اجتمع مجلس النواب فأصدر - بأغلبية ٣٤٣ صوتا ضد ٨٨ - قرارا بتوجيه الشكر لكل من عاونوا بجهودهم وتضحياتهم على اظهار الحقيقة التي تضافرت قوى الشر والبغى على طمسها .. فأنقذوا بذلك شرف فرنسا وسمعة قضائها وعدالتها من الوحل الذي لطمخهما به الخونة الانذال ! ..
واخيرا توجت الحكومة حكم المحكمة وقرار البرلمان بمنح دريفوس وسام فرقة الشرف - ((الليجون دونور)) - تعويضا له عما قاسى ومكافأة له عما احتمل !
ثم اقام الجيش احتفالا مهيبا رد فيه للضابط البريء رتبته العسكرية واعتباره الادبى ..
وبذلك انتهى الطور الاخير من اطوار قضية دريفوس ،
التي هزت الضمير العالمى وشفلت الازهان والصحف نحو اثني عشر عاما كاملة !!
والعاقبة للاطهار الابرار .. فى كل زمان ومكان !

عزيزى القارىء . . .

استخرجت لك فى كتابى الاول من كنوز الكتب القديمة كتاب «ديكاميرون» لبوكاشيو . . وفى كتابى الثانى «دون كيشوت» لسرفانتس . . ثم انتقلت بك فى العدد الذى يليه من ايطاليا واسبانيا الى « اثينا » القديمة فاستخرجت لك «اللياذة» هوميروس الخالدة . . ثم صحبتنى الى فرنسا القرن الثامن عشر حيث تعرفنا الى فيلسوفها الخالد « جان جاك روسو » فى كتابه المشهور «اميل» . . ومن هناك انتقلنا فى العدد الذى تلاه الى بلاد العرب وجزائر الهند ، فاستمتعنا بصحبة « حى بن يقظان » و « روبنسن كروزو » . . ثم استأنفنا سياحتنا عبر الاجيال الى مصر الفرعونية فقرأنا «غرام الاخوين»

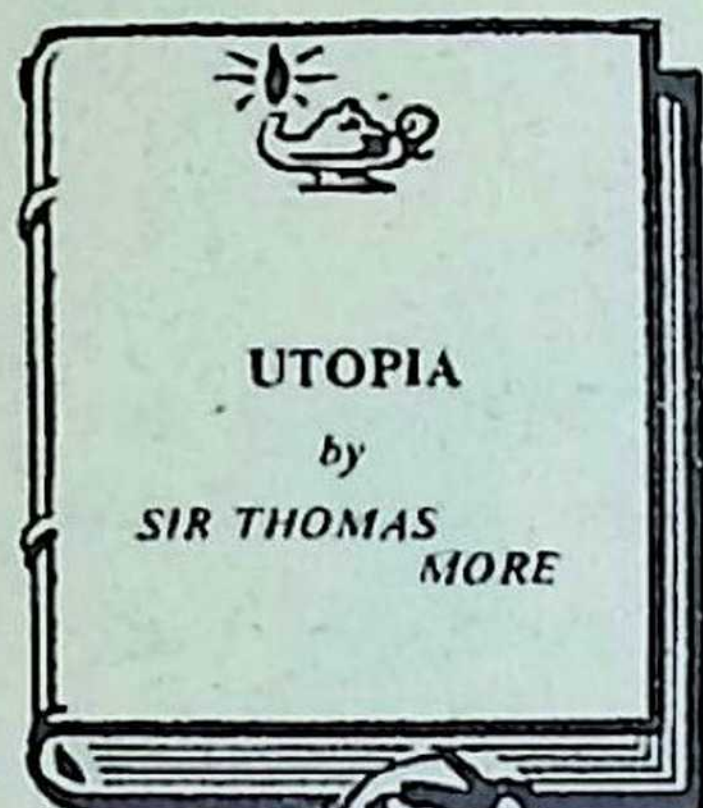
واليوم ننتقل معا الى جزيرة «يوتوبيا» لنتعرف على اهلها واساليب معيشتهم ، كما وصفها خيال المصلح القديم «توماس مور»

وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله من هذه الكنوز القديمة : البطولة وعبادة الابطال (لكارليل) ، الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الاوديسة (لهوميروس) ، الامير (لكيافيللى) السياسة (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، رباعيات عمر الخيام . . البغلاء (للجاحظ) ، كلية ودمنة (لابن المقفع) . . الخ

كَنْبُ الأولون



كنوز الكتب القديمة



يُوتُوبِيَا

الدولة المثالية كما تخيلها المصلح القديم سير توماس مور

قصة الكتاب .. ومؤلفه

◆ في سنة ١٩٣٥ ، وبمناسبة احتفال العالم بذكرى مرور أربعمئة عام على استشهاد السياسي المصلح «سير توماس مور» صريعا لطفيان الملك السفاح هنري الثامن ، أصدر البابا «بيوس الثاني عشر» قرارا بادراج اسم توماس مور في قائمة القديسين ، رغم أنه لم يكن من رجال الدين !

وقد علق الناقد الانجليزى «أوليفر وارنر» على هذا القرار بقوله : « ان الانجليز مشهورون بأنهم بحارة ، أكثر من شهرتهم كقديسين ! .. لكن قرار البابا بتقديس اسم توماس مور قدأضاف عضوا بارزا الى جماعة هي برغم قلة أعضائها متألقة الشخصيات ! »

وقد كان توماس مور سفيراً رفيع المقام من سفراء الملك هنري الثامن ، حين أعدمه مولاة لانه أبى استخدام نفوذه الكبير فى الدوائر السياسية والدينية لتحقيق مطامع الملك غير المشروعة ، بعد أن أبى من قبل تيسير زواج الملك من « آن بولين » أثناء حياة زوجته الاولى ! (وقد رأى قراء « كتابى » فى قصة محاكمة آن بولين المنشورة فى العدد الماضى كيف ان هنري الثامن قد أفلح آخر الامر فى ارغام رجال الدين على اصدار فتوى ببطلان زواجه من زوجته الاولى ، ثم عقد زواجه على آن بولين .. فلما زهد فيها بدورها بعد سنوات ثلاث اتهمها بالخيانة الزوجية وأعدمها .. ثم تزوج من ثالثة !)

وقد أثار اعدام توماس مور ضجة كبرى واستنكارا فى سائر دول أوربا ، نظرا للمكانة الممتازة التى كانت له فى القارة بأجمعها ، فاضطر هنري الثامن الى تكليف سفرائه فى كافة الدول بتبرير ذلك الاجراء بشتى المعاذير ، والزعم ان «مور» قد حوكم قبل اعدامه محاكمة عادلة !

وقد عومل مور فى سجنه أثناء المحاكمة أسوأ معاملة ، حتى لقد حرم من الورق والقلم اللذين طلبهما لتسجيل خواطره فى تلك الفترة العصيبة ! .. وبلغ من ضعف صحته وتخاذل قواه نتيجة لتعذيبه انه حين اقتيد الى مكان المقصلة لم يقو على الصعود اليها ، فاحنقه ذلك وطلب من الضابط الذى يرافقه ان يعينه



على الصعود ، ثم اردف طلبه بعبارة
الشجاعة الماثورة : « أما النزول منها
فسوف اتكفل به بنفسى ! »

واليوم يندر بين عظماء الانجليز ، بل
بين مشاهير القديسين ، من تحظى
ذكراه بالتمجيد الذى تحظى به ذكرى
توماس مور . والسبب هو أنه ألف
كتابا أطلق عليه « يوتوبيا » ، اثر تأثيرا
عميقا فى التفكير السياسى للبشرية
جمعاء ، وقد وجهه لجميع الشعوب ..
فى جميع العصور !

ترجم الى كل اللغات !

◆ وقد نشرت الطبعة الاولى من الكتاب فى مدينة « لوفان » سنة ١٥١٦
باللغة اللاتينية ، لغة الثقافة والعام فى ذلك العصر ، وترجم الى الالمانية
والفرنسية فى حياة مؤلفه .. لكنه - وبالعجب - لم يترجم الى الانجليزية الا
بعد صدوره بنحو ٣٥ عاما ، وبعد ان غاب صاحبه فى غيابة القبر ، وان كان قد
درس فى جامعات انجلترا ذاتها - باللاتينية - عقب صدوره بوقت قليل ..

ويقول مور فى مقدمة كتابه انه شرع فى تأليفه اثناء مقامه فى هولندا
موفدا من ملك انجلترا لعقد معاهدة تجارية معها . والكتاب يجرى فى صورة
حوار بينه وبين سائح وهمى يدعى (رافاييل هيثلوداي) ، « زار بلادا كثيرة
غريبة ، ورأى اشياء غير مالوفة ، وامن فكره فى كل مارأى وسمع ! »

وقد كان من بين العوامل التى اوحى الى مور بصياغة قصته فى صورتها
هذه ما توصل اليه الاسبان والبرتغاليون فى تلك الآونة من اكتشافات بحرية
فى بقاع كانت مجهولة تماما ، كما تأثر عند تأليفها الى حد كبير بالقصص
والروايات التى عاد يرويها المكتشف الايطالى « امريكو فسبوتشى » بعد
رحلته الى القارة الجديدة «امريكا» ، التى سميت باسمه ..

من وحي « جمهورية » أفلاطون

◆ على أن الكتاب يستمد فكرته الأساسية - فكرة البحث عن الدولة المثالية - من الحلم القديم الذي داعب من قبل خيال الفيلسوف اليوناني «أفلاطون» في سفره الخالد : «الجمهورية» ..

والجزء الاول من الكتاب انتقادي ، يعطى صورة لنحياة الانجليزية في مستهل القرن السادس عشر ، بما انطوت عليه من الفساد والظلمان في كافة نواحيها ، ولاسيما من حيث تركيز الثروات في ايدي حفنة من النبلاء الاقوياء والهيئات ذات النفوذ - كالكنيسة - الامر الذي أدى الى ترك الفقراء في حالة حرمان ، وفاقة ، وتعطل ، وعذاب مروع .. وهذه كلها بدورها أدت الى موجة من الجرائم الانتقامية ، أفضت هي الاخرى الى سلسلة من القوانين التعسفية ، بل الوحشية ، التي حاولت بها الحكومة قمع تلك الموجة الاجرامية ١٠٠

والفساد الآخر الذي يحاربه «مور» في كتابه هو : الحرب ..! فهو يصف الجنود بأنهم « قتلة البشر » ، ولايؤمن بالشرف و «المجد» العسكريين . وانما يندد بلجوء الدول الى شن القتال على نطاق واسع ، في حين تحرم القتال الفردي وتعاقب عليه !

ثم يخلص مور من هذا - في الجزء الثاني من القصة - الى وصف الدواء بعد أن وصف الداء ، فيصور المجتمع المثالي - كما خلقه خياله - في جزيرة وهمية ، لا يضطهد أهلها طغيان .. ولا ترف زائد .. ولا يعرفون شيئاً اسمه الملكية الخاصة ، اويستعملون الذهب الا في تحقيق الاشرار ودمغهم بوصماتهم المزرية . ورغم أن العمل في الجزيرة اجباري ، الا أن ساعاته قليلة معقولة ..

لكن الذي يلاحظه القارئ للكتاب ، أنه وان سرد السائح هيثاوداي - راوى القصة المزعوم - الشئ الكثير من هذه التفاصيل لاحوال أهل الجزيرة ، وشرح العلاج الذي يقاومون به شرور المجتمع .. فان مور نفسه يعارض الكثير من هذه الاصلاحات المقترحة ، ويجاهر بعكسها .. فهو يؤمن مثلاً بان الغاء الملكية الفردية يؤدي الى الفوضى والمذابح .. ويرى أن الذي ينبغي معارضته ليس هو الملكية الخاصة في ذاتها ، وانما سوء استقلالها !

وبالاختصار ، فان قصة يوتوبيا تصور مجتمعا مثاليا يسهل العيش فيه على جميع المواطنين . اما عن نفسه فقد كان مور زاهدا متقشفا (حتى انه كان يرتدى لصق جسمه قميصا من الوبر الخشن) ، لكنه لم يكن يطالب الناس بان يتحملوا الصرامة التى يتحملها هو . . ولم يحاول تعزية المعذبين فى الارض بما ينتظر ان يلقوه فى العالم الآخر من تعويض عن شقائهم فى هذا العالم . . والواقع انه كان قوى الايمان بطيب معدن الطبيعة البشرية . . وبالسعادة . . فجعل اهل يوتوبيا - فى كتابه - يمتقون القسوة على النفس مثلما يمتقون القسوة على الغير ، ويدينون - رغم تعدد الاديان فى بلدهم - بدين فوق الاديان ، هو التسامح فى الدين . . ايمانا منهم بان نجاح الاديان اوفشلها يتوقف على الامثلة التى يضربها معتنقوها ، فى معاملاتهم للناس . .

يتأرجح بين الدنيا . . والدين

◆ وقد كان مور فى نحو الخامسة والثلاثين حين كتب سفره الخالد هذا . وكان ابوه قاضيا من قضاة « صاحب الجلالة » ، لكن الفتى نشأ فى بيت قريب له من رجال الدين يدعى الكردينال مورتون . . ورغم انه حذا حذو ابيه فدرس القانون ، فقد كان راجح الفكر فى شتى نواحي الحياة ، بحيث ظفر رغم صغر سنه باحترام وصداقة الكثيرين من اشهر علماء وادباء عصره . وفى سن الثانية والعشرين بدا يميل الى حياة العزلة والتأملات ، ثم قضى نحو ثلاث اواربع سنوات فى احد اديرة لندن . . لكنه لم يلبث ان تبين ان مواهبه تؤهله للحياة العامة كما تؤهله لحياة الدين والتعب . . فخرج الى العالم مرة اخرى ، واحترف مهنة القانون . . وتزوج مرتين ، كانت كلاهما زيجة سعيدة .

ونبغ مور فى سلك القانون . . ثم فى السلك الدبلوماسى ، فالسلك البرلمانى ، حيث صار نائبا وخطيبا بارزا فى مجلس العموم . . فلما رماه هنرى الثامن الى منصب السفير بلغ اقصى قمم الشهرة التى تسمح له بها مهنته . . وكانت من اعظم مؤهلاته التى اختير من اجلها فى هذا المنصب الخطير : نزاهته المطلقة وتحurre الكامل من الفساد ، الامر الذى كان فى عصره فضيلة نادرة !

فضائل .. بالجملة !

ومن امثلة هذه النزاهة ان امرأة حاولت مرة ان ترشوه ، فقدمت له كاسا ذهبية ثمينة .. فما كان منه الا ان نادى ساقيه وأمره بان يملأ الكاس بالنبيذ ، وبعد ان شرب نخب صحة زائرته .. اعاد كاسها اليها ! .. ومرة قدمت اليه اخرى قفازين بداخلهما اربعون جنيها من الذهب .. فقبل القفازين لكنه رد الذهب ، قائلا للمرأة : « انى افضل قفازى دون عائق ! »

وكان اسعد اوقات مور الوقت الذى يقضيه فى بيته بجهة «شيلي» .. وقد وصفه معاصره المفكر «ارازمس» بعد زواجه الثانى بقوله : «ليس فى الوجود رجل محب لاولاده مثله . وهو مشغوف بزوجته العجوز كما لو كانت غانية فتية ! .. وهو رضى الخلق الى درجة انه مهما وقع له من مكاره يقابلها كما لو لم يكن فى الامكان احسن مما كان ! »

وكان مور مولعا بمراقبة وتامل الحيوانات ، ذواقا للموسيقى ، ميالا الى الرسم .. حتى انه كان اول «راع» للرسم الشهير «هولبين» عند زيارته لانجلترا ، وقد كافاه هولبين على رعايته له برسم لوحة خالدة له تمثله بين افراد أسرته جميعا .. وهى لوحة تعد اليوم من ذخائر الفن .

وسرعان ما ادرك الملك نفسه مبلغ سعة افق سفيره وعلمه وذكائه ، فصار يفاجئه بزيارات متكررة على غير انتظار ، ثم يأخذه ليمشيا فى الحديقة سويا لمدة ساعة وهو يحيط عنقه بذراعه فى مودة واعجاب ! .. وقد كانت هذه الخطوة عند الملك موضع حسد زملائه واصدقائه ، لكنه لم ينخدع بها بل قال لصديق له غبطه عليها : « لست اجد فى ذلك مدعاة للفخر او السرور ، فلو كان الملك يربح من قطع راسى قصرا فى فرنسا لما تردد فى قطعه ! »

يفضل الموت .. على النفاق !

◆ وكان مصيبا فى رايه ، ملهما فى اعتقاده .. فحين طلب الملك منه - بعد سنوات - ان يقسم يمين الولاء له باعتباره رئيس الكنيسة وحامى الايمان (وكان هذا اللقب من حق البابا وحده !) رفض بكل بساطة ! .. وكان معنى ذلك هلاكه ، مالم يعدل عن رفضه ، فان الاعتراف للملك باللقب المذكور كان

ضرورة جوهريّة بالنسبة لمشروعية زواجه الثانى ! .. لكن العدول عن الرأى الصائب كان خارجا عن نطاق أى تفكير بالنسبة لكاثوليكي فى صرامة مور ! .. فكانت النتيجة الوحيدة المنطقية التى تتمشى مع هذا « الثبات » أنه أرسل الى سجن « برج لندن » الرهيب !

ومرت الايام .. وهو ثابت على موقفه ، لاتلين له قناة .. برغم الآلام التى كان يقاسيها فى زنزانه الكئيبة .. حتى لم يهد فى قوس صبر الملك منزع ، وبات من المتعذر تاجيل « نهاية » السجن العنيد الى ما لانهاية . ولكن حتى هنرى الثامن لم يكن فى وسعه التخلص من غريم ذائع الصيت مثل مور بغير اللجوء على الاقل الى محاكمته .. ولومحاكمة صورية !

وحين احضر الى قاعة المحكمة ، لم يكن بد من أن يخلق ممثل الاتهام الاكاذيب والمفتريات ، لتبرير مطالبته براسه ! .. فلما انتهى المدعى من سرد ادلة « خيانة » المتهم ، التفت هذا اليه وقال فى سخرية : « ان رثائى لك بسبب ارتكانك على الزور والبهتان ليفوق بمراحل رثائى لنفسى من اجل الخطر الذى اتعرض له ! » .. ثم اردف بكلامه بالقول انه مايزال « خادم الملك المخلص .. ولكن خادم الله أولا ! »

وكان « طبيعيا » ان يصدر الحكم عليه .. بالاعدام !

١٤ يوما فوق قنطرة لندن !

◆ وفى الليلة السابقة لاعدامه أرسل مور الى ابنته المفضلة « مرجريت » قميصه الوبرى ، وخطابا جرى مجرى الاساطير : « انى اثقل عليك يا عزيزتى الطيبة مرجريت ، لكنى سوف آسف لو تاخرت النهاية عن يوم غد .. ففدا يوم عيد القديس توماس ، وفيه اود ان القى ربى ! ودعبنى اصارحك بانى لم اعجب بحركاتك اكثر مما اعجبت بها حين قبلتنى فى المرة الاخيرة .. فانه يروقنى ان لا يدع الحب البنوى والبر الخالص للانسان أى وقت فراغ يهتم فيه بحركات المجاملة والمظاهر الدنيوية ! »

وفى اليوم التالى ، حين اقتيد « المتهم » الى منصة الاعدام ، ووضع راسه فعلا تحت السكين ، نطق بالعبارات التى لعلها اشهر اقواله الماثورة على الاطلاق : « انتظروا حتى ازيح لحيتى جانبا ، فانها لم ترتكب خيانة ! »

وبعد التنفيذ رشق رأس «مور» في طرف حربة مدببة نصبت فوق قنطرة لندن ، حيث بقي ١٤ يوما ! .. واعتزمت ابنته مرجريت ، التي وجه اليها « مور » رسالته الاخيرة المؤثرة ، أن تبذل كل مافي وسعها للحصول على رأس ابيها ، بالحيلة ، بعد ان رفضت السلطات تسليمه اليها بصفة رسمية ! .. ويقول الرواة انها نجحت في بلوغ امنيتها بطريقة غير مفهومة : ففيما كانت تسير ذات يوم تحت القنطرة ، وهي تتطلع الى حيث علق رأس ابيها ، غمغمت تناجيه : « لقد طالما اسند ابي راسه هذا على حجرى ، فهلا اسقطه الله في حجرى وانا مارة تحته ؟! »

وقد حققت امنيتها ، فسقط الرأس في حجرها !! .. ومن المحتمل انها رشت حارس القنطرة كى يلقي اليها بذلك الاثر الوحيد الحزين الباقي من ابيها العظيم ! .. على اية حال فان رأس مور بقي في حيازة ابنته .. حتى دفن معها عند موتها . وهو محفوظ الآن في محراب خاص فى قبو الاسرة بكنيسة «سانت دنستان» بكاتربرى .. تذكره «اللقديس» الشهيد الذى يعتبره البعض واحدا من ستة رجال ، هم اعظم الاخيار الابرار فى تاريخ الانسانية ! اما كتاب مور العظيم - «يوتوبيا» - فما يزال حيا .. وسيبقى حيا على مدى الاجيال ، باعتباره محاولة جبارة من اقدم المحاولات البشرية لوضع نظام فكرى لمجتمع مثالى !

وفيما يلى اقدم لك خلاصة وافية للكتاب :

أصل القصة

◆ كان الجالس على عرش انجلترا هو الملك زير النساء «هنرى الثامن» - ذو الزوجات الست ! - حين سمع توماس مور ، وكان وقتئذ سفيره فى بلاط الفلاندر ، لأول مرة بجزيرة « يوتوبيا » السعيدة .. فعن للسير توماس ، وهو رأس المستنيرين فى عصره ، أن يجعل من تلك الجزيرة مسرحا لنقده المر لاحوال المجتمع السائدة فى زمانه ..

وليس غريبا أن يكون توماس مور قد اخترع قصة تلك الجزيرة اختراعا لكى يصل الى هدفه . وليس غريبا

أيضا ألا يكون قد سمع بها ولكنه افترض سماعه بها
افتراضا ، واختلق لمن حدثه عنها - وقد سماه في كتابه
«رافاييل هيثلوداي» - اسما ووجودا ، وهو الشخص الوهمي
الذي لا وجود له !

وماذا لو أن الامر كذلك ؟ ماذا قد استطاع بهـذه
الوسيلة أن يزود الادب العالمي والفلسفة الاجتماعية وفلسفة
الحكم بكتاب رائع بديع في سـخريته اللاذعة ، وفكاهته
الرائعة ، وأفكاره الناصعة ، وآماله الخصبـة الواسعة ؟
لقد رسم في «يوتوبيا» حلما بعيد التحقيق ، ولكنه
جميل . . . ومثلا أعلى لا يدرك ، ولكنه يرام ويحتذى على
مر الاجيال . . . بل انه أضاف بقصته هذه الى قاموس اللغة
كلمة جديدة لم يكن لها وجود من قبل ، هي كلمة « يوتوبيا »
- أو الطوبية - التي صار يكنى بها عن الدولة المثالية أو
« الجنة الارضية » !

« عولس » الجديد

◆ يقول توماس مور : انه - ذات يوم من صيف ١٥١٥ -
كان خارجا من كنيسة العذراء في «أنتويرب» ، مقر سفارته
في بلاد الفلاندر (هولندا) ، حين أبصر في الجانب الآخر
من الطريق صديقا له يدعى « بيتر جيلز » يتحدث الى رجل
متقدم في العمر ، لوحـت الشمس وجهه بسـمرة شـديدة ،
يرتدى معطفا باليا يوحى بأنه بحار . . .
وقد اتضح له بالفعل فيما بعد أن ذلك البحار كان بمثابة
عولس (ULYSSES) بطل الاوديسة في الزمن القديم ، فقد
جعل همه أن يجوب البحار السبعة طلبا للمغامرة ، وجريا وراء
الغرائب والشوارد من أخبار البقاع المجهولة !
وصحب توماس مور ذلك البحار مع صديقه « جيلز »

الى بيته ، وفي ظل سندية
ضخمة في حديقة توماس مور
ألقى البحار على مسامعهما أعجب
أقاصيص البحر ، الا وهى قصة
جزيرة «يوتوبيا» السعيدة :
♦ قال هيثلوداي :



- جزيرة يوتوبيا هلالية
الشكل ، يضم قرنا هلالها مرفأ
طبيعيا يمتد فيه الماء هادئا
كالحصير ، لا نوع فيه . أما
خارج الميناء فالماء شديد السرعة
عظيم الخطر ، يتخلل طائفة من

الصخور والدوامات التى لا يعرف مسالكها الامينة الا أهل
الجزيرة . . . ويرجع الفضل فى شكل هذه الجزيرة الى فاتحها
الغابر ، الملك «يوتوباسى» ، الذى أخرج أهلها المتوحشين من
ظلمات الجهل الى نور الحضارة والتقدم الإنساني . . . ثم جعل
منها جزيرة بقطع برزخ الارض الممتد خمسة عشر ميلا ، والذى
كان يربطها بالقارة المجاورة .

أهل الجزيرة

♦ وأما أهل الجزيرة فقوم طوال الاجسام ، بيض البشرة ،
شقر الشعر ، زرق العيون . . . يسكنون مدنها الكثيرة الجميلة ،
وكلها متشابهة فى الشكل والتخطيط ونظام الحكومة . . .
ولكنها متباعدة ، يفصل بين كل مدينتين منها أربعة وعشرون
ميلا . ولا تفكر مدينة من تلك المدائن فى توسيع رقعتها
المرسومة لها ، على حساب الحقول التى تغل القمح ، أو المراعى
التي تغذى السائمة . . .

وفي تلك الحقول والمراعى بيوت نظيفة نظيفة لطيفة يسكنها أهل الزراعة والرعى ، ومزارع كاملة العدة يسكنها أهل المدن بالتناوب نوبة بعد نوبة - فى كل نوبة منها أربعون شخصا - تحت اشراف ناظر المزرعة وزوجته • فمن قوانين « يوتوبيا » أن يحذق سكانها جميعا أعمال الزراعة ، وتربية الماشية والدواجن ، والا تهدد الجزيرة خطر القحط اذا تمادى بهم الجهل بها جيلا فى اثر جيل ..

ومن طريف مستحدثات أهل الجزيرة فى هذا الصدد ، طريقتهم فى تفريخ الدجاج • • فهو عندهم لا يتم بالطرق الطبيعية العتيقة ، برقاد الدجاجة على البيض ، وانما فى بيوت للتفريخ الصناعى يحذق سكان الجزيرة اعدادها وادارتها • • وحببتهم فى ذلك أن الدجاجة اذا اكتملت تحتها أربع بيضات أونحو ذلك انقطعت عن وضع البيض لترقد على هذا العدد القليل ، فيقل بذلك عدد البيض وبالتالي عدد الدجاج • • والقمح والشعير لا يستخدمان فى الجزيرة الا فى صنع الخبز ، فليس لأهل « يوتوبيا » ولع بالجمعة ، وانما شرابهم المفضل نبيذ العنب والتفاح والكمثرى • • اذا ضاقوا بالماء ولم يقنعوا بشربه •

واذا جاء وقت الحصاد ، خف اليه معظم سكان المدن ، حتى يتم فى أقل وقت ممكن ، ولا تدركه الامطار بالعطب • • ولكن اللحم فى الجزيرة غير مستطاب كثيرا ، ولا سيما لحم الثيران • • لان الثيران عماد العمل فى الحقل - لا الجياد شأن انجلترا - ومن ثم يكون لحمها بعد ذبحها شديد الحشونة والمقاومة عند المضغ • •

« عمورية » • • عاصمة الدولة

♦ **واذا كانت كل مدن يوتوبيا على نمط واحد ، فوصف احداها - وهى عاصمة الجزيرة « عمورية » - يكفى فى تصوير**

أحوال أهلها جميعا

في كل عام تنتدب كل مدينة من مدن الجزيرة ثلاثة من أحكم وأقدر شيوخها كي يمثلوها في مؤتمر يعقد في العاصمة للمناظرة والمناقشة في السياسة القومية وشئون الحكم . وتقوم العاصمة فوق ربوة تشرف على نهر «النايدر» الذي يبلغ اتساع مجراه نصف ميل أمام العاصمة ثم يتسع رويدا حتى بصير عرضه ميلا كاملا حين يصب في البحر على بعد أربعين ميلا من عمورية . فهي بعيدة اذن عن أوضار المحيط ورواسيه المالحة ، والنهر يترقرق تحت أسوارها عذبا صافيا . وعبر النهر قنطرة حجرية تصل العاصمة بالريف المقابل لها . وللمدينة أسوار عالية قوية من الحجر الصوان فوقها أبراج للحراسة . وحول تلك الاسوار خندق عميق يحيط بها من جميع الجهات ما خلا جهة النهر . أماشوارع المدينة فنظيفة مستقيمة ، متقاربة المنازل ، وكل دار مؤلفة من ثلاثة طوابق ، وخلفها حديقة واسعة . .

بيوت مفتوحة !

♦ ومن عجب أن بيوت الدور في عمورية لاتعرف الاقفال والمفاتيح ، فلو أراد داخل أن يدخل مامنة من ذلك مانع ! . . وما عسى أن يكون المانع ؟ ان كل مافي البيت ليس ملكا لصاحبه ، وانما يقيم الناس في البيوت بالقرعة . وتقام القرعة مرة كل عشر سنين ، فيتبادلون بيوتهم بما فيها ! . . أما حدائق الدور فليس في الدنيا ما هو أغنى منها بالفاكهة والكرم والزهر والخضر ، فأهل يوتوبيا أحذق أهل العالم في زراعة البساتين .

الحكومة المثلى

♦ ويحكم كل مدينة من مدن الدولة ضباط يطلقون عليهم «سيفوجرانت» ، ينتخبهم الشعب ويصدق على انتخابهم الامير . أما الامير فينتخبه السيفوجرانت من بين أربعة من

المرشحين الصالحين يختارهم الشعب أجمع . ولا يجوز أن يبرم امر يمس المصلحة العامة الا اذا ناقشه السيفوجرانت مجتمعين في ندوتهم ثلاثة أيام على أقل تقدير . ولا يجوز اقبال باب المناقشة قبل أن يقول كل متكلم كلمته الاخيرة في الموضوع . . . ولا يناقش موضوع في اليوم الاول لعرضه ، خشية أن يتسرع عضو في ابداء رأيه ثم يمنعه كبرياؤه من التراجع بعد ذلك عن رأيه والاعتراف بأنه كان مخطئا ! . . . ولو أن التربية السياسية في يوتوبيا قد بلغت من الرقى ألا يفكر المواطن ، ولا سيما الرجل العام ، في تقديم غروره الشخصي على المصلحة العامة .

الاعمال والحرف

◆ **واذا** كانت الزراعة كما أسلفنا حرفة مشتركة يحذقها جميع السكان نسوة ورجالا ، فهناك حرفة أخرى يتعين على كل رجل أن يتخيرها لنفسه من بين الحرف : كأن يكون نساجا أو بناء أو حدادا أو نجارا أو ما الى ذلك . ولكن يلاحظ أن الحرف في مجموعها محدودة ، وانها جميعا تتصل بمنافع الحياة وضرورات المعيشة ، فليس فيها ما تزدهم به حضارتنا من اعمال تقوم على الغرور والتفاهة والمظاهر الخادعة . . .

زى واحد . . . !

وقد بلغ من بغض أهل يوتوبيا للمظاهر أنهم اتخذوا لانفسهم زيا واحدا في نسيجه ومنواله وتفصيله . وهو زى مريح يوافق الذوق ويكفل حرية الحركة لاعضاء الجسم . ولا فرق في الزى الالتميز بين ثياب الرجال وثياب النساء . . . وللتمييز أيضا بين ثياب الانثى وثياب السيدات . أما اللون فواحد : التيل الابيض الناصع صيفا ، والصوف بلونه الطبيعي نظيفا في الشتاء . فالنظافة هي أهم عوامل الاناقة في ذلك البلد السعيد . . .

وما أجدر هذا التشابه أن يقضى على التناظر والحسد اللذين يثيرهما تعدد ألوان الثياب وتفاوت طبقات القماش ، حتى ليرهق الرجل نفسه كي لا يكون من المتخلفين ، وترهق المرأة زوجها كي لا تتخلف عن بنات جنسها اللواتي ينافسن الطواويس فى كثرة الألوان والاختيال بها !

أما فى يوتوبيا فكل أسرة تصنع ثيابها بيدها ، ولهذا لا نجد بين الحرف صناعة الخياطين والخياطات . فكأن النسيج والخياطة شأنهما شأن الزراعة ، لا يجهلها أحد من الرجال أو النساء .

العمل فرض على الرجال والنساء !

والعمل فى تلك الدولة الفاضلة فريضة على النساء كالرجال سواء بسواء ! . . . وليس للحرف طبقات ، فلا يلزم الولد بالاشتغال بحرفة آبائه ، وإنما الاعمال حرة ، يختار كل ما يناسبه منها . وكل ما يهتم به الحاكمون ألا يركن أحد الى البطالة والكسل ، وألا يرهق أحد نفسه بالعمل من الفجر الى المساء ، فذلك الارهاق يجعل الناس أشبه بالعبيد ، وأهل يوتوبيا أحرار لا يعرفون العبودية ! . . . ولهذا قسمت ساعات اليوم الاربع والعشرين عندهم على المنوال الآتى : ست منها للعمل ، وثمانية للنوم ، والباقى وهو عشر ساعات فراغ يتصرف فيه كل شخص كيفما يشاء ، على أن يكون ما يشغل به فراغه نافعاً للروح والعقل والجسد : فهناك قاعات للمحاضرات لتثقيف الناس ، ومكتبات عامة . . . أما القمار بأنواعه فممنوع ، فيماعداء لعبة تشبه الشطرنج ، تساعد على تنشيط الذهن .

وليست قلة ساعات العمل سبباً بأى حال لقلة الانتاج القومى وفقر الدولة ، فإن الذى يجعل الدول الاخرى الفاسدة ترهق عمالها بالعمل شئ آخر غير ضرورة الانتاج ، وهذا الشئ هو كثرة عدد الكسالى والعاطلين رغم أنفهم أو بارادتهم

لأنهم من المترفين والاثرياء !! فإذا عمل كل الناس في دولة من الدول لم يحتاجوا إلا إلى عدد قليل جدا من ساعات العمل لإنتاج ما يلزم وزيادة ..

وليس معنى هذا أيضا أن يوتوبيا خالية من المتعطلين الذين لا يمارسون أي عمل ، فالشيوخ فيها والعجزة والمرضى والأطفال لا يعملون .. فهم في وضع ممتاز يضاهي في المجتمعات الفاسدة وضع الرهبان والنبلاء والمتسولين وأبناء الذوات .. الذين لو مارسوا عملا شريفا - وليس في يوتوبيا مكان لغير العمل الشريف - لتضاعف إنتاج الدول التي يعيشون فيها أضعافا مضاعفة ، ولاتيح لجميع المواطنين أن ينعموا بقسط أوفر من ساعات الراحة ، وقسط أقل من ساعات العمل .. أما وظائف الحجاب والخدم والحشم والذبول والاتباع ، فليس لهم في الدولة المثالية مكان ..

أفراد الأسرة بين ١٠ و ١٦

♦ **وتحرص يوتوبيا على أن يكون عدد السكان فيها مناسبا على الدوام للموارد الطبيعية ، فلا يقل عدد أفراد الأسرة (وتشمل الأبناء المتزوجين والأخوة في معيشة واحدة مع الأب والأم) عن عشرة ، ولا يزيدون عن ستة عشر !! ويحافظ على هذه النسبة بأن يؤخذ الأطفال الزائدون عن العدد من عائلاتهم فيضموا إلى العائلات التي تتخلف عن العدد المطلوب ..**

وإذا زاد العدد في مدينة من المدن نقلت الزيادة إلى مدينة تحتاج إليها . فإذا لم توجد مثل هذه المدينة شيدت مدينة جديدة للسكان الفائضين . وتقام المدينة الجديدة في أرض من أراضي أي دولة مجاورة مما يترك بغير زراعة لقلة الأيدي العاملة . فإذا رفضت الدولة المجاورة هذا الاتفاق الودي أرغمتها يوتوبيا على القبول بقوة السلاح !! فانه لا يجوز لأي دولة أن تترك أرضا بغير استغلال وفي دولة أخرى قوم لا يجدون

أرضا يعملون فيها ، فان ذلك بمثابة حرمان هؤلاء من القوات ..
وهى جريمة تستحق العقاب والردع !

الغذاء والكساء مجاناً !

♦ وتنقسم المدينة الى أربعة أحياء ، فى كل حى منها سوق عامة ومخازن لكافة الحاجيات يستطيع رئيس كل أسرة أن يأخذ منها مايشاء لحاجة أفراد أسرته بدون مقابل أو مقايضة ! .. فان كل شىء متوافر بكثرة ، ولا يأخذ أحد من هذه المخازن مايزيد عن حاجته ، لانه يعلم أنه سوف يجد كل شىء متوفراً فى أى وقت .. كما أنه لن يستطيع بيع شىء مما يحصل عليه .. وفى خارج المدينة المجرى العام ، تذبح فيه الماشية ثم تقسم على أسواق المدينة فى أحيائها المختلفة . ولكن لا يمارس مهنة الجزارة الا خدم من الاجانب ، لانها مهنة لاتليق بالمواطن الحر الطوبى ، لانها تقضى شيئاً فشيئاً على أحسن ما فى الانسان من خصال وهى الرحمة والرفقة والعطف !

أما المستشفيات فكثيرة متنوعة ، ويوجد أربعة منها فى خارج كل مدينة ، بعيداً عن تكاثف السكان . وهى من السعة والنظام بحيث يخالها المرء مدناً صغيرة ، فالسراير فيها متباعدة ، منعاً للعدوى وتوفيراً للراحة . وثمة معازل للأمراض الوبائية .. والعلاج بجميع أنواعه بالمجان ، داخل المستشفيات وخارجها !

يتناولون الطعام معاً !

♦ ومن عادة الناس هناك أن يجتمعوا للطعام فى قاعات عامة فى مواعيد منظمة ، بعد أن يدق لهم جرس نحاسى كبير أو نفير عال . وهم يفضلون ذلك مختارين على الاكل فى البيوت ، لما فى الاجتماع من السمر والفائدة . وهذه المطاعم مختلطة للجنسين معاً ، ولكن يجلس كل جنس فى



جانب من المائدة . . والامهات
المرضعات يجلسن الى مائدة
في قاعة خاصة مزودة بالمهود
والمراجيح ، والمدافئ والمياه
الجارية ، ويجلس معهن الاطفال
الذين تقل أعمارهم عن الخامسة
. . أما الذين يزيدون عن هذه
السن فيختلطون مع الكبار
على نفس الموائد، كي يستفيدوا
من حكمتهم وآرائهم من ناحية ،
ويشيعوا في المكان من روحهم
ومرحهم من ناحية أخرى . .

ومن عادة أهل يوتوبيا أن يقرأوا في كتاب قيم قبل
الاكل قراءة عامة قصيرة ، تعقبها مناقشة حرة يشترك فيها
الكبار والصغار ، ثم يقدم الطعام للكبار فالاصغر . ويلاحظ
أن الغداء يستغرق وقتا أقل من العشاء ، لما في المساء من
فسحة للحديث وفراغ من العمل . لهذا يصحب العشاء عزف
مقطوعات موسيقية لطيفة ، واطلاق البخور والعطور الزكية . .
تمشيا مع نظريتهم في عدم حرمان أنفسهم من أية متعة مادامت
بريئة ومشروعة . .

وهناك نظام يتيح لكل مواطن الاستمتاع خلال اجازته
السنوية بزيارة المدن الاخرى ، بعد الحصول على تصريح من
حكومة المدينة ، كي ينتظم العمل ولايتعرض للارتباك . .
وتزود الدولة المسافرين بعربة تنقلهم مجانا الى حيث
يقصدون . وهم لا يحملون معهم زادهم من الطعام ، لانه يقدم
لهم حيث يحلون بغير مقابل ، في اليوم الاول على الاقل . .

أما بعد ذلك فيتعين عليهم أن يعملوا نصف النهار ، فى نفس الحرفة التى يحترفونها فى موطنهم الاصلى . .
والحانات والمقاهى لوجود لها فى يوتوبيا ، وكذلك المواخير بأنواعها . . فالفضيلة مصنونة الجانب مرعية من الجميع ، والرفاهية والهدوء هما الطابع السائد .
وليس فى الجزيرة فقر ولا عوز ، وبالتالى ليس فيها تسول ولا سرقة ولا جرائم مبعثها الجوع أو الطمع . .

لا ذهب . . ولا فضة !

◆ **ونظام الانتاج فى يوتوبيا يراعى فيه ان ماينقص أحد الاقاليم من المنتجات الزراعية أوالصناعية يستكمل من اقليم آخر ، بحيث تنعم الجزيرة بالاكثفاء الذاتى . .** وحين تكتمل حاجة البلاد للعام التالى من سائر المحاصيل والاطعمة والمنتجات والمنسوجات ، يصدر الفائض الى البلاد الخارجية ، حيث يوزع سبعة على فقراء تلك البلاد ، والباقى يستبدل بما يلزم الجزيرة من الحديد - الذى لا توجد مناجم له فيها - ثم بالذهب والفضة ، اللذين يستخدمان لاستئجار الجنود المرتزقة من أرقى وأكفأ الاجناس . أما فى غير هذا الشأن فلا قيمة للذهب أوالفضة لدى أهل يوتوبيا على الاطلاق . . بل ان الاقراط الذهبية هى عندهم علامة على الشر والفساد وسوء السلوك ، يدمغون بها من يستحق الاحتقار العام !
وللقوم فى هذا الصدد فلسفة منطقية ، مؤداها أن الطبيعة - وهى بمثابة الام الرؤوم للبشر - قد جعلت أهم وألزم عناصرها ، وهى : الهواء ، والماء ، والارض نفسها ، فى متناول الجميع ، ظاهرة للعيان . . بينما أخفت التوافه التى لا فائدة منها - كالذهب والفضة والاحجار الكريمة - فى أعماق طبقات الارض ، بعيدا عن متناول الناس ! . .

الرياضة .. والعلم .. والمعتقدات الدينية

♦ **وأهل يوتوبيا** يمقتون «قتل» الحيوانات الاليفة بدعوى ممارسة «رياضة» الصيد ..! فالصيد في نظرهم عملية وحشية ، أكثر وحشية من ممارسة مهنة الجزارة : لان ذبح الماشية لأكل لحومها قد تبرره الضرورة .. أما قتل الحيوان في الصيد ، لمجرد الاستمتاع برؤية مصرعه ، فوحشية لا يبررها مبرر ..! لكن هذا لا يمنع القوم من ممارسة أنواع الرياضة البدنية التي تفيد الجسم ولا تؤذي الغير ، مثل السباحة والجري ونحوها

وحين يفرغ أهل يوتوبيا من أعمالهم اليدوية ، يكرسون أهم جانب من وقت فراغهم للعلم والاطلاع .. وقبل أن ينقل اليهم السائح «هيتلوداي» ما يعرف من فلسفة الاغريق كانوا قد استنبطوا من تلقاء أنفسهم الكثير من مبادئ الحكمة والمعرفة ، ولا سيما في باب علم الفلك ، وأبتكروا أجهزة لرصد حركات النجوم . أما التنجيم والرجم بالغيب فهم لا يمارسونه أو يميلون اليه

وهم يعتنقون الكثير من الآراء التي قال بها الفلاسفة القدماء بصدد بدء الخليقة ، ويؤمنون بالله وبخلود الروح ، وبالعقاب والثواب في اليوم الآخر ... ولكنهم ينكرون أن تعذيب الجسد في الدنيا يجدي على الروح في الآخرة ، ويرون أنه اذا كانت الطبيعة توصينا بأن نترقق بالآخرين ، فليس معنى ذلك أن نقسو على أنفسنا ! ولئن كانت القسوة على الغير مستهجنة ، فالقسوة على النفس ليست أقل استهجانا ! .. وفي رأيهم أنه من السخف وال حماقة أن يضمن انسان على نفسه بأسباب السعادة التي لا تعود بالضرر عليه أو على الغير ، سيما وان السعادة في نظرهم لا تنبع إلا من المتع الحلال المشروعة .. وقد بلغ من احتقارهم للقسوة والخسبة أنهم جعلوا

عقابهما التجريد من الحقوق السياسية والانزال الى مرتبة الخدم! والخدم أو الاجراء الذين يعهد اليهم بالمهام الوضيعة مثل الجزارة وسواها ليسوا عبيدا أسروا في معركة ، بل هم قوم من المجرمين الذين صدرت عليهم أحكام بالخط من أقدارهم واعتبارهم من هذه الطبقة عقابا لهم على الجرائم الوضيعة التي ارتكبوها .. كما أن منهم من فروا من بلاد أخرى هربا من سوء المعاملة وقبلوا بمحض رغبتهم أن يصيروا خدما لأهل يوتوبيا .. وأيّا كان جنسهم فإن أهل الجزيرة يعاملون هؤلاء الخدم جميعا بمنتهى الرفق والعطف . وإذا أراد واحد منهم الرحيل تركوه وشأنه ، بل وحملوه عند رحيله ببعض الهدايا ! .. وهم لا يتخذون أبناء الخدم خدما بدورهم أو عبيدا ، فانهم يؤمنون بأن كل انسان على هذه الارض يولد حرا . فاذا ارتكب أثناء حياته ما يستحق من أجله أن يصير عبدا أو خادما فذلك شأنه ..

عاداتهم في الخطبة والزواج

◆ **والفتاة في يوتوبيا لا تتزوج قبل سن الثامنة عشرة ، ويجب أن يكون الرجل أكبر منها بأربع سنوات . أما اذا ضاجع رجل فتاة قبل الزواج بها فانه يتعرض لاشد العقاب ، ويعاقب معه رئيس أسرته لاهماله في مراقبته .. !**

وطريقة الخطبة عندهم غريبة ، اذ تذهب كبيرة أسرة الفتاة فتختلى بالمرشحة للزواج وتجردها من كل ما تلبس ثم



تعرضها هكذا على خطيبها !! ثم يختل كبر أسرة الرجل بالخطيب ويعرضه على خطيبته عاريا من ثيابه جميعا . ويعجب أهل يوتوبيا من شعوب حين يشتري الفرد فيها دابة يدقق في فحصها ، أما الشريكة الآدمية فلا تلقى منه مثل هذا الاحتياط ، بحيث لا يرى الشريك من شريكة حياته قبل الارتباط بها غير وجهها و ثيابها ! وقد أدى هذا النظام الى استقرار الفضيلة بين أهل الجزيرة لان كلا الزوجين يختار الآخر وهو عارف بعيوبه ، وينتقى من يراه كفؤا له جسمانيا . .

تقاليد الطلاق . . وعقوبة الزنا

♦ **ولاتباح للرجل في يوتوبيا غير زوجة واحدة ، فلا تعدد في الزوجات . ولايباح الطلاق الا لعدة الزنا وحدها ، أو للشذوذ الشديد في المعاملة . ويحرم على المذنب المتسبب في الطلاق أن يتزوج مرة أخرى . ولايسمح للرجل بتطليق زوجته لتقدمها في السن أو اعتلال صحتها ، لان من كان هذا شأنها تحتاج الى مزيد من العطف والرعاية . .**

وجريمة الزنا عقوبتها في يوتوبيا نقل الزانى الى مرتبة الخدم أو العبيد ، شأنه شأن سائر المجرمين ، وان اختلفت مدة العقوبة . ذلك ان قانون الجزيرة لايعاقب بالاعدام ، وذلك لحكمتين : الاولى أنه يعتبر الاستعباد أقسى وأشد ايلاما من الموت . . والحكمة الثانية ان تشغيل المحكوم عليه في أعمال الخدم أو العبيد يفيد الانتاج القومي ، بعكس الحال فيما لو أعدم وصار في عداد الاموات . .

وكما يعاقب أهل الجزيرة الرذيلة ، يقيمون التماثيل في الميادين العامة لكبار الفضلاء . فالفضيلة لها المقام الاسمى عندهم . . ولاقيمة للبطولة العسكرية في نظرهم لان الحرب شيء مكروه لايمارسونه الا على مضض ، وذلك في حالة

اضطرارهم للدفاع عن بلادهم ضد عدوان خارجي ، أو اشتباكهم في حرب لتخليص شعب مضطهد استنجد بهم ضد غاصبيه .
وهم لا يرسلون رجلا الى الحرب برغم ارادته ، لا اعتقادهم أن الجندي الخائر القلب لن يؤدي عملا نافعا في الحرب ، بل يكون أداة لاشاعة الخور والجبن في نفوس زملائه .

وعند نشوب الحرب - اذا لم يكن من الحرب بد - تقف الزوجات الى جانب أزواجهن ، وحولهم أبناءهم ، اعتقادا منهم بأن كل من ربطتهم الطبيعة برباط وثيق ينبغي أن يتساندوا ويتبادلوا المساعدة عند الشدة .

ورجال يوتوبيا محاربون شجعان ، صناديد ، فان ذلك الخوف الذي يضعف قلوب الجنود في الدول الاخرى ، وهو الخوف من ترك أولادهم لخطر الفقر ، لاسلطان له عليهم بفضل نظامهم الاقتصادي والاجتماعي . .

وهم يستنكفون قتل جندي من الاعداء غير مسلح ، الا اذا كان جاسوسا . . وعند انتصارهم في الحرب يظهرون الكثير من دلائل الرحمة والشفقة . .

منع الحرب . . ولو بالاغتيال !

ومن مبادئهم السائدة عدم عقد محالفات خارجية عسكرية مع دولة أخرى ، ايماننا منهم بأن الدولة التي لاتربطها غيرها من الدول رابطة اخاء ومودة ، لن تربطها أوتقيدها محالفة عسكرية يسهل خرق نصوصها في أي وقت ! . . ولكن - على وجه العموم - تسود المودة علاقات يوتوبيا بجاراتها ، فالتجارة متبادلة . . والروابط الثقافية مزدهرة . . لكن ذلك لم يمنع من أن تكون للقوم ادارة مخبرات ممتازة ، وأن يكونوا حذرين من جيرانهم ، حريصين على حماية سعادتهم من كل اعتداء . . وهم يفضلون كف شر أعدائهم بالحيل السياسية الماكرة ، على سفك الدماء . . واذا استلزم الامر فانهم يفضلون

اغتيال زعيم الدولة المعادية على الاشتباك معها في حرب عامة ، فان قتل الزعيم الراغب في الحرب أقل بشاعة من قتل الالوف من الرعايا الابرياء الذين يسوقهم الى حتفهم مكرهين !

حرية الاعتقاد •• وطقوس العبادة

◆ **ويدين أهل يوتوبيا بحرية الاعتقاد ، فهناك في الجزيرة جملة ديانات تعيش كلها في وئام :** فالبعض يعبدون الشمس ، والبعض يعبدون القمر ، وآخرون يعبدون عظيما من العظماء الذين عاشوا يوما على الارض •• لكن الحكماء من أهل الجزيرة يؤمنون بوجود قوة مجهولة ، أبدية ، لا يمكن تصورها ، يعم خيرها العالم أجمع : هي الله ، خالق الكل ، أو «ميشرا» كما يطلقون عليه يلغتهم ، الشبيهة باللغة الفارسية ! •• كما ان بعض أهل الجزيرة اعتنق الديانة المسيحية • لكن المبدأ السائد في يوتوبيا هو : « لا اكراه في الدين » • والصفات المشتركة بين جميع المتدينين على اختلاف مللهم هي : الرحمة ، والمحبة ، والتعاون •

وهناك فريق من أهل الجزيرة يحرم الزواج وأكل اللحوم ، وفريق ثان يحلل الاثنين • ورجال الدين عندهم أتقياء وأطهار للغاية ، ولا يزيد عددهم عن ثلاثة عشر في كل مدينة • وهم يعنون أكثر العناية بارشاد الاطفال والشباب الى الطرق القويمة ، كي يشبوا مواطنين صالحين •

وليس ثمة ما يمنع رجال الدين هؤلاء من الزواج اذا أرادوا •• وهناك عدد ضئيل من النساء الارامل والعجائز يحترفن الدين ويتولين مناصبه كالرجال سواء بسواء •

وأهل الجزيرة يقدسون اليومين الاول والاخير من كل شهر وسنة • وهم يحرقون البخور ويعزفون الموسيقى أثناء العبادة ، كي تسمو نفوسهم على الماديات ! •• ومعابدهم متسعة ومعتمدة الى حد ما ، نظرا لاعتقادهم أن الضوء القوى يشتت أفكار

المتعبدين ، بعكس الضوء الخافت الذى يركزها فى الموضوع الذى تفكر فيه . وليس فى تلك المعابد أية صورة أو رمزيخص ديننا معيناً ، كيما يتاح لكل متعبد أن يتخيل الله على الصورة التى يوحى بها اليه دينه !..



◆ وعند هذا الحد من رواية البحار لمشاهداته فى جزيرة يوتوبيا ، اعتذر الرجل لجليسيه بالتعب ، واعدة باستئناف الحديث فى فرصة أخرى . لكن هذه الفرصة لم تحن قط ، فقد عاد توماس مور بعد أيام الى انجلترا ، حيث عكف على تسجيل القصة التى سمعها . وعندئذ تذكر أنه نسي أن يستفسر من البحار عن موقع تلك الجزيرة السعيدة ، فاعتزم أن يسأله عنه بمجرد أن يلقاه . لكنه عند عودته الى هولندا علم أن البحار قد أبحر من جديد ، مستأنفا رحلاته فى البحار السبعة !

وكان ذلك أهم مازعم « توماس مور » أنه سمعه من البحار المسن « رافاييل هيثلوداي » ، فسجله فى كتابه الخالد ، مصورا به المجتمع المثالى كما تراءى له ، على ضوء النقد المستنير لمفاسد عصره ..

وان فيه لنقدا لمفاسد العصر الحاضر الذى نعيش فيه ، رغم انقضاء أكثر من أربعة قرون على العصر الذى كتب فيه !



مجموعة «كتابي»

عزيزى القارىء . . .

هل قرأت هذا العدد من «كتابى» ؟ وهل أعجبك . . أوبعبارة
أصح : ما الذى أعجبك فيه ، وما الذى لم يعجبك ؟ . . أرسل
الى رايك مفصلا ، وثق انك سوف تجد صدى رايك محققا فى الاعداد
القادمة من «كتابى» باذن الله . .

واذا كان هذا العدد قد أعجبك ، فهل قرأت الاعداد السبعة
السابقة ؟

اذا كانت قد فاتتك فى وسعك الحصول عليها بعودة البريد قبل
ان ينفذ العدد القليل الباقي منها اذا ارسلت اليوم عشرة قروش
- مقابل كل عدد - بعنوان «كتابى» : ١٨ شارع العباسيين بمصر
الجديدة . . (هذا باستثناء العدد «الاول» من كتابى فقد نفذ تماما منذ
صدوره وسوف يعاد طبعه فى فرصة قريبة بعد الاعلان عن موعد
ظهوره على صفحات «كتابى» قبيل الموعد بوقت كاف)

واذا اردت ان لايتكرر حرمانك من بعض اعداد كتابى عند
صدورها ، لسبب او لآخر ، فارسل اليوم اشتراكك فى الكتاب لمدة
سنة (حسب القيمة المبينة فى الصفحة الرابعة من هذا العدد) تصلك
اعداد «كتابى» التالية بانتظام يوم صدورها ، اينما كنت . .

وفى وسعك ان تجعل امتياز التخفيض الذى يحققه لك الاشتراك
يشمل الاعداد السابقة ايضا اذا جعلت اشتراكك رجعيا ، أى ابتداء
من العدد الثانى مثلا ، او الثالث ، او . . . الخ - فتصلك الاعداد
الماضية بعودة البريد والاعداد القادمة بمجرد صدورها .

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة ، من
قصص التاريخ ومآسيه : (لوكريشيا
بورجيا) سليله السفاحين من آل بورجيا
.. ثم (لفر قيصر) .. فقصه (عشيقه
نابليون ، مارى فاليفسكا) ..

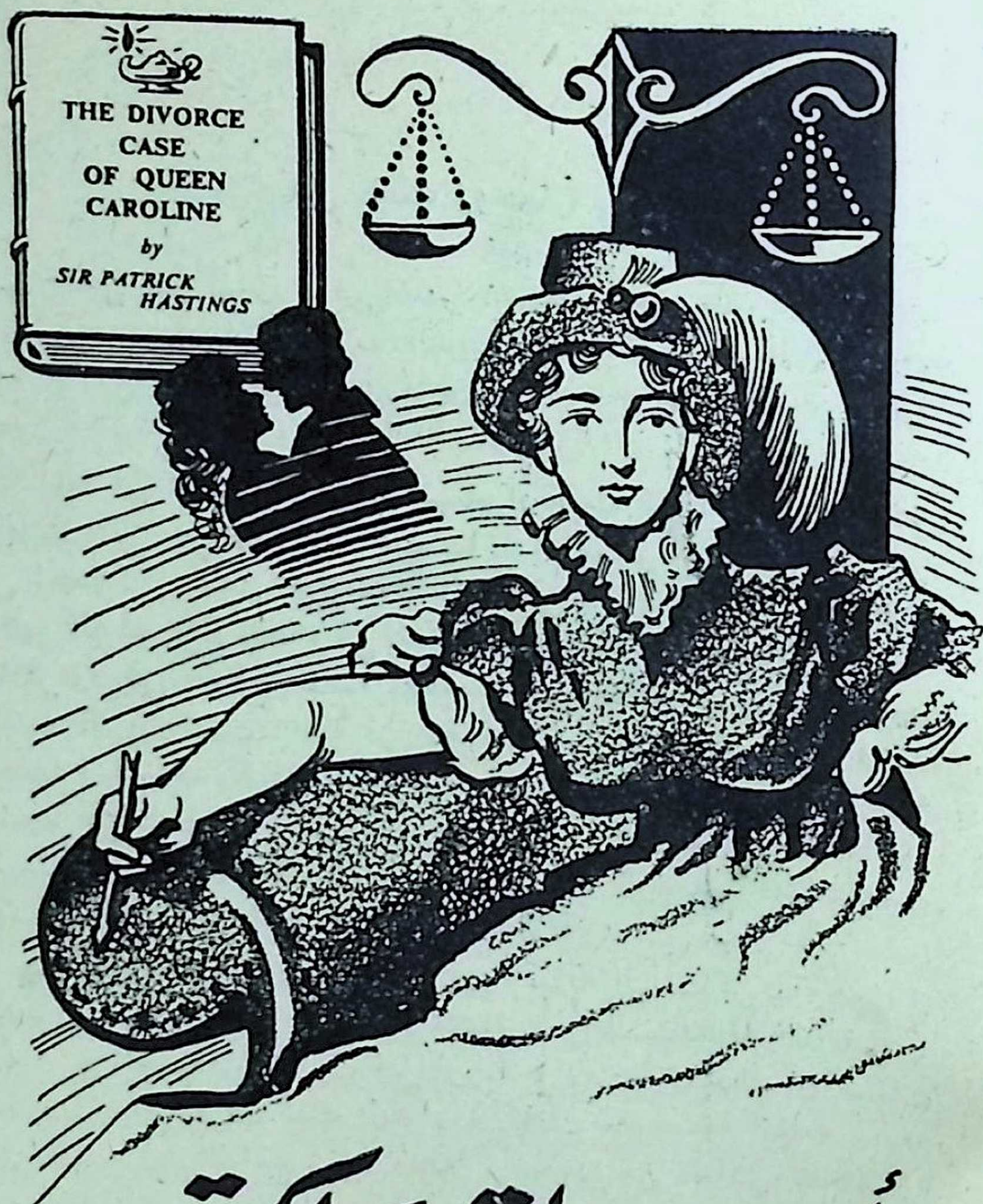
واليوم انتقل بك من صفحات التاريخ
الايطالى ، فالرومانى ، فالفرنسى .. الى
التاريخ الانجليزى ، فانتقى لك من
قصصه ومآسيه هذه الماساة المفجعة ،
مأساة ملكة انجلترا (كارولين) زوجة
الملك جورج الرابع ، الذى تكاد قصته
تكون قصة الملك السابق (فاروق) :
بمبازله ، ومجونته ، وقسوته ، وسخط
الشعب عليه .. الخ

وفى الاعداد القادمة اقدم لك بمشيئة
الله من قصص التاريخ ومآسيه الشائقة :
مأساة النسر الصغير (ابن نابليون) ..
سبايا بيزنطة الجميلات .. نهاية
الجنرال ناى (اشجع الشجعان) ..
فاجعة (جوانا) ملكة اسبانيا التى جنت
حبا ! .. قصة الليدى جين جراى ..
رحلة ماجيلان .. الخ

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه



مأساة ملكة..

سيرة فاضحة من سير الملوك الفاضحين ومخائيلهم
للحقق الانجليزى سير باتريك هاستنجز

هل خانت زوجها ؟

♦ فحين في لندن ، في شهر اغسطس من عام ١٨٢٠ .
وقد انعقد مجلس اللوردات البريطانى بهيئة محكمة ، لتحقيق
أفجع نزا عزوجى عرض على برلمان : النزاع بين ملك بريطانيا
« جورج الرابع » وزوجته الملكة كارولين !

أما ان الملكة المذكورة قد ارتكبت في الحقيقة جريمة
الزنا - التى حوكت من أجلها - أم لم ترتكبها ، فذلك أمر
لعل أحدا لن يهتدى فى شأنه الى يقين !! أما الشئ المقطوع
به فهو انه لو ترك الحكم فى هذا الاتهام يومئذ للشعب الانجليزى ،
لجاء قراره فى صالح ملكته المحبوبة . . ولا ريب ان الجماهير
الهاتفة التى رافقت الملكة فى ذهابها الى مجلس اللوردات وعند
عودتها منه ، قد أقنعت الملك وقتئذ بأن مكانته فى قلوب رعيته
ليست على الصورة التى كان يشتهيها !! والواقع ان معاملته
السيئة لزوجته الملكة كارولين طيلة مدة زواجهما قد ساهمت
بنصيب كبير فى الغض من هذه المكانة . .

♦ كان الملك جورج الرابع فى شبابه الباكر - وهو ولى
للعهد - يوصف فى أوساط متملقيه وأصدقائه المنافقين ،
بأنه : « الجنتلمان الاول فى أوربا » !! ولا شك ان صفات
الجنتلمان فى عرف تلك الحاشية كانت متواضعة للغاية ، فقد
كان الامير فى الواقع شابا مدلا ، مجردا من المبادئ الخلقية ،
متورطا فى الديون دائما حتى أذنيه ، دون ما أمل فى السداد ، اللهم
الا اذا اغترف ما ينقصه من خزينة الحكومة !! بل انه حين
ضاقت به سبل الحصول على كفايته من المال ، عمد الى استخدام
وسائل غير شريفة لنيل مبتغاه ، مثل اصدار قراطيس مالية
كان يعلم مقدما انه لن يسدد قيمتها أبدا !



والخلاصة ان شاغله الوحيد
كان جمع الخيللات ، اللواتى
كانت لديه منهن «مجموعة»
هائلة من جميع الاوصاف
والاشكال ! .. وكانت مراهناته
فى حلبة السباق ذات طابع
مريب .. وذوقه فى انتقاء ثيابه
سوقيا صارخا !

زواج .. بالمراسلة

♦ أما زواجه من الاميرة
كارولين - ابنة أمير «برونسويك»
الالماني - فقد كان بالنسبة اليها
.. مأساة ! .. وكانت الخطبة

قد تمت على الطريقة التى كانت مألوفة فى الزيجات الملكية فى
العالم كله فى ذلك الحين ، فلم يلتق الخطيبان قط قبلها ! ..
وكانت الاميرة قد نشأت وفقا لاقصى مبادئ التربية الالمانية
الصارمة ، لكنها لم تكن على حظ كبير من الجاذبية . وحين
تم التراضى على المصاهرة بين اولياء الامر « أرسلت » الاميرة
من بلاط أبيها الى « عريسها » فى لندن ، دون أن يقترن ذلك
بأى مظهر من مظاهر الحماس أو آداب اللياقة من أى جانب من
الجانبين ! ولو تعدد الخطيب - ولى عهد بريطانيا - أن يهين
خطيبته ويجعلها تندم سلفا على زيجتها المقبلة أشد الندم ، لما
أعد لها « أسخف » من الاستقبال الذى استقبلت به فى العاصمة
الانجليزية .. فانها حين نزلت على رصيف « جرينوتش » لم
تجد أحدا فى انتظارها ! .. وبعد فترة انتظار طويلة وصلت
- لترافقها الى حيث يوجد زوجها المقبل - المرأة التى كان معروفا
فى كل مكان انها خليلته شبه الرسمية ! .. ثم عندما التقى

الخطيبان آخر الامر - لأول مرة - كان الامير ثملا لا يكاد يعي . . . وكذلك كان أمره ليلة زفافهما !

وليس من المغالاة فى شىء القول ان حياة كارولين الزوجية كانت ، من بدايتها الى نهايتها ، جحيما لا يطاق . . . حتى لقد عاش الزوجان منفصلين منذ الشهر الاول للزواج . . . وكانت رفيقات الزوجة الوحيدات فى وحدتها الموحشة : خليلات زوجها . . . وحين طلبت الملكة أن يسمح لها بالاقامة فى قصر مستقل ، بعيدا عن مبادل زوجها ، رفض طلبها . . . وبعد أن وضعت مولودتها الاولى - بعد عام من الزواج - تدهورت المعاملة التى كانت تلقاها من زوجها الى أحبط درك ، بحيث صارت مجردة حتى من أبسط مبادئ الانسانية : باتت الملكة شبه سجينه فى جناحها ، محرومة من الصديقات أو الخلان تماما . . . ولم يدخر الزوج وسعا كى يجعل الموقف بينهما صريحا محددا ، فأفهمها بتصرفاته انه لم يعد يرغب أى اتصال بها . . . ورغم كفاح الزوجة المرير فى سبيل الخلاص من وصيفاتها - اللواتى كن جميعا خليلات لزوجها ! - فانها لم تفلح فى ابعادهن . . . بل انه لم يسمح لها حتى بحضانة طفلتها ، التى أبعدها الزوج الى قصر بعيد مستقل هو قصر كارلتون !

جنون القسوة والتعذيب . . . !

◆ **وهكذا** لم يبق للاميرة من شباغل طيلة تلك السنوات سوى انشاء دار للاطفال اليتامى ورعايتها . . . واستمرت حياتها على هذا المنوال أعواما ، والانفصال التام مستمر بين الزوجين . . . ومن حين لآخر كان ولى العهد يخص بنصيب من قسوته أباه الملك ، الذى صيرته الشيخوخة أبلها . وتزايدت بلاهته مع الايام حتى استدعى الامر تعيين ولى العهد نائبا له . . . وفى هذه الفترة أمعن الابن فى اضطهاد أبيه وتعذيبه ، وان لم

يعدم الفرصة خلال ذلك كي يضطهد ويعذب زوجته أيضا بكل وسيلة وفي كل مناسبة !

وكبرت طفليهما « شارلوت » حتى بلغت رشدتها فزوجت عام ١٨١٦ ٠٠ وكانت قد عاشت حياتها السابقة كلها بمعزل عن أمها تماما ، فريسة لمشاغبات أبيها ، فلما قطنت بعد الزواج بيتا بعيدا عنه - في « اشير » - كانت سعادتها لا توصف ! ٠٠ لكن هذه السعادة لم تدم غير عام ، ماتت التعسة في نهايته وهي تضع مولودها الاول ! ٠٠

وثارت ثائرة العامة في انجلترا حين سمعوا نبأ موتها ، فقد عزوه الى قسوة أبيها ولى العهد ٠٠ أما أمها فقد ظلت جاهلة بموت وحيدتها ، اذ لم يخطرورها به حتى مجرد اخطار ، متعللين في ذلك بوجودها خارج البلاد !

◆ ذلك ان الاميرة التعسة كانت - منذ غادرت انجلترا في أغسطس سنة ١٨١٤ - تعيش في أوروبا معيشة شبه متصلة . وكانت قصة جولاتها تلك في أنحاء القارة هي التي أدت في النهاية الى محاكمتها ! ٠٠ فان زوجها كان قد أحاطها خلال السنوات السابقة بـ « شبكة » من الجواسيس كي يرصدوا كل حركاتها وسكناتها ٠٠ وقد راجت حولها ، واخترعت ، قصص وشائعات متنوعة رهيبة - منها انها وضعت طفلا ذكرا من أب غير معروف ! - وكان ولى العهد وأصدقائه يتلقون هذه الروايات في لهفة وترحيب ، حتى انتهى بهم الامر الى انتداب « بعثة » تتولى تحقيق سلوك الاميرة ! ٠٠

وقد تضمن تقرير تلك البعثة فقرة تكفى كي تهدم تلك المزاعم من أساسها وتثبت انها مخترعة ٠٠ قالت البعثة :

« يسعدنا أن نقرر انه ليس ثمة أساس يبرر الاعتقاد بأن الطفل المذكور هو ابن سمو الاميرة ، فقد تناقضت في هذا الشأن أقوال الشهود وتضاربت بحيث لم يبق مجال للقول

بأن لقصة أدنى نصيب من الصحة .. »

على أن ولى العهد لم يفقد مع ذلك الامل فى أن يعثر على دليل يستخدمه ضد زوجته ، سيما وان مسلك كارولين فى الخارج لم يكن ينطوى على شىء من الفطنة أو التحوط ! ولعل عذرها فى هذا « التهور » ان رحلتها تلك كانت أول فرصة تسنح لها كي تستمتع بشىء من الحرية ، بعد أن عاشت حياتها حبيسة قصر أبيها ، ثم قصر زوجها !

وهكذا تلقت وزارة الخارجية البريطانية - سنة ١٨١٨ - حزمة كبيرة من تقارير جواسيس وضباط ادارة المخابرات الذين كانوا يراقبون كارولين فى حلها وترحالها ، فتألفت على الفور لجنة من ممثل للحكومة واثنين من المحامين (وقد أطلق عليها لجنة ميلانو) وأرسل أعضاؤها الى ايطاليا - حيث كانت تقيم الاميرة فى تلك الفترة - مزودين بالتعليمات اللازمة لجمع شتى الادلة ضدها ، من مختلف المصادر ، وبأية وسيلة كانت ! ولئن تعذر الجزم بمدى صحة التهم التى أسندت الى الاميرة - والتى سيأتى بيانها - فان الطريقة التى كانت تجمع بها الادلة ضدها ، والدرك الاسفل المعيب الذى هبط اليه جامعو تلك الادلة ، نيابة عن الامير ، كانت من الضعة بحيث تبرر الشك فى صحة أية تهمة من تلك التهم !

ومع ذلك فان اللجنة لم تكذ تقدم - بعد نحو عام من تأليفها - تقريرها المفصل الى ولى العهد ، الذى كان متوليا وقتئذ سلطة نائب الملك ، حتى يادر الى اصدار أمره بالشروع فورا فى اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة لتطبيقه من زوجته ! لكن وزراء التاج - الذين كانوا يعلمون ، كما يعلم الشعب بأسره ، تاريخ الزوج الطويل الحافل بخياناته لزوجته ، وقسوته فى معاملتها ، واهماله اياها ! - عارضوا فى الفكرة .. وتوجهوا الى الامير ناصحين ، مرجحين فشله بسبب هذه

الظروف فى الحصول على حكم بالطلاق .. أيا كانت الأدلة المقدمة ضد زوجته !

الشعب يتحدى رغبة الملك !

◆ فى هذه اللحظة الحاسمة مات الملك جورج الثالث ، فخلفه على العرش ابنه ولى العهد ، باسم « جورج الرابع » .. واذ ذاك لم يضيع الملك الجديد وقتاً فطالب وزراءه رسمياً بالشروع فى اجراءات تطليقه من زوجته ، التى صارت الآن « الملكة كارولين » !

لكن مجرد اتخاذ أولى خطوات ذلك الطلاق كان كافياً لاثارة ثائرة الشعب كله ، الذى أحنقته مبادىء الزوج السابقة وقسوته على زوجته ! وكانت كارولين وقتئذ فى طريقها الى انجلترا ، كى تشارك زوجها العرش ، فاستعدت البلاد بأسرها لاستقبالها أحر استقبال .. امعانا فى تحدى ارادة الملك !

فلما وصلت الملكة الى « دوفر » تولت الجماهير جر عربتها عبر الشوارع المزدحمة بالكتل البشرية .. وعلى طول الطريق المؤدى الى لندن ازدانت المدن والقرى التى مرت بها بالاعلام ، ترحيباً بها .. ثم حيتها الجموع الحاشدة عند وصولها الى العاصمة أجمل تحية وأعطرها ، هاتفة بحياتها هتافاً كالرعد .. فى الوقت الذى ألقى فيه المتظاهرون الأحجار على نوافذ دور خليات الملك ووزراء الدولة جميعاً فحطموها تحطيماً !!

لكن الملك لم يعبأ مع ذلك بهذا الدليل الحاسم على اتجاه رأى العام .. فأعد وزراءه وثيقة تجريد الملكة من حقوقها ولقبها كملكة لانجلترا ، وتضمنت الوثيقة اتهامها رسمياً بارتكاب جريمة « الزنا » مع من يدعى « بارثولومو برجامى » ، وقد وصف بأنه « اجنبى وضيع المكانة » !

وكان معنى اعلان هذا القرار أن تحاكم الملكة من أجل التهمة الموجهة اليها أمام مجلس اللوردات البريطانى ، كما يقضى بذلك الدستور !

الجماهير تصدر حكمها !

◆ وبدأت المحاكمة فى أغسطس سنة ١٨٢٠ ، وكانت أشبه « بالمظاهرة السياسية » منها بالمحاكمة القانونية ! .. فقد احتشد على جانبى الطريق المؤدى الى مجلس اللوردات ألوف من أفراد الشعب الذين خفوا منذ الصباح الباكر كي يحيا ملكتهم فى محنتها ، وأطلت الوف أخرى من كل نافذة وشرفة وسطح بيت مشرف على الطريق ! .. بدا كما لو كان سكان لندن جميعا قد انجازوا الى صف الملكة .. بينما وجد الافراد القلائل الذين عرفوا بانحيازهم الى الملك أنفسهم موضع التحقير العام من الجماهير ! .. حتى دوق ولنجتون - قاهر نابليون فى واترلو ، الذى كان معبود الشعب الانجليزى فى ذلك الحين - لم ينج من سخط المتجمهرين .. فقد استقبلوه عند مروره بصيحات الاستنكار والزراية ، هاتفين : « كفى خداعا .. يجب أن تبقى لنا ملكتنا ! »

وفى داخل مبنى مجلس اللوردات زحرت قاعة الاجتماع بالاعضاء ، الذين انقسموا - مقدما - فى صدد القضية الى حزبين ! .. واتخذ اثنان من أشقاء الملك مكانيهما فى صفوف المؤيدين لآخيهما فى النزاع ..

وحضرت الملكة الجلسة بشخصها ، ومعها عدد من أشهر المحامين ورجال القانون المتصدين للدفاع عنها ، وعلى رأسهم « بروجام » .. يقابلهم عدد مماثل من المحامين البارزين قد جاءوا يدافعون عن وجهة نظر الملك .. وكان المسؤولون قد حرصوا على صياغة قرار الاتهام وتوجيه المحاكمة نحو اثبات تهمة الزنا على الملكة ، لا النظر فى دعوى الطلاق ذاتها ، التى من شأنها أن تفتح الباب على مصراعيه للتحقيق فى صدد سوء معاملة الملك لزوجته طيلة حياتهما الزوجية .. !

وهكذا وجد محامو الملكة أنفسهم منذ البداية مقيدون

قانونا بعدم اثارة موضوع مسلك الزوج الوحشى وقسوته الفاضحة ، وان أدركوا فى الوقت نفسه أن قصة حياة الملكين الخاصة ونزاعهما الطويل معروفة بحذافيرها لاعضاء المجلس جميعا ..

ينامان فى خيمة واحدة !

◆ **وافتح** النائب العام الجلسة فسرده التهم المنسوبة الى الملكة بايجاز : قال انها خلال تجوالها فى أنحاء أوربا اتخذت لها ، كدليل سياحى ، رجلا يدعى «برجامى» .. ولم تمض على استخدامهما اياه ثلاثة أسابيع حتى قيل للخدم ان برجامى سوف ينتقل من جناحهم الى غرفة ملاصقة لمخدع الملكة !

وأضاف النائب العام انه يستطيع الجزم من شهادة الخدم بأن ذلك التاريخ كان بداية ارتكاب برجامى والملكة لجريمة الزنا معا ! .. ثم ألمع الى الخطوة التى نالها برجامى عند الملكة فى الايام التالية ، حتى صار يدعى « صاحب السعادة » .. وصار مخدعه يختار فى كثير من الاحيان بحيث يتصل بمخدع الملكة .. كما رأى مرات عديدة جالسا على حافة الفراش ، فى الوقت الذى كانت فيه جلالته راقدة فيه ! .. بل انهما شوهدا يتبادلان القبل . وفى احدى الرحلات كانت الملكة تنام فى خيمة أقيمت على ظهر سفينة ، فوضع فراش برجامى داخل الخيمة ذاتها !

واستغرق خطاب النائب العام الذى عدد فيه هذه الامثلة وغيرها يومين كاملين . وكانت أمثلته تنطوى على وقائع مادية لو أمكن اثباتها لالصقت بالملكة تهمة الزنا دون أدنى ريب !

الملكة تفرع من شهادة خادمها !

◆ **ثم فرغ** ممثل الاتهام من مرافعته ، وجاء دور سماع شهود الاثبات : فنودى أولهم ، وكان يدعى « تيودور ماجوكشى » .. وهنا حدث ما أثار انفعال جميع الحاضرين بلا استثناء ، فان

الملكة لم تكذ تسمع اسم خادمها الايطالى وتراه يصعد الى منصة الشهود حتى هبت واقفة على قدميها وصاحت معترضة فى فزع : « تراديتورى ! » .. ثم هرعت من مكانها الى أقصى القاعة فى خطوات تنم عن الانفعال الشديد .. فقامت ضجة كبيرة وساد الهرج والمرج قاعة المجلس . وبدأ ان الاعضاء قد اعتبروا هذا « الانفجار » المفاجيء بمثابة اعتراف من الملكة باثمها !

ثم سمعت شهادة « ماجوكشى » ، فجاءت معززة للاتهام بصورة فاضحة .. حتى لقد أثبت الشاهد ان الملكة أخذت حمامها فى احدى المناسبات وقد أغلقت باب الحمام عليها ، وبرجامى معها !

وتكهرب الجو فى قاعة المجلس .. فقد كانت شهادة هذا الخادم دليلا بالغ الاهمية والخطورة فى القضية ، بحيث أيقن الجميع انه ما لم يفلح بروجام - كبير محامى الملكة - فى دحض هذه الشهادة وتفنيدها من أساسها ، فان المتهمة سوف تدان لا محالة !

وبدأت مشاعر اللوردات تلوح على وجوههم ، منذرة بالخطر .. وقوبلت أسئلة بروجام الاولى فى استجواب الشاهد بعلامات الامتعاض والانكار من الاعضاء .. ولكن لم تمض لحظات معدودة حتى تغير الجو كله مرة اخرى ، فان الشاهد الذى سرد شهادته بأكملها فى طلاقة لم يتخللها أى تردد أو



الملكة وعشيقتها .. فى الحمام !

تلعثم ، بدأ يجيب على كل سؤال من أسئلة الدفاع يتضمن أدنى قسط من الاحراج ، بجواب واحد لا يتغير :
 - « (نون مي ريكوردو) (أى : لست أذكر !)
 وفيما يلي نماذج من الحوار الذى دار بين المحكمة والشاهد :

- هل ذهبت وقابلت الكولونيل براون ؟ (وكان الكولونيل براون هذا شخصا وثيق الصلة « ببعثة ميلانو » التى أرسلها الملك الى ايطاليا لاصطياد أدلة ضد الملكة !)
 - لست أذكر

- هل شكوت الى الكولونيل براون من أنك سوف تخسر ماليا اذا حضرت لتأدية الشهادة ؟

- لست أذكر
 - هل بقيت لك بمقتضى عقد استخدامك مبالغ كبيرة تخشى ضياعها ؟

- لست أذكر
 - هل دفع لك السفير البريطانى شيئا من المال كي تذهب لمقابلة الكولونيل براون ؟

- لست أذكر
 وسرعان ما رجح الجميع من تكرار هذا « التهرب » الواضح ان شهادة الشاهد انما كانت « اسطوانة » محفوظة ، وانه لما جاء دور امتحان صدق معلوماته انهارت شهادته أمام الاسئلة المفاجئة ! . . . وهكذا لم تلبث عبارات الشاهد المتكررة أن صارت تقابل من المجلس بضحكات السخرية والاستهزاء . . . وأيقن الجميع أن الشاهد قد « اشترى » بمبلغ ضخم كى يحضر من ايطاليا ليؤدى شهادته هذه ضد الملكة ! . . . ولم يعد كل ذى رأى حر من أعضاء المجلس يتردد فى المجاهرة بأن شهادة هذا الخادم باتت لا تساوى المداد الذى تسجل به !

تخطيط الشهود وتناقضهم

◆ ثم نودى شاهد آخر - وكان ضابطا ايطاليا من ضباط سفينة سافرت عليها الملكة في احدى رحلاتها - فأيد أجزاء من الاتهام الموجه الى الملكة و «عشيقتها» برجامى . . لكنه اضطر للاعتراف - ردا على سؤال من الدفاع - بأنه يتقاضى كل شهر مبلغ ثمانمائة ليرة علاوة على مصاريف اقامته فى انجلترا ، كمكافأة له مقابل تأديته هذه الشهادة !

وجاء ضابط آخر من ضباط السفينة نفسها فعزز الاتهام بشهادة مماثلة لشهادة زميله . . لكنه اعترف أيضا بأن السفير البريطانى فى نابولى سيدفع له ألفى ليرة مقابل قدومه من بلاده للادلاء بشهادته فى القضية !

وطرأت مناسبة استلزمت استدعاء الشاهد « ماجوكشى » من جديد لسؤاله عن بعض التفاصيل ، فأضحك المجلس بتساؤله فى فزع عما اذا كانوا ينوون قطع رأسه اذا نطق بأى قول كاذب ؟!

واذ خابت - الى حد ما - آمال الاتهام التى علقها على شهوده الايطاليين ، طلب ممثله سماع شهادة « الكابتن بريجز » الضابط بالاسطول البريطانى ، الذى قرر بأن الملكة كارولين وبرجامى وأشخاصا آخرين قد سافروا على ظهر سفينته فى احدى تنقلاتهم .

واستجوب بعض اللوردات الشاهد ، فسأله أحدهم :
- هل رأيت يوما أى مسلك غير لائق يصدر من جانب الملكة كارولين ؟
- مطلقا .

- هل حدث منها أو من سواها أى تصرف يبرر ارتياك فى سلوكها ؟
- لم أر شيئا يبرر هذا الظن .

شهادة الخادمة السويسرية !

ولم يكن فى الشهادة السابقة ما يشجع سلطات الاتهام ، ولعلها لهذا السبب أخرت سماع أخطر شاهدة فى جعبتها الى قرب النهاية ! . . كانت الشاهدة خادمة سويسرية تعمل فى حاشية الملكة كارولين تدعى ((ديمونت)) ، وكانت فيما يبدو أكثر ذكاء وأعلى ثقافة ومستوى من الخدم الذين سبقوها . . وقد شهدت بما يلقي ظلالة قوية من الريبة على سلوك الملكة . . وتحدثت عن المرات المتكررة التى رأت فيها برجامى فى مخدع الملكة ! . . وكانت الشاهدة فى لهجتها أكثر تحفظا ، ومن ثم أقوى تأثيرا ، من سابقتها !

ولكن حين جاء أوان استجواب الدفاع لها ، وقع لها ما وقع للخدم الذين أدوا الشهادة قبلها ، فقد اضطرت للاعتراف بأن الملكة قد فصلتها من خدمتها بسبب اعتيادها الكذب ! . . كما أقرت بأنها كتبت الى أختها عدة خطابات أطنبت فيها فى امتداح مولاتها بمثل هذه العبارات : «أواه يا الهى ، انى مستعدة لان أبذل نصف عمرى فيما لو أتيح لها - أى للملكة - أن تقرأ قلبى . . انها لو فعلت لتبينت الاحترام اللانهائى والحب الذى لا حد له والامتنان الكامل الذى سوف أكنه لها على الدوام ! » . . بل اعترفت الشاهدة ، فوق هذا ، بأنها كتبت الى أختها تقول : « لقد علمت أن شخصا مجهولا أراد أن يسلمنى خطابا يتضمن عرضا مؤداه ان أشد رحالى الى لندن للشهادة ضد مولاتى ، مقابل كفالة الحماية التامة لى هناك ومكافأتى بمبلغ طائل فى القريب العاجل . وهكذا ترين يا عزيزتى بأى استعدادات يتصرف أعداؤها - أى أعداء الملكة - فى كل ما يفعلون . »

وبدورها غادرت هذه الشاهدة المنصة تتعثر فى مشيتها خجلا بعد افتضاح أمرها !
على أن أغرب شهود الاثبات على الاطلاق كان رجلا يدعى

« جيزيبى راستيللى » ، وصف نفسه بأنه كان يعمل مشرفا على « اسطبل » الملكة . . . ولم تكن شهادته فى ذاتها بالمنطوية على شىء هام ، لولا انه حين استجوب من جانب الدفاع اعترف مرغما بأنه كان يعمل جاسوسا لحساب « بعثة ميلانو » ، وانه تجول فى أنحاء أوروبا كلها ليجمع الشهود ضد الملكة ! وبانتهاء « راستيللى » من شهادته هذه أسدل الستار على شهود الاثبات !

شهود النفى

◆ وبعد أن نهض ممثل الدفاع فأشار الى القسوة المروعة التى عوملت بها الملكة من زوجها طيلة حياتها الزوجية ، جاء دور سماع شهود النفى . . . فكانوا على النقيض من شهود الاثبات فى كل شىء : فى تنزههم عن شوائب الغرض والمصلحة ، وفى سمو مكانتهم الاجتماعية ، وفى طابع الصدق الذى لازم أقوالهم ! وقد تتابع الواحد منهم وراء الآخر ، مقررین بلا استثناء انهم قابلوا الملكة أثناء تجوالها فى ممالك أوروبا ، فلم يروا فى مسلكها نحو المدعو برجامى أدنى مظهر يتعارض مع مقتضيات اللياقة والعفة . . . بل وناقض بعضهم الكثير من التفاصيل المعززة للاتهام التى أدلى بها شهود الاثبات !

.. وفجأة وقع ما أثار فى جو الجلسة عاصفة من أقوى العواصف التى تخللت المحاكمة : كان المجلس يستمع الى شهادة «مقاول» أجرى بعض الاصلاحات فى فيللا «دنست» التى كانت تقطنها الملكة فى ايطاليا . . . حين أضاف الشاهد قوله ، علاوة على ما سبق ، ان راستيللى صرح له أثناء عمله فى الفيللا بأنه كان يقوم بجولة يبغي منها جمع عدد من الشهود . . . وانه سوف يحاول اقناع « بعثة ميلانو » بدفع فاتورة حساب تلك الاصلاحات !

الشاهد الذى أبعد من البلاد !

ولم يكد بروجام - كبير محامى الملكة - يسمع هذا الجزء من الشهادة حتى انتفض واقفا وصاح يطلب استدعاء «راستيللى» من جديد لمناقشته فى هذه الواقعة الجديدة ! .. لكن النائب العام تصدى له محاولا التهرب من اجابته الى طلبه، فبدأ أعضاء المجلس يرتابون فى الامر ويعتورهم القلق ! .. وأحس رئيس الجلسة بتكهرب الجو المنذر بالخطر فطالب النائب العام بأن يقرر صراحة ما اذا كان راستيللى لا يزال فى انجلترا بحيث يتيسر استدعاؤه أم لا ؟ .. وهنا اضطر النائب العام للاعتراف بأن راستيللى قد أبعد عن انجلترا على أثر ادلائه بشهادته وانه الآن فى ميلانو .. !

وأمام هذا الاعتراف الخطير بتدخل الدولة لابعاد الشاهد عن مسرح المحاكمة ، هب « بروجام » غاضبا يصيح بالحكمة : « أريد أن أعرف أيها السادة ، وقد ألقى الضوء الآن على هذه الواقعة المشينة ، ما اذا كنتم ترون هناك داعيا لاستمرارى فى تقديم المزيد من الادلة التى تنفى الاتهام الموجه الى الملكة ؟ .. ان تصرف التاج فى صدد ابعاد راستيللى عن البلاد كاف وحده لهدم المحاكمة من أساسها ! »

واذ ذاك ساد الهرج أرجاء المجلس ، وأخذ الرأى على الاستمرار فى المحاكمة أو العدول عنها ، فتغلب - تحت ضغط شديد من الحكومة - رأى القائلين بالاستمرار .. واذا ذاك قدم الدفاع شاهدا جديدا يدمغ راستيللى بأنه قد دفع الى بعض شهود الاثبات ، ووعد بأن يدفع الى بعضهم الآخر ، مبالغ طائلة من المال على سبيل الرشوة !

الى هنا قد يبدو سير القضية فى صالح الملكة كارولين على طول الخط .. ولكن طرأ بعد ذلك ما شجع آمال حزب الملك ورجح كفته : فقد نودى شاهدان للنفى من ضباط السفينة التى

أقلت الملكة وحاشيتها خلال إحدى رحلاتها ، فشهد أولهما -
ويدعى الملازم فلين - شهادة قوية في صالح المتهم . . . كما قرر
الآخر - واسمه الملازم هومان - بأنه لم يلحظ يوما في علاقة
الملكة ببرجامي ما يشينها ، بل انه سمع مرة ان زائرا من زوار
الملكة ذوى المكانة قد حاول أن يرشو الخدم كي يشهدوا ضد
مولاتهم ، فما كان منه - أى الشاهد - الا أن تحدى ذلك الزائر
كى يبارزه ، لولا أن حالت الملكة دون وقوع المبارزة !

الى هنا كانت شهادة الملازم هومان القوية فى صف الملكة
. . . لكنه لم يلبث أن قرر ، ردا على سؤال من أحد مستجوبيه ،
انه سمع أثناء الرحلة ان ببرجامي قد اعتاد أن ينام تحت نفس
الخيمة التى أقيمت للملكة على ظهر السفينة . . ثم أضاف الشاهد
انه مقتنع بصحة هذه الرواية !

وواضح ان هذا القول كان مفاجأة تامة لاعوان الملكة ،
فتلقفه النائب العام من فوره باعتباره الدليل الختامى الحاسم
فى القضية ! . .

وقد كان كذلك فى الواقع ، سواء صح ما جاء فيه أم لم
يصح ! . . فعلى أثر انتهاء المجلس من سماع الشهود ألقى محامو
كلا الطرفين مرافعاتهم الحماسية المستفيضة . . وأخيرا انقسم
المجلس عند أخذ الرأى فى الدعوى - لثانى مرة - انقساما أظهر
الطابع السياسى الذى أسبغ على القضية . . لكن كفة الحكومة
تغلبت ، فنالت أغلبية مقدارها ١٢٣ صوتا ضد ٩٥ . . !

لندن لا تنام . . فى انتظار صدور الحكم !

♦ **وكان موعد أخذ الرأى - لثالث وآخر مرة - بعد أربعة**
أيام ، اجتاحت لندن خلالها موجة من الانفعال العاطفى العنيف
. . وحين عقدت الجلسة المحددة لاصدار القرار النهائى كان
الاقبال على حضورها يفوق الوصف ، والزحام فيها يكاد يزهدق

الانفاس ٠٠٠ بل لقد بلغ من ضجيج المتفرجين ان الاقوال التى تبودلت فى المجلس - عند القراءة الثالثة لقرار الادانة - ضاع صداها فى ضجة صيحات النظارة ٠٠ !

وأسفر أخذ الرأى عن تفوق حزب الحكومة بأغلبية ١٠٨ الى ٩٩ ، وهى أغلبية ضئيلة لم تكن تسمح بإصدار القرار ٠٠ فوقف اللورد ليفربول قائلاً : انه نظرا الى ضالة الاغلبية التى حصلت عليها الحكومة (التى فى صف الاتهام) ، ونظرا لشعور الرأى العام العدائى الواضح نحو الاتهام ٠٠ فانه يتعين سحب قرار الادانة !

وقد هلت انجلترا بأسرها لهذه النتيجة ورقصت طربا ٠٠ وباتت كل مدنها الكبرى ليلتئذ شعلة من نور ٠٠ !

وأيا كانت الحقيقة فى صدد التهمة التى نسبت الى الملكة كارولين ٠٠ فان محاكمتها قد أثبتت بالدليل القاطع ان ماقاسته التعسة خلال حياتها الزوجية من معاملة مشينة وقسوة رهيبة من جانب زوجها الملك جورج الرابع ، كان من الفظاعة بحيث لم يكن الشعب الانجليزى مستعدا - مهما كانت الظروف - لان يسمح لها بأن تقاسى مزيدا من المذلة ٠٠ !

لكن قدرها المشئوم كان يتربص لها ويطاردها ٠٠ فماتت بعد عام واحد من ذلك التاريخ !

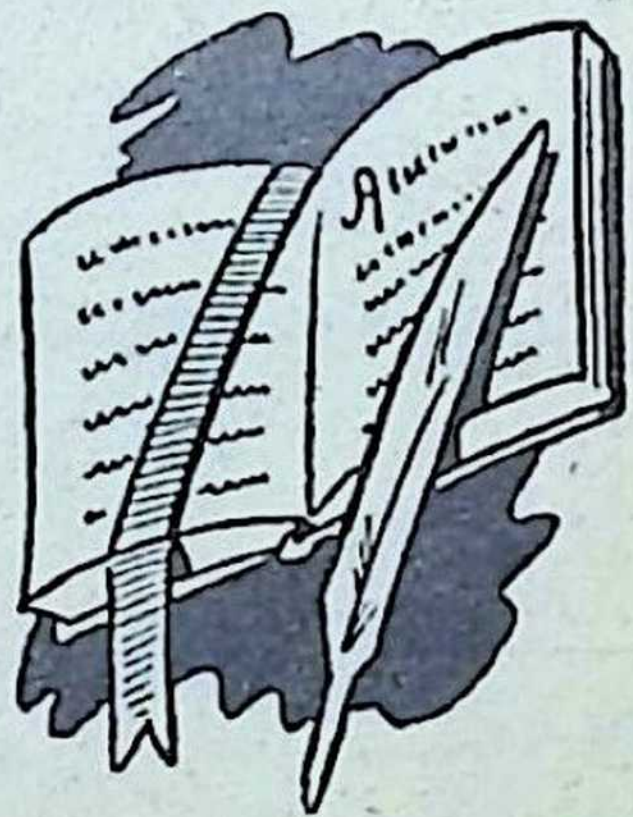


عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة على
التوالى ، من قصص هذا الباب :
«أهوك» او (غرام تحت سماء الشرق)
لستيفان زفايج .. و «شجرة التفاح»
او (قلب عذراء) لجون جالزورثى ..
ثم «مرتفعات وذرنيج» لاميلى برونتى ..
و «التلميذ» او (عندما يفضل الشباب)
لبول بورجيه .. يليها «أحدب نوتردام»
لفيكتور هوجو .. و «جريمة حب»
لبول بورجيه .. وأخيرا «جين اير»
لشارلوت برونتى ..

واليوم أقدم لك فى الصفحات
التالية : « أيام بومبى الاخيرة » للورد
ليتون .. يليها فى الاعداد التالية
من «كتابى» باذن الله : مانون ليسكو
(بريفو) ايفانهو (والتر سكوت) صورة
دوريان جراى (اوسكار وايلد) اوليفر
تويست (تشارلس ديكنز) سافو (الفونس
دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة
الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى (فلوبير)
نانا (اميل زولا) تاييس (اناطول
فرانس) الجريمة والعقاب (دستوفسكى)
الحرب والسلام (تولستوى) .. الخ

الحياة قصّة



روائع القصص العالمى



لورد لیٹون
ایام "پومپی" الاخیره

المؤلف

(١٨٠٣ - ١٨٧٣)

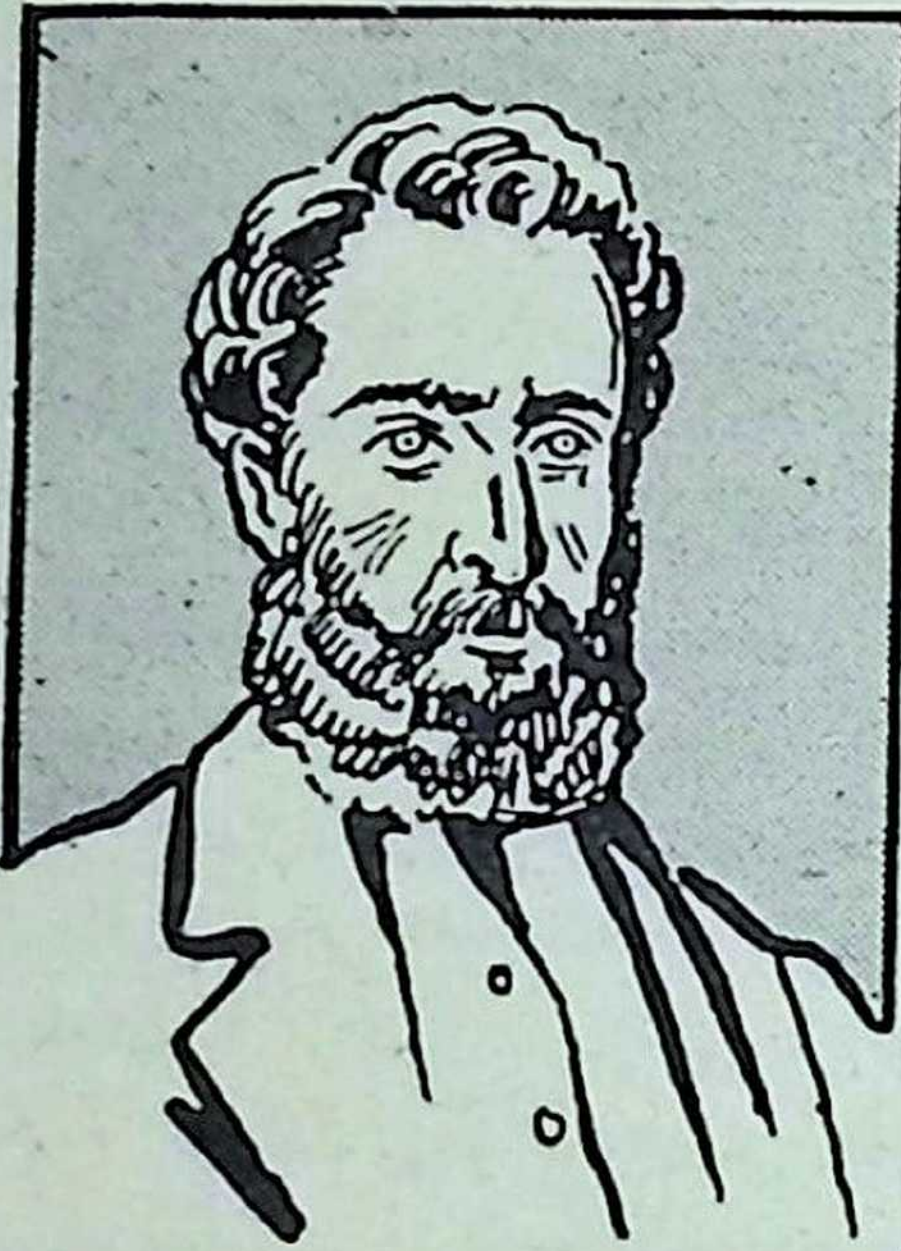
◆ برغم شهرة هذه القصة ، فان مؤلفها يكاد يكون مجهولا من غالبية القراء ، ولاسيما في الشرق . . ولعل مرد ذلك الى انها قصته الوحيدة الناجحة ، ومن ثم اشتهرت القصة وباتت تعرف باسمها ، وليس باسم مؤلفها . . مثلها في ذلك مثل قصة «كوفاديس» العالمية ، التي يجهل ٩٩ في المائة من قراء القصص - بل من قرائها هي ذاتها ! - اسم مؤلفها . . والا فهل سمعت من قبل باسم «هنريك سايينكي فيشر» ؟

وقد ولد مؤلف قصتنا هذه «ادوارد بولوير ليتون» في ٢٥ مايو سنة ١٨٠٣ في مدينة لندن ، وتلقى دراساته في مدارس خاصة ثم في جامعة كمبردج . وقد وهبته الطبيعة عبقرية لامعة خصبة اعانتته على الوصول الى مقاعد البرلمان حيث مثل اقليمى «سانت آيفيس» و «لنكولن» منذ سنة ١٨٣١ الى ١٨٤١ ، منضويا تحت لواء حزب الاحرار . . ثم مثل اقليم «هرفورد شاير» على مبادئ حزب المحافظين منذ عام ١٨٥٢ الى ١٨٦٦ . وفي هذه الاثناء عين وزيرا للمستعمرات (١٨٥٨ - ١٨٥٩) . وقد منح لقب سير سنة ١٨٣٨ ، ولقب لورد سنة ١٨٦٦ . . ومات في مدينة «توركاي» يوم ١٨ يناير سنة ١٨٧٣ ثم دفن في مقبرة «وستمنستر ابي»

وقد كتب لورد ليتون قصته هذه في مدينة نابولي خلال شتاء ١٨٣٢ - ١٨٣٣ ، ونشرت في العام التالي ، فلقبت نجاحا هائلا . وما تزال تعتبر الى اليوم من اروع القصص التاريخية الطويلة . . هذا وتدور حوادثها حوالى عام ٧٩ قبل الميلاد ، اثناء حكم الامبراطور «تيتوس» القصير الامل ، حين كانت روما في قمة مجدها وازدهارها . وكانت «بومبي» بمثابة روما اخرى مشرفة على البحر !

١ - غرام الاثيني

◆ بين اسوار مدينة بومبي كانت تجتمع نماذج من كل ابهة يخلعها الترف على ذوى السلطان . . ففي حوانيتها الصغيرة المتألقة ، وقصورها الرشيقية الانيقة ، وحماماتها ، وملاعبها ، ومسارحها ، وساحة «سيركها» . . وفي نشاط - فساد - اهلها . . وفي دماثتهم ، وتهذيبهم - ورذائلهم في الوقت



♦ ورغم ان لورد ليتون قد كتب هذه القصة قبل نحو ثلاثين عاما من بدء حفريات التنقيب عن آثار وحضارة المدينة العظيمة التي أزالها الزلازل والبراكين المروعة من عالم الوجود .. الا انه صور فيها مع ذلك ، بدقته الادبية المعهودة ، صور الحياة المترفة والبذخ واللهو اللذين كانا طابع مدينة بومبي المذكورة ، التي جمعت بين مظاهر الحضارتين اليونانية والرومانية .. كما صور فيها عبادة القوم للآلهة ((ايزيس)) ، وتجارتهم مع الاسكندرية - عاصمة الشرق الزاهرة في ذلك العصر - ثم كفاح المسيحية في ايامها الاولى ضد

الخرافات الوثنية .. وقد التزم المؤلف في تصوير ذلك كله منتهى الدقة والمراعاة للحقائق التاريخية ، دون أن يفقد القصة الطابع الروائي الخلاب ..

وقد رأيت أن أقدم لك اليوم هذه القصة الشائقة ، كي ترى فيها لونا من ألوان القصص التاريخي الذي يجمع بين المتعة والفائدة ، ويصور لك الحياة منذ آلاف السنين .. وسترى فيها معرضا عجيبا للعواطف والفرائز ، يصطرع فيه الحب والبغض ، والفيرة والانتقام ، والرجل والمرأة .. كما هو الحال في كل زمان ومكان .. أمس ، واليوم ، وغدا .. حتى انقضاء الدهر !

نفسه ! - كنت ترى نموذجا مصفرا للامبراطورية الرومانية بأسرها ! كانت بومبي أشبه بدمية ، لعبة ، « صندوق دنيا » ، حلا للآلهة أن تمثل فيه صورا مما يجري في أعظم امبراطورية على الارض .. وكان خليجها معرضا زاهرا يزدهم بسفن التجارة الضخمة وسفن اللهو الانيقة .. وزوارق الصيادين تنزلق على صفحة مياهه ذاهبة آية .. ومن بعيد كنت ترى

الصواري الشامخة لقطع الاسطول الخاضع لامرة القائد «بلينى» ..
ثم تبدأ القصة ذات يوم .. وقد عاد يونانى يدعى «جلوكاس» الى بومبي
- بعد ان قام برحلة الى نابولى - فالتقى فى أحد الشوارع المزدحمة بزميل له
يدعى «كلودياس» ، واذا ذاك أخذه من ذراعه متجها نحو بقعة منعزلة على
الشاطئ .. وهناك جلس الاثنان فوق صخرة صغيرة تنهض وسط الرمال
التي انتشرت عليها الحصباء الناعمة ، ينهلان النسيم البارد المنعش الذى راح
يرقص فوق الامواج ، كأنما على انغام لحن خفى !

واغراهما جمال المنظر بالصمت ، والاسستغراق كل فى أحلامه : أما
كلوديوس ، الذى كانت متعته الكبرى ان يجلس الى موائد القمار ، فقد حجب
الشمس عن عينيه بكفه وسرح بخياله يحصى أرباحه فى الاسبوع المنصرم ! ..
وأما زميله اليونانى فقد اتكا الى الامام على يديه ولم يجفل من الشمس ، آلهة
وطنه الحارسة ، التي تسرى فى عروقه أشعتها المشرقة بالشهر والبهجة
والحب .. بل لعله وهو يحدق فى الفضاء العريض المنسرح أمامه كان يحسد
كل نسمة هواء نشرت أجنحتها وانطلقت نحو شواطئ اليونان ، وطنه الحبيب !
♦ ورغم ان جلوكاس قد انغمس فى ملذات عصره ، فان انغماسه كان
بالقدر المعقول الذى يمليه عليه شبابه وصحته . ولم يكن الشاب يوما من
ذوى القلوب الملوثة . بل كان برغم ثرائه يحتقر المال ، الالباعث به وسيلة
للاستمتاع ، ويرى العالم سجنًا واحدًا كبيرًا ، وامبراطور روما سجنانه !
والفضائل التي جعلت منه فى ظل حضارة وطنه أثينا ، وحرية ، رجلا
طموحا .. صيرته فى ظل الاستعباد الرومانى خاملا عقيما !

وقطع الاثنى فترة الصمت والتأملات بقوله : « قل لى يا كلوديوس : هل
عرفت الحب ؟ »

- نعم ، كثيرا ..

- ان الذى احب كثيرا ، لم يحب على الاطلاق !

- او غارق انت اذن فى حب جدى ؟ هل تحس بتلك المشاعر التى يصفها

الشعراء ويتغنون بها .. المشاعر التى تنسى الانسان طعامه وتفريه بقراءة
القصص وارتداد المسارح وقرض الشعر ؟

فاجاب جلوكاس وهو يبتسم :

- انى لم اصل الى هذا المدى بعد .. والواقع انى لست بعاشق ،
لكنى قد اصبحت كذلك اذا اتيت الى الفرصة لرؤية طيفى الجميل ..
مرة اخرى !

- دعنى احدث اذن اسم فتاتك : اليسى هى ابنة ديوميد ؟ انها
تعبدك ، ولا تخفى ذلك ! وهى جميلة وغنية ، وسوف تفرق زوجها بخيراتها !
- كلا ، لست ابغى ان اكون سلعة تباع ! .. اعلم ان ابنة ديوميد
حسنة ، ولولم تكن حفيدة عبد اطلق من عقاله ، لربما فكرت .. ولكن كلا ،
انها تحمل جمالها كله فى وجهها . لكن حركاتها ليست حركات عذارى ،
وعقلها لم يزود بثقافة ما .. اللهم غير ثقافة المتعة !
- انك ناكز للجميل .. ولكن قل لى : من تكون هذه العذراء
السعيدة اذن ؟

- اليك قصتى يا عزيزى كلوديوس :

٢ - لقاء .. فى حضرة الله !

◆ منذ بضعة اشهر كنت اقيم فى نابولى ، التى لها مكانة خاصة فى قلبى ..
وذات يوم ، دخلت معبد «مينرفا» كى اصى ، لا من اجل نفسى فقط بل من
اجل بلدى ايضا .. وكان المعبد خاليا مهجورا ، فتزاحمت ذكريات اثينا على
مخيلتى متتابعة متلاحقة .. واذا خيل الى فى غمرة استغراقى اننى بمفردى ،
اندفعت صلواتى من قلبى الى شفتى .. وبكى وانا اصى ! .. وفجأة افقت
من استغراقى على صوت تنهدة عميقة بالقرب منى ، فاستدرت ماخوذا نحو
مصدرها .. واذا خلفى امرأة ، تصلى بدورها .. وقد رفعت نقابها عن
وجهها ! .. فلما التقت اعيننا حسبت شعاعا سماويا قد انطلق بغتة من تينك
العينين الفاحمتين الباسمتين .. وانصب فى روحى انصبابا !

« وصدقنى يا عزيزى كلوديوس اننى لم ار فى حياتى وجها قد صيغ
فى اجمل من ذلك القالب ! .. كانت مسحة من الكآبة تزيد تعبير ذلك الوجه
نعومة و .. سموا ! والدموع تتقاطر من عينيها ! .. ومن اول وهلة ادركت
انها اثينية من مواطناتى ، فتحدثت اليها - وان يكن بصوت مختلج - قلت
لها : «الست ياسيدتى اثينية ؟» .. فتورد لدى سماع صوتى وجهها ،

وأجابت : « لقد ولدت في نابولي ، لكن قلبي ، وعظام أجدادي ، هناك في اثينا ! *

« فقلت لها : «دعينا اذن نقدم صلواتنا معا » .. وكان الكاهن قد ظهر فوقفنا جنبا الى جنب ، نتابع طقوس العبادة التقليدية : فلمسنا ركبتى الالهة معا ، ووضعنا طاقة ازهار الزيتون على المذبح معا .. ثم غادرنا المعبد في صمت . وفيما انا اهم بان اسألها أين تقطن ظهر شاب يشبهها في ملامحه فاخذ يدها في يده .. واستدارت فحيتني مودعة ، ثم فرقت بيننا جموع السابلة !..

« وكان ذلك آخر عهدي بها ، فلم أراها مرة أخرى !

◆ ثم غادرت نابولي الى اثينا لفترة قصيرة ، وحين عدت واصلت بحثي عن مواطني المفقودة ، لكني لم اهتم الى أي «مفتاح» يوصلني اليها .. وهكذا جئت الى «بومبي» آملا ان اغرق في ملاحيتها الصاخبة المرحية كل ذكرى لذلك الطيف الجميل !

« هذه قصتي بعذافيرها .. فانا لست عاشقا ، وانما كل ما بي : ذكرى .. وحسرة ! »

وفرغ جلوكاس من حديثه ، وافترق الصديقان .. ولكن في تلك الليلة بعينها ، في منزل من منازل بومبي ، التقى الاثنى الحائر بامرأة احلامه «ايوني» وجها لوجه ! .. وكانت قد جاءت من نابولي خلال فترة غيبته عنها . وفي هذه المرة لم يعد يستطيع ان يقول : «اني لست بعاشق ! »

٣ - الساحر المصري !

وكان بين قاطني «بومبي» الاثرياء رجل يعيش في عزلة تامة عن الناس ، جعلته موضع شكوكهم ومخاوفهم ! وكان ثراء هذا الرجل - الذي عرف باسم «ارباس المصري» - يتيح له ان يشبع الى حد التخمّة عواطفه الغالبة المسيطرة عليه : ميوله الحسية العارمة ، ونزعتة الاخرى التي كان يجد فيها متنفسا من تخمته الجسمانية ، وهي ممارسة «السحر» والتعمق في دراسته ، مدفوعا بايمانه بان هذا الفن الغامض هو من تراث حضارة اجداده الفراعنة ! وكان ارباس قد تعرف في نابولي الى والدي «ايوني» واخيها «اباسيدس» ،

فجاءوا الى بومبى ليكونوا فى رعايته .. ثم مات الابوان فمنحته الفتاة
واخوها نفس الثقة التى كان يحظى بها من والديهما .

لكن ارباس كان يطوى قلبه على الاحتقار البالغ للفتى «اباسيدس» ، الذى
لم يكن فى نظره غير أداة يستطيع استغلالها لاغراء «ايونى» بالاستسلام
لرغباته .. سيما وانه قد أعجب منها بعقلها مثل إعجابه بحسنها ، فخلق به
خياله الى قهم شاهقة من المطامع والاحلام .. رآها من سمائه قابضة الى جواره ،
خاضعة لنزواته - برضاها - خضوع الجارية التى تعشق مولاه !

◆ وقد رسم الماكر لتحقيق حلمه خطة محكمة : سعى فى البداية الى
التأثير على عقل الفتاة الساذج بفيض معلوماته الخارقة فى فنونه السحرية ..
وقد نجح بالفعل فى أن يظفر منها باعجابها بعلمه الغزير ، وشكرانها له على
جميل رعايته لاسرتها ولها ..

وكانت الخطوة التالية أن يستغل الساحر ميل شقيق الفتاة الوديع
المسالمة الى الدين والتعبد ، فيضمه الى كهنة «ايزيس» ، ويعهد بتدريبه
الى كاهن زائف من اتباعه .. وبذلك افلح فى أن يزيحه عن طريق مطامعه ،
ويلهيه بحرفته الجديدة عن الالتفات الى مصير شقيقته !

اما الخطوة الثالثة فكانت أن يترك الفتاة فترة من الزمن محاطة بشباب
بومبى الفارغين التافهين ، كي تدرك الفارق بينهم وبينه ، فتزداد إعجابا
وتعلقا به !

وكان من مقتضى هذه الخطة أن يضمن على فانتته بزياراته ، ولا يدع بصرها
يقع عليه كثيرا .. وهكذا لم يتنبه صاحبنا الى الصداقة الحارة التى نمت فى
غفلة منه بين «ايونى» وذلك الاثنى الوسيم «جاوكاس» ، منذ التقيا - للمرة
الثانية - فى منزل من منازل بومبى ! .. ولا عرف بنبا نزهاتهما الليلية
فى البحر الساكن ، وخلواتهما المتكررة فى مسكن الفتاة .. تلك النزهات
والخلوات التى باتت عنصرا مألوفا من عناصر حياتهما اليومية !

.. حتى كان يوم فاجأهما فيه الساحر معا ! .. فانفتحت عيناه فجأة
على الواقع المرير .. ولم يكد الاثنى ينصرف فى تلك الليلة حتى شرع
ارباس فى تسميم ذهن ايونى ضده بالمغالاة فى وصف انغماسه فى اللهو
والملذات ، والتلميح من طرف خفى الى أنه انما يعيث بعواطف الفتاة الغريرة !

ثم انتقل أرباس فورا من هذا الضرب على وتر « كبرياء » فانتته ، الى تذكيرها - كانما دون قصد - بانها لم تر قصره من الداخل قط ، في حين انه قد يعجبها .. ثم دعاها الى ان تكرس لصديقها الجاد الصارم - يعنى نفسه - احدى هذه الامسيات الصيفية الحاملة ، هامسا لها بمثل هذه الكلمات المعسولة : « دعيني افخر بان قصرى الكئيب الموحش قد تشرف بوجود ايونى الفاتنة بين جدرانها ! »

ورحبت الغريرة بالفكرة ، جاهلة بالخطر الذى يتهددها ، والدنس الذى يكتنف القصر ! .. لكن الاقدار هيات لها مخلوقة كانت تعرف - بالمصادفة - تأثير السحر الذى يسيطر به أرباس على زائريه .. فظهرت على مسرح الأحداث ، على حين غرة .. تلك هى الفتاة العمياء « نيدا » !

كانت نيدا يونانية من (تساليا) خطفت وبيعت كجارية للمصنارع المتقاعد « باربو » ، الذى سامها العذاب الوانا .. حتى انقذها من عبوديته الشاب الاثنى جلوكاس ، وجعلها تتعهد حديقته وازهاره بعنايتها .. فعرفت له العمياء صنيعه وجازته عليه اخلاصا ، ووفاء ، وحبا .. الى حد ان قلب المسكينة تمزق حين استشفت من تصرفات منقذها انه لم يحررها من آسرها الابداع الشفقة المحضة وطيبة القلب ، وانه يعتزم ارسالها الى محبوبته «ايونى» كي تتوفر على خدمتها !

لكن التعسة قمعت فى قلبها مع ذلك كل احساس بالغيرة حين سمعت بزيارة ايونى للساحر ، واخطرت من فورها عاشق الفتاة وشقيقها بالخطر الذى يتهدد محبوبتهما الحسناء !

٤ - فى وكر الذئب !

◆ عندما وصلت ايونى الى قصر الساحر ، حياها هذا بمظاهر الاحترام الكامل . لكنه لم يلبث حتى تبين ان مقاومته لاغراء وجود فانتته تحت سقفه ، وفى متناوله ، لهى مهمة اصعب واعقد بكثير مما كان يحسب ! .. وهكذا ، فى لحظة ضعف واشتهاء ، باح الرجل لضعفته بهواه المبرح ! .. واردف مكاشفته بقوله ، وهو راكع على ركبتيه امامها : « لن يكون لى مطعم غير ان احظى بشرف اطاعتك يا ايونى .. فلأترضى حبي ! »

ورغم أنها كانت وحيدة مستضعفة ، فى قبضة ذلك الذئب القوي الماكر ، فانها لم تكن قد أحست بعد بأى انزعاج .. فقد طمأنتها لهجته الوقورة ، وعباراته المهذبة ، ونعومة صوته ! وأحست من نقائها الذاتى وطهر مقاصدها بشئ من الحماية .. لكن عنصر المفاجأة الذى اقترنت به مفاتحة الساحر لها بحبه قد أدهشها ، وأثار اضطرابها ، وبلبل أفكارها .. فانقضت دقائق قبل أن تسترد القدرة على الكلام ، لتقول : « انهض يا أرباس .. انهض ! وإذا كنت جادا ، وكانت مقاصدك ؟ .. » فقطعها الساحر فى رقة : « اذا ؟ .. »

- حسنا ، اصغ اذن الى : لقد كنت حامى ، وصديقى ، ومرشدى . اما هذا الاعتبار الجديد فلم أكن متأهبة له . (ثم أضافت بسرعة وقد لمحت عينيه القاتمتين تلمعان ببريق انفعاله وشهوته الحادة !) « ولاتحسب انى احتقر عاطفتك او انها لم تلمس شغاف قلبى ، فان تكريمك هذا لى ليشربنى .. ولكن ، هلا استطعت ان تصفى الى فى هدوء ؟ - كيف وكلماتك كادت تحرقنى بنارها ، كالصاعقة ؟ فاجابت ايونى فى صوت حازم ، وقد تورد وجهها برغبتها : « انى احب .. آخر ! »

فصاح بها أرباس وقد انتفض واقفا : « بحق الالهة لاتقولى شيئا من ذلك ! لاتسخرى منى ! هذا مستحيل ! وهل رايت احدا ؟ من ذا الذى عرفت ؟ آواه يا ايونى . انها اكدوبة من اختلاق خيالك النسائى ، اردت بها ان تكسبى الوقت ! .. فانى قد فاجاتك ، قد أفزعتك .. » وأمام ثورة الرجل العنيفة غير المتوقعة ، انخرطت ايونى فى البكاء .. فدنا منها أرباس ، وأحست أنفاسه على خدها ، وأحاطها بذراعيه ! .. فانفلتت هاربة من عناقه .. وفى صراعهما سقط من صدرها شئ ، لمحه أرباس فالتقطه .. وإذا هو خطاب قد تلقته فى الصباح من جلوكاس ! ومرت عينا أرباس بسرعة على السطور ، فقرأه الى آخره فى مثل لمح البصر .. ثم قال فى صوت هادئ ماطر ، وقد سقط الخطاب من يده : « هل كاتب هذا الخطاب هو الرجل الذى تحبين ؟ » فتنهدت ايونى ، ولم تجب !

- تكلمى !

- انه هو !

فقال أرباس وهو يخفض صوته فى شبه همس : « اذن فاسمعينى : ان القبر اقرب اليك من ذراعى هذا الرجل ! »

وفى هذه اللحظة ازيحت احدى ستائر الغرفة بعنف مزق اطرافها ، وظهر من خلفها جلوكاس وابايسيدس (شقيق الفتاة) ! ودار بين الثلاثة عراك وحشى ، كان ليسفر عن نهاية مشؤومة ، لولم يهتز تمثال رخامى لرأس احدى الالهة من فوق قاعدته فيسقط فوق أرباس فى اللحظة التى كان فيها يوشك ان يظمن الشاب الاثينى بخنجره طعنة قاتلة .. فخر الساحر الى الارض بلاحراك ، فاقد الوعى !

وبذلك نجت ايونى .. ولادت باحضان حبيبها ومنقذها ، اشد تعقلا به من اى وقت مضى !

٥ - اكسير الحب !

◆ لم يكن كلوديوس مخطئا حين قال ان «جوليا» - ابنة التاجر الثرى ديوميد - كانت متورطة فى هوى الشاب الاثينى الوسيم جلوكاس .. فانها لم تكذ تياس من ان يبادلها فاتنها حبا بحب ، حتى بيتت نيتها على الانتقام منه ! وفى حمى هذه الرغبة لجأت الى الساحر المصرى أرباس تنشد معونته ، بوصف انها عاشقة تعاني لوعة الحب الرفض ! .. وسألته ان يحضر لها اكسيرا يوقع محبوبها فى هواها ويصرفه عن محبوبته الاخرى !

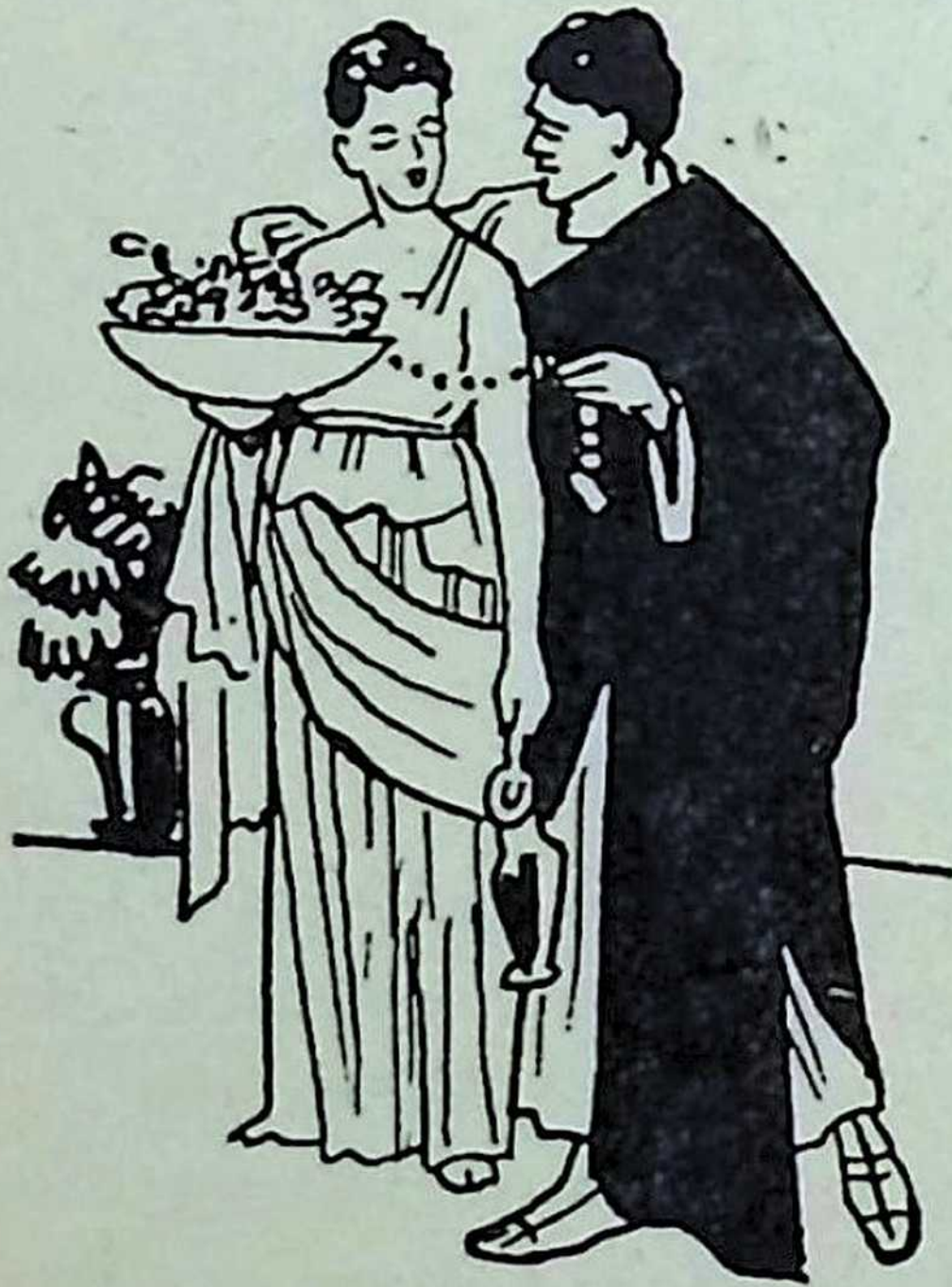
لكن أرباس حدس من فوره سر جوليا وعرف شخصية معشوقها المتدل .. فلما سمع ان جلوكاس وايونى يتاهبان لعقد قرانهما فى القريب ، رحب بهذه الفرصة الفريدة التى ساقته اليه من تنتقم له من غريميه دون ان يبذل جهدا .. لكنه صارح زائرتيه بانه لايتعامل فى اكسير الحب ، وانما سياخذها الى ساحرة تتقن هذه الصنعة ، وتقطن فى سفح جبل «فيزوف» ..

وانجز وعده ! .. لكنه والساحرة كانا يخشيان الوقوع تحت طائلة القانون الذى يحرم ذلك الاكسير ، فاعطاها بدلا منه سما يسبب لمن يشربه الجنون !

◆ ولكن ، مرة أخرى ، هيات الاقدار الفتاة العمياء «نيديا» كي تفسد خطط الساحر أرباس !! وكان تعلق التسعة بمحررها جلوكاس قد تعمقت جذوره في قلبها وتطور الى حب عارم ، وغيره جارفة من منافستها ايونى !! وكانما أبت الاقدار الا ان تزيد نار غيرتها اشتعالا ، فسأقت لها بدل المنافسة اثنتين .. فقد كانت على صلة بجوليا ، فكاشفتها هذه ذات يوم بسر حبها العظيم للشباب الاثينى !! واذا ذاك وجدت فيها العمياء غريمة جديدة تنازعها قلب الرجل الذى تحب !! فلما صارحتها جوليا بأمر الاكسیر الذى تنوى ان تدسه للشباب كي توقعه فى هواها ، انتهزت العمياء احدى الفرص وسرقت الاكسیر من محادثتها - كي تستخدمه لحسابها الخاص ! - ووضعت بدلا منه فى القارورة ماء زلالا !

وحانت الفرصة التى ترقبتها جوليا لتنفيذ مؤامرتها ، حين أقام والدها حفلة ساهرة دعا اليها - ضمن من دعاهم - الشاب الاثينى جلوكاس !! وفى ختام الحفلة قدمت الماكرة لضييفها جرعة الاكسیر المزعومة .. ولكن كم كانت دهشتها حين رأت جلوكاس يضع الكأس الفارغة فى هدوء - بعد ان جرع محتوياتها ! - ثم يستأنف حديثه معها بنفس الثبات والاتزان اللذين عهدتهما فيه ! وفى غمرة دهشتها راحت تمنى نفسها : « غدا يظهر مفعول الاكسیر .. لهفى عليك يا جلوكاس ! »

السم فى العسل !



وجد نيديا فى انتظاره !..

◆ فلما وصل جلوكاس الى بيته فى تلك الليلة ، وجد العمياء نيديا فى انتظاره . كانت قد فرغت من تعهد ازهار حديقته كماداتها ، ثم تلكات عن

الانصراف زاعمة انها متعبة تبغى قسطا من الراحة !

وقال لها جلوكاس : « ما أشد حرارة الجو اليوم ! » ان النبيذ الذى شربته يلهب احشائي ، بحيث أتوق الى تناول شراب مرطب .. «
وهنا سنحت للعمياء فرصتها المنشودة ، فجأة وعلى غير انتظار ، فقالت من فورها وهى تحاول اخفاء انفعالها : « ساعد لك حالا ذلك الشراب الصيفي الذى تحبه ايونى : الفصل والنبيذ الممزوجين بالثلج ! » ..

فقال لها جلوكاس دون ان يرتاب فى شئ : « شكرا .. اذا كانت ايونى تحبه فهذا يكفينى . انه يفيدنى عندئذ ولو كان سما ! »

تجهمت العمياء لدى سماع العبارة الاخيرة ، ثم ابتسمت .. وبعد ان غابت بضع دقائق عادت تحمل كأس الشراب ، فتناولها جلوكاس من يدها ١٠٠
اى ثمن كانت العمياء لاتبدله مقابل ان يرد اليها بصرها كى ترى فى يد محبوبها الكاس التى ستمهد لمشرق حبه المقبل المرموق .. لها هى ؟
ورفع جلوكاس الكاس الى شفثيه ، وجرع فحو ربع محتوياتها ..
وعندئذ لمح فجأة على وجه نيديا تحولا غريبا أفزعه ! لقد ارتسم فى ملامحها تعبير ينم عن الالم الحاد ، جعله ينزع الكأس من فمه ويهتف بها فى انزعاج : « نيديا ! نيديا ! .. امريضة انت ؟ هل تحسين باى الم ياطفلتى المسكينة ؟ »

وفيما هو يتكلم وضع الكأس جانبا - لحسن حظه - قبل ان يأتى على مافيها ، ثم نهض من مقعده متجها نحو الفتاة .. وفى تلك اللحظة احس بقبضة باردة مفاجئة تعصر قلبه ، تبعها احساس حاد ، مضطرب ، بدوار غريب فى راسه ! .. لكان الارض تميد تحت قدميه ، وقدميه تطيران فى الهواء .. وتولاه مرح طاغ غير عادى ! .. وود لو كانت له اجنحة ، بل لقد احس كانه يمتلكها .. فاندفع دون وعى يضحك ضحكة عالية مدوية !

وكما اصابته هذه النوبة فجأة ، زايلتها فجأة - ولو جزئيا - فاحس الآن بدمه يتدفق حارا قويا فى عروقه ! .. ثم غام على عينيه شبه ظلام ، وتدفق من فمه اعصار من الالفاظ المتكسرة ، المتقطعة ، المجنونة .. ولفرط فرع نيديا اندفع يقفز السلم الى الباب الخارجى . ومنه الى الشوارع ، التى

اضاءتها النجوم .. وبلغ من غرابة منظره انه بث الرعب فى قلوب كل من
راوه فى تلك الليلة !!

٦ - جريمة قتل !

◆ فى اليوم التالى انطلق الساحر ارباس الى منزل جوليا ، يدفعه شوق
ملح الى معرفة نتيجة الشراب الذى اعطاها اياه كى تسقيه لغريمهما الاثينى !!
وفى طريقه التقى بالفتى « ابايسيدس » شقيق ايونى ، فتبادل الاثنان الشتائم
والاهانات . واذا احنقه الاحتقار الذى ابداه الشاب نحوه استل خنجره
وطعنه به طعنة مباشرة فى القلب !!

وفى تلك اللحظة ظهر جلوكاس مقبلا من بعيد ، على تلك الحال من فقدان
الادراك .. وبمثل سرعة الفكر تحرش به صاحبنا والقاء ارضا ، مغمى
عليه .. ثم انتزع منه خنجره فقمسه فى دم القتيلى وتركه بجانبه ،
فى الوقت الذى استرد فيه خنجره هو من الجثة !! وحين تم له ذلك اطلق
عقيرته طالبا النجدة .. وبعد لحظات كان يتهم جلوكاس بارتكاب الجريمة !
وحالف الحظ صاحبنا فى البداية .. ففضى المحققون بان يواجه جلوكاس
اسدا مفترسا فى ساحة الالعاب الكبرى ، بشرط ان لا يكون مسلحا بغير خنجره
الذى ارتكب به الجريمة !! هذا بالرغم من ان التعس كان مايزال منطلقا
يهرف على غير هدى ، بتأثير الجرعة التى تناولها من ذلك الاكسير السام !
وفى غمرة فزع العمياء من نتيجة التدبير الذى اعدته ونفذته ، اعترفت
للساحر المصرى بقصة سرقتها لأكسير الحب الحقيقى من غريمها جوليا ! فكان
جزاؤها على هذا الاعتراف ان حبسها ارباس فى احدى حجرات قصره !

وكان الكاهن الزائف ، الموالى للساحر ، قد رأى سيده وهو يقتل
اباسيدس ، فشرع فى استفلال علمه بهذا السر كى يبتز منه ماله مقابل
كتمانته !! لكن الماكر عرف كيف يوقع بتابعه الخائن فى فخ ويحبسه بدوره
فى احد سراديب قصره ! ثم كانت الطامة الكبرى حين قضى القانون بتسليم
«ايونى» اليتيمة الى ارباس ليرعاها !! وهنا ، وللمرة الثالثة ، هيات
الاقدار « نيديا » العمياء كى تفسد مؤامرة الساحر الشرير : فانها سمعت وهى
فى محبسها اصوات ارباس وتابعه يتساويمان على كتمان السر .. ثم سمعت

صرخات التابع من سردابه المظلم بعد الايقاع به .. فاستطاعت ان ترشـو حارسها كى يحمل رسالة منها الى صديق حبيبها جلوكاس يدعى «سلاست» .. فلم يلبث هذا ان جاء على راس حشد من خدمه فاطلق سراح السجينين عنوة ثم اسرع معهما الى حلبة المصارعة ليتهم ارباس علنا بجريمة قتل الشاب ابابسيـدس ! .. وقد وصل الثلاثة الى الحلبة فى اللحظة التى تهيأ فيها القوم لاطلاق الاسد على الاثنى كى يصارعه وينهش لحمه !

لكن اعصاب الساحر الشرير لم تخله حتى وهو يشهد امله الاخير يتبدد ، وهو قاب قوسين اوادنى من متناوله ! .. فقد واجه الاتهام الذى وجه اليه ببروده ورباطة جاشه المألوفين ! .. لكن الاتهام المدعم بالاسانيد الذى اعلنه كاهن معبد ايزيس على رؤوس الاشهاد ، اثار ثائرة الجماهير وهياجها ضد ارباس .. فهب الجميع من مقاعدهم واندفعوا صوبه وهم يتصايحون بطلب الاقتصاص منه !

٧ - غضب الآلهة !

◆ ولكن ، فى تلك اللحظات الرهيبة رفع ارباس عينيه ، فرأى ظاهرة غريبة مروعة تبدو عند الافق .. وللحال ارتدت اليه شجاعته ، وعمد الى فنونه فى الدجل والتأثير على مدارك الجاهل بسحره المزعوم ، فمد يده فى قوة وهيبة يامر الجماهير بالصمت والاخلاد الى السكون .. وارتسم على قسـمات وجهه الوقور وفوق حاجبيه المهيبن تعبير آهر يوحى بالرهبة ! .. ثم صاح بصوت مزمر كالرعد ، اخرجس ضجيج الجماهير : « انظروا ! .. انظروا كيف تحمى الآلهة البرىء ؟ ان نيران البراكين المنتقمة تثور غاضبة على الشهادة الزائفة التى ادلى بها متهمى ! »

واتجهت ابصار الجموع الداهلة الى حيث اشار ارباس ، فراوا - مفزوعين - سحابة كبيرة من البخار تنطلق من قمة بركان «فيزوف» على صورة شجرة صنوبر ضخمة : جذعها من الدخان الاسود ، واغصانها من اللهب والنيران ! .. نيران تصاعدت السنتها الحمراء المتوهجة تتلوى وتتطاول وهى تعلق عنان السماء فى وحشية الثعابين المفترسة ! ..

ثم انتفضت الارض انتفاضة عنيفة ، واهتزت جدران الملعب ! .. ومن

بعيد سمع ارتطام المباني المتساقطة .. وبدأت السحابة تزحف نحو مكان المجتمعين ، ملقية على الأرض في طريقها وابلا من اللحم وشظايا الاحجار المشتعلة بالنار ! .. ولم يلبث الجبل الملهب أن قذف من جوفه أعمدة من الماء في درجة الغليان !

◆ وفي غمرة غروب النهار وهبوط الليل الشاحب على هذه الصورة المخيفة تبخر من أذهان الجماهير المذعورة كل تفكير في العدالة أو في معاقبة أرباس .. وانطلقوا ليلوون على شيء ، هارين نحو البحر كمن أصيبوا بمس من الجنون !

وخلال الظلمة قادت «نيديا» محبوبها جلوكاس ، الذي أفاق بعض الشيء من تأثير الاكسير السام ، ومعه خطيبته ايونى ، نحو الشاطئ .. فان عماها جعل السير في العتمة مألوفاً لديها وحدها !

وفي الوقت الذى هلك فيه أرباس مع أغلبية النظارة ، تابع هؤلاء الثلاثة فرارهم الحثيث الى البحر .. حيث انضموا الى فريق من الشجعان الذين فضلوا أن يواجهوا أى خطر محتمل ، على البقاء فى تلك الأرض الملعونة !

واذ استقر الثلاثة فى السفينة الصغيرة كان الاعياء قد نال من ايونى فنامت على صدر حبيبها ، بينما رقدت نيديا عند قدميه .. واستمر وابل من اللحم والشظايا المحرقة يتساقط فوق الامواج ، ويتفتت فوق سطح السفينة ، ومنها ما حملته الرياح الى البلاد البعيدة فسقط فوق أرض مصر العريقة ، وسوريا ، وعلى رؤوس زنوج افريقيا !

٨ - الفجر الجديد !

◆ ثم بدأت حدة البركان التائر تخف بالتدريج ، والرياح العاصفة تخلد الى الراحة ، وزبد الامواج الهائجة يموت فى افق البحر اللازوردى الساجى .. وأشرق أخيراً فجر جديد ساكن ، ناعم ، جميل .. بينما كانت غلالات من الضباب الرقيق تقتنص بالتدريج من الافق الشرقى حمرة خده ، بشيرة الصبح الوردى !

وفى قلب الليل الساكن الاخرس نهضت العمياء من رقادها فى رفق ، فانحنت فوق وجه محبوبها جلوكاس وطبعت على فمه قبلة ناعمة .. ثم بحثت

عن يده ، حتى وجدتها نائمة - وياللاسف - فى راحة حبيبته ايونى ، فاطلقت
المسكينة زفرة من قلب يحترق ، ثم عادت تقبل جبين حبيبها .. وبشعرها
مسحت عنه ندى الليل ، مغفمة : «فلتباركك الالهة أيها الاثينى .. ولتسعد مع
حبيبتك ! .. وعسى أن تذكر «نيديا» بين الحين والحين .. ولكن ، واحسرتاه !
.. انها لم يعد لها نفع على هذه الارض ! »

واستدارت مبتعدة .. وبعد برهة سمع بحار ، كان نصف نائم على
ظهر السفينة ، صوت ارتطام جسم ثقيل بالماء ! .. فنظر حواليه ، وخلفه ،
وهو يغالب النعاس .. بينما تابعت السفينة انزلاقها على صدر المياه الضاحكة ..
وخيل للرجل أنه رأى شيئا أبيض يلوح بعيدا ، وقد أخذت تهدده
الامواج ! .. لكنه لم يلبث أن اختفى بعد لحظة ، فرد البحار بصره عن البحر
واستدار على جنبه الآخر ليستأنف حلمه بوطنه وبيته !

◆ وحين افاق العاشقان من نومهما كان اول خاطر جال بفكر كل منهما أن
يلتفت الى صاحبه .. والخطر الثانى أن يتطلع حوله باحثا عن «نيديا» .. وقد
فتشوا كل ركن من أركان السفينة ، ولكن دون أن يعثروا لها على أى
أثر ! .. فكما عاشت اليونانية العمياء من البداية الى النهاية أشبه بالطف
العابر .. تبخرت آخر الامر من عالم الاحياء فى هدوء ، دون أن تحدث
ضجيجا !

وأدرك الحبيبان مصيرها ، وقد لاذا بالصمت .. لكنهما وهما يقتربان
كلاهما من صاحبه - الذى كان فى نظره أغلى قدرا من الدنيا - بأسرها ! -
نسيا فرحتهمما بالنجاة فبكيا «أختهم» الراحلة بكاء مرا .. !

إذا أردت أن يقرأ إعلانك ..
كل قارئ وقارئة .. في كل بلد ..
وكل طبقة .. وكل مجتمع

اعلم عن بضاعتك
على صفحات

“كتابي”

الكتاب الشهري

الذي يدخل كل بيت .. وتبدأ أوله
عشرات الألوف من الأيدي والعيون
عشرات المرات .. طوال أيام الشهر ..

عزيزى القارىء . . .

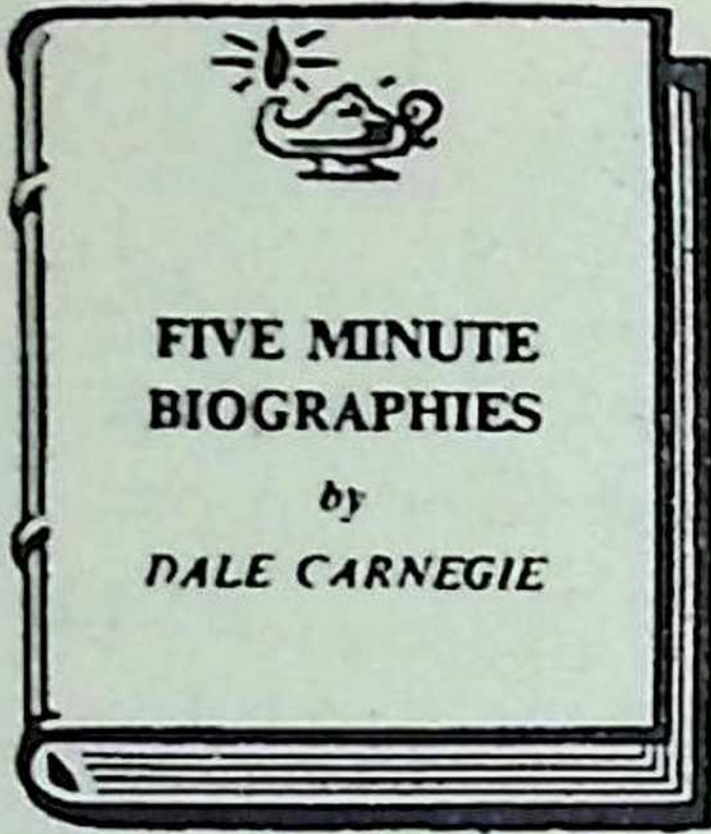
سواء كنت قد قرأت كتب «دیل کارنیجى» السابقة ، التى أشهرها : (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس، دع القلق وأبدأ الحياة ، الخطابة والتأثير فى عملائك ، لنكون المجهول ، حقائق غير معروفة عن أشخاص معروفين . . .) أقول سواء كنت قرأت هذه الكتب أو لم تقرأها ، فأنت خليك ان تستمتع بهذا الكتاب من كتب كارنیجى الذى أقدمه لك فى الصفحات التالية ، والذى تقرأ فيه مجموعة متنوعة من السير القصيرة الشائقة لعدد من الاعلام البارزين فى شتى ميادين العظمة وذيوع الصيت ، راعى المؤلف فى كل منها أن تتضمن أطرف وابرز ما صادف أولئك المشاهير من نقط التحول فى حياتهم : من الخمول والفشل ، الى النجاح ونباهة الذكر . . !

و« ديل كارنيجى » كاتب امريكى بدأ حياته أجيرا يعمل مقابل «بنس» واحد فى الساعة (أى نحو ٤ مليمات) . . فاصبح اليوم يملك ثمانين مليوناً من الجنيهات (لا الدولارات !) . . وحين صار غنيا وكثير المشاغل ، اتخذ لنفسه خيرا يقرأ له جميع الكتب التى تهمة موضوعاتها ويرشده الى الصفحات الشائقة منها كي يستمتع بقراءتها بنفسه . وانت قد لا تكون غنيا ، لكنك حتما كثير المشاغل ، ولاسيما فى هذا العصر المعقد ، ومن ثم فأنا أقدم لك خيرا عالميا - هو كارنیجى - كى يركز لك فى صفحات أهم ما طالعه فى سير هؤلاء العظماء الذين يكتب عنهم !

اقرأ معى :



كتاب
المتشهر



FIVE MINUTE
BIOGRAPHIES
by
DALE CARNEGIE



كيف نجحوا في الحياة!

الكتاب العالمى
للكاتب الأمريكى ديل كارنيجى

١ - روكفيلر : ملك المال

♦ في حياة جون د . روكفيلر ثلاث عجائب خارقة : أولها انه جمع من المال ما لعله يعد أضخم ثروة في تاريخ الانسانية ! وقد بدأ حياته العملية بفلاحة الارض وزراعة البطاطس تحت وهج الشمس المحرقة ، مقابل بنسبين (٨ مليمات) في الساعة ! وفي تلك الايام لم يكن في الولايات المتحدة بأسرها نصف « ستة » من الرجال يملك الواحد منهم مائتي ألف جنيهه ! لكن روكفيلر جمع من الثروة ما قدر بين العشرين والاربعين مليوناً من الجنيهات ! ومع ذلك فان أول فتاة احبها رفضت الزواج منه . لماذا ؟ لان امها ابت الموافقة على تزويجها من رجل مثل جون روكفيلر لا يملك أية مؤهلات تبشر بمستقبل مرموق !

والعجبة الثانية في حياة روكفيلر انه تبرع بمبالغ من المال تفوق ماتبرع به أي انسان في التاريخ ! فقد بلغ مجموع تبرعاته مائة وخمسين مليون جنيه ، وهذا يعنى انه تبرع بأكثر من ثلاثة شلنات مقابل كل دقيقة مرت منذ مولد المسيح (أي منذ ١٩٥٢ سنة) ، او ما يوازي مائة وخمسين جنيهاً مقابل كل يوم اشرقت شمسُه منذ قاد موسى بني اسرائيل عبر البحر الاحمر (أي منذ ٣٥٠٠ سنة) !

وثالثة العجائب ان روكفيلر عاش حتى سن السابعة والتسعين . رغم انه تلقى آلاف الخطابات التي يهدده كاتبوها بالقتل . (فقد كان من أكثر الرجال المكروهين في أمريكا !) وقد اقتضى ذلك تعيين حراس مسلحين لحراسته ليل نهار ! كما ان روكفيلر احتمل الارهاق العصبي والجسماني المروع الذي اقترن به تأسيس وإدارة مشروعاته الضخمة العديدة . وهو الارهاق الذي قتل ثلاثة من اصحاب الملايين وكبار رجال الاعمال الأمريكيين (هم : هاريمان ، ملك السكك الحديدية . ثم وولورث ، ملك متاجر ألف صنف . وباك ديوك ، ملك التبغ) في سن ٦١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، على التوالي ! لكن روكفيلر جمع أكثر من ثروات هؤلاء الثلاثة مجتمعة ، ومع ذلك فقد عاش الى سن ٩٧ ! ولو علمت انه لا يبلغ هذه السن غير ثلاثين رجلاً من

کل ملیون ، ولا یبلغها مستمتعا بجمع أسنانه الطبيعية سليمة - مثل روكفيلر - غير واحد بين كل مائة ملیون شخص ٠٠ لا تعتبر تعميره واحتفاظه بصحته الى هذه السن أعجوبة الاعاجيب !

سر طول العمر !

◆ فماذا كان سر طول عمر روكفيلر ؟ لعله قد ورث «الاستعداد» لطول العمر عن والديه وأجداده ٠٠ لكن الذى قوى من هذا «الاستعداد» طبيعة الرجل الهادئة التى كانت تحميه دائما من الانفعال والعجلة ٠٠ ثم حرصه على اخذ قسط اضافى من النوم اثناء النهار . من قبيل ذلك انه حين كان يرأس شركة ستاندارد للبترول ، كان يحتفظ فى غرفة مكتبه بكنبة عريضة يخلد عليها للنعاس لمدة نصف ساعة عند ظهر كل يوم . وقد استمر على هذه العادة حتى نهاية حياته .

وقد أصيب روكفيلر فى سن الخامسة والخمسين بانهيال فى صحته ، فكان ذلك من أسعد الاحداث فى تاريخ الطب عامة ٠٠ فبسبب ذلك الانهيال صار الرجل ينفق الملايين من الجنيهات على البحوث الطبية . وماتزال «مؤسسة روكفيلر» تنفق فى هذا الباب مليونين ونصف مليون من الدولارات كل عام ٠٠! وحين تفشى وباء الكوليرا الرهيب فى الصين سنة ١٩٣٢ ، كانت كلية الطب التى أنشأتها تلك المؤسسة فى «بيكنج» ، من أعظم الهيئات التى تولت مكافحة الوباء ، برغم عوائق الفقر والجهل السائدين هناك . ومن ناحية أخرى كان أطباء المؤسسة هم الذين اكتشفوا مصل الحمى الصفراء اللعينة ، وهم الذين يشنون الحملات الظافرة فى كل بقاع الارض ضد حمى الملاريا بدورها ٠٠

◆ وقد ربح جون روكفيلر اول «شلمن» فى حياته من مساعدته لأمه فى تربية الدواجن ! (وقد ظل حتى آخر حياته يحتفظ بقطيع من الديكة الاصيلة فى ضيعته البالغة مساحتها ثمانية آلاف فدان . احتفظ بها لتذكره بصور طفولته الغابرة !) ٠٠ وقد كان يدخر كل فلس تعطيه إياه أمه مقابل تعهد دواجنها ، فى فنجان شاي مكسور يحتفظ به فوق رف المدفأة !

أول أجر !

ثم عمل في مزرعة بأجر قدره شلن ونصف في اليوم ، فكان يدخر كل أجره حتى جمع مبلغ عشرة جنيهات ، أقرضه يومئذ لمخدومه بفائدة قدرها ٧ في المائة . واذذاك اكتشف أن جنيهاته العشرة تدر عليه في العام ما يوازي أجره عن عمله الشاق لمدة عشرة أيام ! .. » ومنذ اكتشفت هذه الحقيقة اعتزمت أن أجعل المال يكون عبدا لي ، بدلا من أن أكون أنا عبدا للمال ! «

♦ وروكفيلر لم يدلل ابنه ويفسده باغداق المال عليه ، بل كان لا يعطيه منه إلا بمقدار حاجته ، على أن يؤدي في مقابل ذلك عملا نافعا . من ذلك أنه جعل له نصف بنس (مليمين) عن كل ثمرة في سياج الضيعة يكتشف حاجتها للاصلاح . فلما اكتشف الابن من هذه الثمرات ثلاث عشرة في يوم واحد ، دفع له أبوه عنها ستة بنسات ونصف . ثم صار يدفع له سبعة بنسات ونصف عن كل ساعة يقضيها في اصلاح تلك الثمرات . كما اعتادت أمه أن تدفع له بنسين ونصف عن كل ساعة يتمرن فيها على عزف الكمان !

ولم يدرس روكفيلر يوما في جامعة ، وإنما التحق عقب دراسته « الثانوية » بمدرسة للتجارة لبضعة أشهر . ثم زهد في الدراسات العلمية وهو في سن ١٦ . ومع ذلك فقد تبرع لجامعة شيكاغو بهبة قدرها عشرة ملايين جنيه !!

♦ وكان روكفيلر على الدوام مواظبا على الذهاب الى الكنيسة ، وفي شبابه كان يتولى تدريس الدين في اجتماعات مدارس الاحد . وكان متدينا ، مستقيما ، لم يرقص قط . . ولا لعب القمار . . ولا دخل مسرحا . . ولا دخن سيجارة . . اوشرب كاسا من الخمر ! .. وكان يصلي قبل تناول كل وجبة طعام ، ويقرا في الانجيل وكتب الصلوات كل يوم . .

وثروة روكفيلر ماتزال تنمو بمعدل عشرين جنيها كل دقيقة ! وقد كانت كل أمنية الرجل أن يعيش حتى يبلغ المائة ، كي يتم قرنا كاملا . . وصرح بأنه لو قدر له أن يحتفل بعيد مولده المئوي (الذي كان موعده يوم ٨ يوليو سنة ١٩٣٩) فسوف يقيم الاحتفال المذكور في الدار التي أنشأها بضيافته ، وسوف يقود بنفسه جوقة الموسيقى لتعزف لحنه المفضل : « عندما كنا ، أنت وأنا ، في شبابنا يا «ماجى» !

٢ - سومرست موم : الطیب الادیب



♦ هل تعرف ما هي أعظم مسرحية كتبت حتى يومنا هذا ؟ .. عندما أخذت أصوات أبرز النقاد المسرحيين في نيويورك، لاختيار أعظم عشر مسرحيات في جميع العصور ، نالت «هاملت» المكان الأول في القائمة .. أما الرواية الثانية في الترتيب فتم تكن «ماكبيث» أو «الملك لير» ، أو « تاجر البندقية » .. بل كانت « الامطار » !

نعم : « الامطار » ! تلك الدراما العاصفة التي تصور صراع غريزة الجنس

مع الدين ، وعراكماهما بالسن والناب في البعار الجنوبية .. وهي التمثيلية التي اقتبست عن قصة قصيرة لسومرست موم !

وقد ربح موم من هذه المسرحية أربعين ألف جنيه .. ومع ذلك فانه لم ينفق في كتابتها .. دقيقة واحدة !

واليك القصة (أو بالأحرى قصة القصة) : كان موم قد كتب قصة قصيرة أطلق عليها «سادى تومسون» ، ثم لم يعد يفكر فيها بعد ذلك .. وذات ليلة كان أحد كتاب المسرح - ويدعى جون كولتون - يبيت في ضيافته ، فطلب شيئاً يقرأه ليستعين به على النعاس . واذا ذاك اعطاه موم مسودة قصة «سادى تومسون» !

واعجب كولتون بالقصة ، واثارت انفعاله ، فنهض من الفراش وجعل يذرع الحجرة .. وهو يتصور القصة بخياله وقد وضعت في قالب مسرحي ، فصارت دراما تستحق الخلود ! .. وفي الصباح هرع الضيف الى هوم صائحا به : «ان القصة التي اعطيني اياها لتعيني على النوم ، قد بددت النوم من عيني ! .. فقد قضيت الليلة بأكملها أفكر في صلاحيتها لان تقتبس منها - مسرحية هائلة ! »

لكن موم قابل الفكرة بفتور ، قائلا انها لا تستحق عناء الاهتمام بها ! ..
ومع ذلك فقد واصل كولتون جهوده حتى أتم اعداد القصة للمسرح . ثم
عرضها على عدد من المخرجين ، فرفضوها جميعا ، جازمين بفشلها ! .. واخيرا
قبلها واحد منهم ، هو «سام هاريس» ، قبلها خصيصا كي يسند بطولتها الى
ممثلة ناشئة تدعى «جين ايجلر» !

ونجحت «جين» في تمثيل دور البطة ، بحرارة وقوة جعلتها اعجوبة
الوسط المسرحي في برودواي ! .. واستمرت الرواية تمثيل فيمتلىء المسرح
بأكمله بالنظارة طيلة اربعمائة وخمس عشرة ليلة متوالية !

وقد كتب موم كتباً كثيرة ممتازة ، منها : أغلال الحب ، القمر وستة
بنسات ، القناع الملون .. عدا طائفة من المسرحيات الناجحة .. لكنه « لم
يكتب » أشهر مسرحية له على الاطلاق ! .. فالذى كتبها في الواقع هو
«كولتون» وليس موم !

◆ ويطلق البعض على «موم» اليوم القاب النبوغ والعبقرية .. لكنه ظل
فاشلا من الناحية المالية طيلة احد عشر عاما بعد ان بدأ الكتابة ! وهذا
الكاتب الذي قدر له ان يربح من التأليف مائتي ألف جنيه ، لم يكن يربح
طوال العام - اثناء الاحد عشر عاما الاولى - أكثر من مائة جنيه !

واحيانا كان يقاسى مرارة الجوع .. فحاول ان يعثر على «وظيفة» كاتب
للمقالات الافتتاحية في إحدى الصحف ، بمرتب ثابت .. لكنه لم يجد
من يوظفه ! .. وهكذا اضطرت الى الاستمرار في كتابة القصص ، بسبب
عجزى عن العثور على وظيفة ! «

ولامه أصدقاؤه على حماقته التى تجعله يحترف الكتابة ، وهو الذى
تخرج من كلية الطب ! ونصحوه بهجر القلم ليمارس مهنة المبيع . لكن
جهودهم فشلت فى زحزحته عن تصميمه على كتابة اسمه بأبرز خط على صفحات
تاريخ الادب الانجليزى !

وقد قيل يوما : « ان الرجل قد يعمل ويكدح عشر سنوات وهو نكرة
مغمور ، ثم ينال الشهرة فجأة فى خمس دقائق ! .. » وهذا القول يصدق كل الصديق
على سومرست موم ، فقد واتاه الحظ آخر الامر من حيث لا يدري : كان صاحب
احد المسارح قد فوجئ بفشل مسرحية جديدة مثلت على مسرحه ، قبل ان

بعد المسرحية التي تليها ، فراح يبحث في عجلة عن مسرحية ولو متوسطة الجودة ، كي يعرضها مؤقتا حتى يعد المسرحية التالية .. وفيما هو يستعرض الروايات المهمة التي تزخر بها ادراج مكتبه ، وقعت في يده رواية لسومرست موم اسمها «ليدى فردريك» كانت ترقد في الدرج منذ اكثر من عام .. فرأى ان يسد بها الفراغ الشاغر لبضعة اسابيع

وحدثت المعجزة ! .. فقد ظفرت « ليدي فردريك » بنجاح هائل ، واثارت من تعليقات المعجبين في لندن بل انجلترا بأسرها مالم تثره مسرحية أخرى منذ عهد روايات أوسكار وايلد !

وللحال تهافت مديرو المسارح جميعا على سومرست موم يلتهمون رواياته .. فنبش صاحبنا أوراقه المهمة وخرج منها بثلاث مسرحيات مثلت في ثلاثة مسارح مختلفة في وقت واحد !

وهبط الحظ على العبقري الذي كان مغمورا ، وسلطت عليه الاضواء فجأة ، فبات موضع حديث الناس جميعا .. وتقاطر عليه الناشرون يغلقون عليه الذهب ! .. واغرقه المجتمع بالدعوات والحفلات .. وهكذا ، بعد احد عشر عاما من النسيان والاهمال ، وجد موم نفسه فجأة موضع التنافس على شرب نخبه في صالونات « ماي فير » الراقية !

◆ وموم لا يكتب حرفا بعد الساعة الواحدة ظهرا ، فهو يقول ان ذهنه يشل طوال ساعات بعد الظهيرة .. ومكانه المختار للكتابة مظلة شبيهة بمظلات الكروم اقامها في حديقة الفيلا التي يقطنها في اقليم الريفيرا الفرنسية ، وقد شيدها على الطراز المراكشي !

ومن عادته دائما ان يدخن غليونيه ويقرأ الفلسفة لمدة ساعة قبل ان يشرع في الكتابة . وقد فر من الاحتلال الالماني اثناء الحرب فاقام في مزرعة بولاية « كارولينا الجنوبية » بالولايات المتحدة .

ورغم زعمه انه لا يؤمن بالخرافات ، فانه يضع علامة « العين الشريرة » على كعب جميع مؤلفاته ، كما يضعها على اطباق مائدته ، وادوات مكتبه ، واوراق اللعب التي يستعملها (الكوتشينة) .. كما انه حفر العلامة ذاتها على رف مدفاته ، بل وعلى مدخل داره ! .. لكنه حين يسأل عما اذا كان يؤمن بهذه المعتقدات ، يبتسم ولا يجيب !

٣ - وليم راندولف هيرست : ملك الصحافة

(ملحوظة : كتب المؤلف هذا الفصل قبل وفاة هيرست)

♦ هل فكرت يوما ماذا تفعل اذا كنت تملك ٢٠٠ ألف جنيه ؟ ٠٠ فماذا يكون بالاحرى تفكير « وليم راندولف هيرست » - ملك الصحافة الامريكية - وهو الرجل الذى يبلغ ايراده « كل شهر » ٢٠٠ ألف جنيه ! ٠٠ اى ستة آلاف جنيه يوميا ! ٠٠ بل انك حين تفرغ من قراءة هذا الفصل القصير الذى يحدثك عنه سيكون ايراده قد ازداد خلال هذه الدقائق المحدودة نحو عشرين جنيها !

و « هيرست » هو اغنى وأقوى ناشر فى العالم ، فهو يصدر اربعا وعشرين صحيفة يومية وتسع مجلات ، يقرأها عشرات الملايين من الامريكيين ٠٠ ويعمل فيها سبعةون ألف موظف ومحرر ، يطلقون جميعا عليه لقب « الرئيس » ٠٠ ورغم شهرته فى انحاء امريكا فان احدا لا يكاد يعرف عنه شيئا يذكر ، فحياته محاطة بالغموض ، ورجل الشارع الامريكى يعرف عن حياة « غاندى » الخاصة اكثر مما يعرف عن حياته !

وأغرب شىء فى شخصية وليم هيرست انه بقدر ما يهاجم ويتحدى فى جرائده ، بقدر ما هو خجول منطو على نفسه ! ٠٠ ورغم اختلاطه وتعامله مع العظماء والبارزين طيلة نصف قرن ، فانه ينفر أشد النفور من تقديمه الى الغرباء !

وانت اذا حملت بضيئته الكبرى فى كاليفورنيا فى اى وقت تجدد فى ضيافته دائما بين العشرة والستين ضيفا ! ٠٠ وتعد ضيئته تلك أفخم ضيعة فى العالم الغربى ، ومساحتها ربع مليون فدان ، تمتد مسافة خمسين ميلا بمحاذاة الشاطئ الغربى الامريكى المواجه للمحيط ! ٠٠ وقد انشا فيها على ارتفاع ألفى قدم فوق سطح البحر « مجموعة » من القصور الفاخرة على الطراز المراكشى اطلق عليها « التل السحري » ، وأنفق على تأثيثها وتزيينها ملايين لا حصر لها من الجنيهات ! ٠٠ حتى لقد كسا بعض جدرانها بالاقمشة المزركشة التى كانت تزين يوما قصور ماوك فرنسا ، ورشق حوائط ابهائها الرائعة بلوحات من ريشة رسامى العالم الخالدين امثال : رافاييل ، ورمبرانت ،



وروبنز ! .. اما قاعة المائدة التى يتناول فيها ضيوفه طعامهم فيعجز القلم عن وصف التحف التى تزدان بها ، والتى تكاد لاتقدر بثمن !

♦ ويملك هيرست مجموعة من الحيوانات المفترسة تفوق ما يحتويه اكبر سيرك عالمي ، وقد انشا لها حديقة حيوان خاصة تفرح فيها قطعان الجاهوس وحمار الوحش والزرافات و«الكنجارو» ، وتزار في جنباتها الاسود والفهود ،

وتصدح فوق اشجارها آلاف من الطيور والبلابل المفردة ..

ويرسل هيرست مندوبين عنه الى فرنسا وايطاليا ليشتروا لحسابه اندر القطع الاثرية وتحف الفن ، بل انهم يشترون له القصور الجميلة التى تصادفهم وينقلونها اليه حجرا حجرا ، بعد ان يضعوا على كل حجر رقما .. وبنفس الدقة يميزون كل قطعة خشب او رخام ، حتى يتيسر لهم تشييد القصر من جديد في امريكا بنفس الصورة التى كان عليها في موضعه !

وقد بلغ من مغالاته في شراء التحف من كل مكان انه اضطر الى شراء مخزن ضخيم في نيويورك كي يودع فيه الاشياء التى لا يستعملها . ويدير المخزن المذكور عشرون موظفا ، وهو يكلف صاحبه ١٢ ألف جنيه سنويا ، ويحتوى على غرائب لا حصر لها ، من ساعات الحائط الاثرية الى المومياءات المصرية !

♦ وقد كن والد وليم هيرست فلاحا من ولاية « ميسورى » ، اتجه غربا خلال حركة « جنون الذهب » سنة ١٨٤٩ ، فعبر صحراء كاليفورنيا مسافة ألفي ميل الى جوار ثورين وعربة مغطاة ، وخلال الطريق قاتل الهنود الحمر ، وصادف الاهوال .. حتى وصل ، فاغترف نصيبا من الذهب الذى اكتشف ، وجمع ثروة تقدر بالملايين ! .. وحين تقدم فى السن صار يحلو له ان يجلس في ظل شجرة ضخمة معينة من اشجار ضيعته .. وقد حدث منذ بضعة سنوات ان لاحظ ابنه وليم - ملك الصحافة - ان تلك الشجرة تحجب منظر المحيط

عن إحدى نوافذه ، فلم يشأ أن يقطع شجرة كانت لها مكانة خاصة عند أبيه .. ومن ثم أنفق ثمانية آلاف جنيه كي ينقل الشجرة بجذورها وتربتها مسافة لاتزيد على ثلاثين قدما !

وقد بلغ من شغف هيرست (الابن) بحيواناته ، أن عددا من رجال السينما طاروا اليه يوما من هوليوود كي يعقدوا معه مؤتمرا هاما ، فتركهم ينتظرون حتى يسعف « سحلية » فقدت جزءا من ذيلها ! .. وفي مناسبة أخرى أرسل يخته الخاص الى أحد الأطباء البيطريين في منتصف الليل ، ودفع له اجرا قدره مائة جنيه ، كي يعالج خنزيرا من خنازيره المدللة كسرت ساقه !

♦ ورغم بلوغ هيرست الثمانين (يوم كتب المؤلف هذا الفصل) فانه كان مايزال يلعب التنس ، رياضته المفضلة التي يمارسها منذ أربعين عاما ! .. وهو مصور فوتوغرافي - هاو - خبير في فنه ، يلتقط كل عام آلاف الصور .. كما انه خبير في استعمال البندقية واصابة الهدف بها ، ولاسيما في صيد الطيور أثناء انطلاقها في الجو .. وخبير في الرقص التوقيعي بالقباب ، وفي تقليد حركات الناس واصواتهم .. وفي سرد القصص .. وذاكرته اشبه بدائرة المعارف : فلو سأله مثلا ان يذكر لك اسماء زوجات الملك هنري الثامن ، او رؤساء جمهورية الولايات المتحدة ، لذكرها لك توا دون تلثم ! .. وذات يوم كان الممثل الهزلي شارلي شابلي يزوره مع آخر ، واختلف الزائران بشأن نص آية من آيات التوراة .. فحسم هيرست الخلاف بترديد نص الآية المختلف عليها عن ظهر قلب !

ويحب هيرست أن يحيط نفسه دائما بالشباب ، ولايسمح لاحد بالاشارة الى الموت في حضوره ! وحين يذهب الى نيويورك تكون تسليته المفضلة للترويح عن نفسه ان يطل من النافذة ، ساعات !

وقد ورث هيرست عن أبيه ستة ملايين من الجنيهات ، كان يستطيع أن يعيش بها معيشة خمول وفراغ .. لكنه بدلا من ذلك عاش بعد ذلك ستين عاما يعمل كل يوم بين ثمانى وخمس عشرة ساعة . وكان يقسم انه لن يتقاعد حتى ينقضى أجله !

وقد بر بقسمه !

٤ - شکسبیر ٠٠ وكفى !



♦ لم يلق أحد بالا اليه وهو على قيد الحياة ٠٠ بل ان اسمه ظل شبه مجهول خلال المائة عام التالية لوفاته ! ولكن منذ ذلك التاريخ حتى اليوم كتبت عنه آلاف الكتب ، وملايين الكلمات ، وأثار اسمه من التعليقات على أدبه وشخصه أكثر من أى أديب آخر فى تاريخ العالم ٠٠ بل ان آلاف من الناس « يحجون » كل سنة الى المكان الذى ولد فيه !

وقد زرت أنا تلك البقعة - ستراتفورد اون أفون - عام ١٩٢١ ، وتعمدت

أن أزرع الحقول الممتدة منها الى قرية «سلاتارى» القريبة ، سالكا نفس الطريق الذى كلت من السير فيه قدما الشاب الريفى الحجول ولیم شکسبیر كلما مضى لمقابلة محبوبته «آن هويتلى» ! ترى هل كان يخطر بباله يومئذ أن اسمه سوف يقرع اسماع الاجيال فى اطار من المجد ؟ ٠٠ وهل كان فى وسعه أن يصدق أن حبه المذكور ، الجميل ، المثالى ، كان مصيره الى الاسى والحسرة ٠٠ وسنوات من الندم ؟

♦ ذلك أنه مما لاشك فيه أن مأساة حياة شکسبیر انما كانت زواجه ٠٠! كان قد أحب آن هويتلى ، لكنه فى الساعات المتأخرة من الليالى المقمرة كان يمتحن الاقدار باللهو مع فتاة أخرى ، هى «آن هاثاواى» ! فلما علمت آن هاثاواى أن حبيبها قد استخرج رخصة زواج تمهيدا لعقد قرانه على غيرها ، صعدت ٠٠ جنت فزعا وياسا ! وفى نوبة ياسها اندفعت تطرق ابواب جيرانها ، لتبكي عارها امامهم ، وتوضح لهم لماذا ينبغى على شکسبیر أن يتزوجها ! ٠٠ وأحس جيرانها البسطاء الطيبون بالحزى الذى تعانيه التعسة ، واستبشعوا فعلة الشاب ، فمضوا فى اليوم التالى مباشرة الى دار العمدة والجهات المختصة

وشرعوا في اتخاذ الاجراءات الرسمية لتزويج شكسبير من صحبته آن هاثاواي ! وكانت العروس تكبر عريسها بثمانية اعوام ، ومنذ البداية كان زواجهما رباطا تفسا . وقد حذر شكسبير فيما بعد قراء رواياته الرجل من ان يتزوجوا نساء يكبرهم في السن ! .. والواقع ان شكسبير لم يقض مع زوجته الا وقتا ضئيلا للغاية ، اما اكثر ايام حياته الزوجية فقد صار يقضيها في لندن ، بحيث لم يكن يعود الى أسرته الا نحو مرة كل عام !

♦ واليوم تعتبر بلدة « ستراتفورد اون افون » من اجمل بلدان انجلترا ، بحدائقها الغناء ، وبيوتها الصغيرة الانيقة ، وشوارعها الملتوية الظرفية .. لكنها في ايام شكسبير كانت قدرة يعمرها الفقر وتجتاحها الامراض والابوثة ، اذ لم يكن فيها انايب للمجاري . وكانت الخنازير تعيش في شوارعها الرئيسية فسادا وتلتهم الفضلات . وقد حكم مرة بغرامة على والد شكسبير - الذي كان من موظفي البلدة الرسميين - لانه القى خارج بابه كومة من مخلفات (الاسطبل) !

ولو عقدنا مقارنة بين عصر شكسبير وعصرنا الحاضر ، لادررنا اننا نعيش الان في ايام رخية هنيئة بالقياس الى تلك الايام .. ففي زمن شكسبير كان نصف سكان البلدة يعيشون على البر والاحسان ، كما كان اكثرهم اميين ، بل ان والد شكسبير ووالدته واخته وابنته ثم حفيده .. كانوا جميعا يجهلون مبادئ القراءة والكتابة !

ومن عجائب المفارقات ان الرجل الذي قدرله ان يصبح عنوانا لقوة ومجد الادب الانجليزى ، اضطر الى ترك المدرسة وهو بعد في الثالثة عشرة ، كى يعمل ويعين ابيه الفلاح في حلب البقر ، ورعاية الماشية ، وصنع الزبد ، ودبغ الجلود ! ثم ضاق بحياة الريف فهاجر الى العاصمة (لندن) ، حيث اشتغل حارسا للجياد والعربات امام ابواب المسارح .. ثم انتقل الى داخل المسارح حين احترف التمثيل .. فلم تنقض عليه خمس سنوات حتى كان يربح دخلا لاباس به من مهنته الجديدة ، حتى لقد اشترى اسهما في مسرحين ، وصار يقرض المال مقابل فوائد عالية ! كان ايراده في تلك الفترة نحو ثلاثمائة جنيه في السنة (مع ملاحظة ان القوة الشرائية للنقود كانت يومئذ اكبر منها اليوم بنحو اثني عشر ضعفا !) .. ثم لم يبلغ شكسبير الخامسة والاربعين

حتى كان دخله يتراوح حول الاربعة آلاف من الجنيهات !! وحين مات كان معدودا من الاغنياء بحسب مقاييس ذلك العصر

ولكن ، كم من المال تحسبه ترك لزوجته في وصيته ؟ ولا بنس واحد ! لم يترك لها غير سرير نومه المستعمل .. وحتى هذا لم يفكر فيه الا في آخر لحظة ، فكتبه حشرا بين السطور بعد ان انتهى من صياغة الوصية !

◆ وبعد وفاته بسبع سنوات نشرت مسرحياته لأول مرة في صورة كتب .. وانت تستطيع اليوم الحصول في نيويورك على نسخة من تلك الطبعة الاولى مقابل مبلغ مائتين وخمسين ألفا من الجنيهات ! مع ان شكسبير نفسه لم يقبض اجرا على بعض مسرحياته الخالدة ذاتها - مثل هملت ، او مكبث ، او حلم ليلة صيف - اكثر مما يوازي الآن مائة جنيه للواحدة !

وقد راجت في وقت من الاوقات شائعات - والفت في ذلك عشرات من الكتب - تزعم ان كاتب مسرحيات شكسبير هو سير «فرنسيس بيكون» وليس شكسبير ، وان هذا الاسم الاخير ماهو الا اسم وهمي مستعار اتخذه ليكون ليستر وراءه ، خجلا من ان يكتب نبيل مثله في الحب ، ويمثل مايكتب على المسارح !! وبالتالي تزعم تلك الشائعات ان شكسبير شخص خيالي لم يوجد اصلا !! لكني سألت في ذلك الباحث المحقق «دكتور س . ا . تانباوم» ، الذي ألف عدة كتب عن شكسبير ، فقال ان هناك أدلة قاطعة تؤكد ان مؤلف مسرحيات شكسبير هو «وليم شكسبير» الذي ولد وعاش زمنا في بلدة «ستراتفورد أون أفون» ! وقد طالما وقفت أمام قبر شكسبير ، اردت تلك العبارات المفزعة التي كتبها هو على قبر أحد أبطال رواياته : «أيها المار ترفق فلاتحفر هذا التراب .. فلتباركك السماء اذا تجنبت المساس بهذه الاحجار ، ولتلعنك اذا جرؤت على تحريك عظامي !»

وعندما مات شكسبير ، دفن في كنيسة بلدته الصغيرة «ستراتفورد» ، امام منبر الواعظ .. فهل أعطوه مكن الصدارة والشرف ذاك تقديرا لعبقريته ؟ كلا ، بل ان الشاعر الذي صار فيما بعد قطب الادب الانجليزي وعماده الاول ، انما دفن في تلك الكنيسة لانه كان يقرض الاموال لاهل بلدته .. ولولم يفعل ذلك مبتكر شخصية المراهبي شايلاوك - تاجر البندقية - لكانت عظامه اليوم ضائعة المعالم في قبر لا يعرف احد مكانه !

ه - زهاروف : تاجر الموت !

◆ هناك رجال ، مثل روكفيلر ، ينجحون في حياتهم ويجمعون الثروات عن طريق التزام مبادئ الشرف والاستقامة ، والسعى الى الخير .. لكن من الناس من يجمع المال - ولاقول ينجح في الحياة ، فبئس هذا النجاح ! - عن طريق تجاهل كل مبادئ الشرف والاستقامة ، والسعى الى الشر !

ومن هؤلاء النفر الاخير : بازيل زهاروف !

وقد كان زهاروف من اغنى البشر الذين دبوا على هذه الارض ، لكنه كان ايضا من اكثرهم غموضا ، واستحقاقا للعنات التي صار هدفا لها - حتى لقد رصدت في سنة ١٩٢٦ جائزة قدرها عشرون الف جنيه لاي انسان يتمكن من اغتياله !! والفت عنه عشرات الكتب ، باعتباره « ظاهرة » من اعجب ظواهر الريبة في المحيط الدولي ، والبغضاء من اهل وطنه !

وقد استقبل زهاروف الحياة في اسوأ حال من الفقر المدقع .. لكنه ودعها وهو يملك ثروة من أضخم الثروات التي جمعت على الارض !! وقد جمعها عن طريق بيع اسلحة الموت من المدافع والبنادق الرشاشة والمفرقات !! ولعل من اصدق وأبلغ ما قيل فيه هذه العبارة التي صدر بها احدهم كتابه الذي ألفه عن زهاروف : « ان قبور مليون رجل سوف تكون ضريحه ، واناتهم ساعة النزع سوف تكون رثاءه ! »

◆ كان زهاروف في الثامنة والعشرين حين حصل على وظيفة سمسار لاحد تجار الاسلحة والدخائر ، مقابل مرتب قدره عشرون جنيها ، تضاف اليها العمولة . وكان يعيش وقتئذ في بلاد اليونان ، وادرك ان السبيل الوحيد لبيع السلاح هو خلق الحاجة اليه .. فهداه تفكيره الشيطاني الى ان يعمد الى اثارة مخاوف اليونانيين من الدول المجاورة لهم . قال لهم انهم محاطون باعداء متعطشين للدماء ، وانهم يجب ان يشتروا الاسلحة للدفاع والذود عن وطن آبائهم .. فاجتاحت البلاد موجة من الحماسة والانفعال ، تالفت في ظلها العصابات الوطنية .. وخفقت الاعلام .. واستثار الخطباء حمية الجماهير وحثوا الشعب على التاهب للقتال .. فصاعفت اليونان جيشها وزودته بغواصة (من اول الغواصات التي بنيت للحرب !) ، واشترت ذلك كله من .. زهاروف !



واذ جمع زهاروف ثروة من العمولة
التي تقاضاها نظير الكميات الهائلة التي
باعها من الاسلحة ، شد رحاله الى تركيا ،
حيث هرع من فوره الى المسؤولين
الاتراك يقول لهم : « انظروا ما يفعله
اليونانيون .. انهم يعدون العدة كي
يشنوا عليكم حربا يمسحون بها بلادكم
من خريطة العالم ! » .. فاشترى الاتراك
بدل القواصة غواصتين ، وهكذا بدأ
سباق التسليح الرهيب بين
الدولتين ! .. وبذلك احترف زهاروف

هذه المهنة التي قدر لها ان تدر عليه اكثر من ستين مليونا من الجنيهات ..
المخضبة بالدم !

وعاش زهاروف اكثر من نصف قرن يلهب بدسائسه مخاوف الدول ،
ويسلح الجيوش ، ويساهم في اشعال نيران الحروب المدمرة ! .. وخلال الحرب
الروسية اليابانية باع اسلحته لكلا الفريقين ! .. وخلال الحرب الامريكية
الاسبانية باع الرصاص الذي قتل الجنود الامريكيين .. وعندما نشبت الحرب
العالمية الاولى كان يملك أسهما في مصانع الذخيرة في كل من المانيا ،
وانجلترا ، وايطاليا ، وفرنسا ! وهكذا تضخم ثروته بصورة تفوق كل خيال ..
وطيلة نصف قرن ، دأب على التسلل بين اروقة وزارات الحربية في
مختلف الدول الاوربية بنعومة الحية وهدوء القطة ، مغلفا حركاته بنطاق صارم
من التكتم والسرية ! .. وكان يستخدم رجلين يشبهانه في الشكل والصورة
الى درجة عجيبة ، كان عملهما الوحيد ان يظهر الواحد منهما في المحافل العامة ،
فتنشر الصحف ان زهاروف موجود في برلين او مونت كارلو ، في الوقت الذي
يكون فيه زهاروف الحقيقي في عاصمة اخرى ، يباشر احدى مؤامراته السرية !
وكان يكره ان تلتقط له صور أو تؤخذ منه احاديث .. ولم يحدث ان
اوضح للصحف موضوعا يثور حوله الجدل ويتصل بشخصه ، ولا دفع عن نفسه

يوما تهمة أوهاجم خصما أوالقى بالا الى الحملات التي كانت تشن عليه بين الحين والآخر !

♦ وقد أحب زهاروف - وكان في السادسة والعشرين ، وسيما ، انيقا ، خلايا - فتاة حسنة في السابعة عشرة ، التقى بها في القطار أثناء رحلة له من اثينا الى باريس . وعرض عليها أن يتزوجا فورا بمجرد وصولهما . . . لكن الفتاة كانت لسوء الحظ متزوجة بالفعل من نبيل اسباني نصف مجنون ، وفي عمر أبيها . . . وكان الطلاق مستحيلا بحكم مذهبها الكاثوليكي ، فلبث زهاروف ينتظر موت زوجها ، وهو يهدد حبها في قلبه ، زهاء نصف قرن ! . . . وأخيرا مات زوجها في مصحة للأمراض العقلية سنة ١٩٢٣ ، فتزوجت في العام التالي من زهاروف : وكانت قد بلغت الخامسة والستين ، وأشرف هو على الرابعة والسبعين ! . . . لكنها لم تلبث أن ماتت بعد عام ونصف عام ، بعد أن عاشت عشيقا له ثمانية وأربعين عاما ، وزوجة له ثمانية عشر شهرا !

♦ وقد عاش زهاروف يقضى أشهر الصيف في قصر رائع بالقرب من باريس ، وهو الذي ولد في كوخ من الطين لانوافذله ، في إحدى قرى تركيا ، وقضى سنوات طفولته ينام على الأرض القدرة بعد أن يلف قدميه بالخرق البالية كي يكفل لها بعض الدفء ! وكم من ليال أوى فيها الى « فراشه » ذاك ، طاويا بطنه على الفراغ والجوع الموجعين !

ولم يتردد زهاروف على المدارس غير خمس سنوات ، لكنه فيما بعد صار يتكلم بأربع عشرة لغة . . . ثم خلعت عليه جامعة أكسفورد لقب الدكتوراه الفخرية في القانون المدني ! . . . ومن عجائب المفارقات أنه في المرة الأولى التي وطأت فيها قدماه مدينة لندن القى في السجن بتهمة السرقة . . . وبعد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ انعم عليه ملك انجلترا بلقب « سير » !

وقد حدث ذات يوم من صيف سنة ١٩٠٩ أن كان « رجل أوروبا الغامض » - كما أطلق على زهاروف - يسير في حديقة الحيوان الكبرى بباريس ، فزعجه أن يلاحظ أن القردة جائعة ، وأن أشهر أسد في الحديقة يشكو الروماتيزم . . . فقابل زهاروف مدير الحديقة ونهره بشدة على إهماله ، واذ ذاك أجابه هذا - وهو لا يدري أنه يخاطب شخصا من أغنى أغنياء العالم - بأنه لا يملك النصف

مليون فرنك اللازمة له كي يعتنى بالحيوانات على الوجه الاكمل !! فما كان من الرجل الذى قتلت أسلحته أكثر من مليون جندي ، الا أن اخرج دفتر شيكاته وحرر للمدير شيكا بعشرين ألف جنيه ثم سلمه اليه كي ينفق المبلغ على حيوانات الحديقة !! لكن المدير ، الذى عجز عن قراءة توقيع زهاروف السريع وبالتالي عن معرفة شخصيته ، ظن أن محدثه يمزح .. فوضع الشيك جانبا وأهمل أمره . وبعد شهور عرضه مصادفة على صديق له ، وكم كانت دهشته عندما تبين هذا أن محرر الشيك هو أغنى رجل فى فرنسا !

◆ وحين مات زهاروف كان فى الخامسة والثمانين ، وكان قد عاش أيامه الاخيرة وحيدا ، مريضا ، يجلس على مقعد ذى عجلات تجره به خادمتـه ، وقد تركزت هوايته الوحيدة الباقية فى تأمل الورود الجميلة التى تزخر بها حديقته ..

وكان قد حرص طيلة حياته على تسجيل مذكراته وخوابره اليومية فى مفكرات ، بلغ مجموعها فى نهاية نصف قرن ثلاثا وخمسين مفكرة .. لكنه أمر باحراق هذه « السجلات السرية » جميعا بمجرد وفاته ! ومن يدري أية أسرار كانت تخفيها مفكرات تاجر الموت ؟

(اقرأ فى العدد القادم سيرا شائقة لشخصيات عالمية أخرى تحدث عنها «كارنيجي» فى نفس الكتاب)



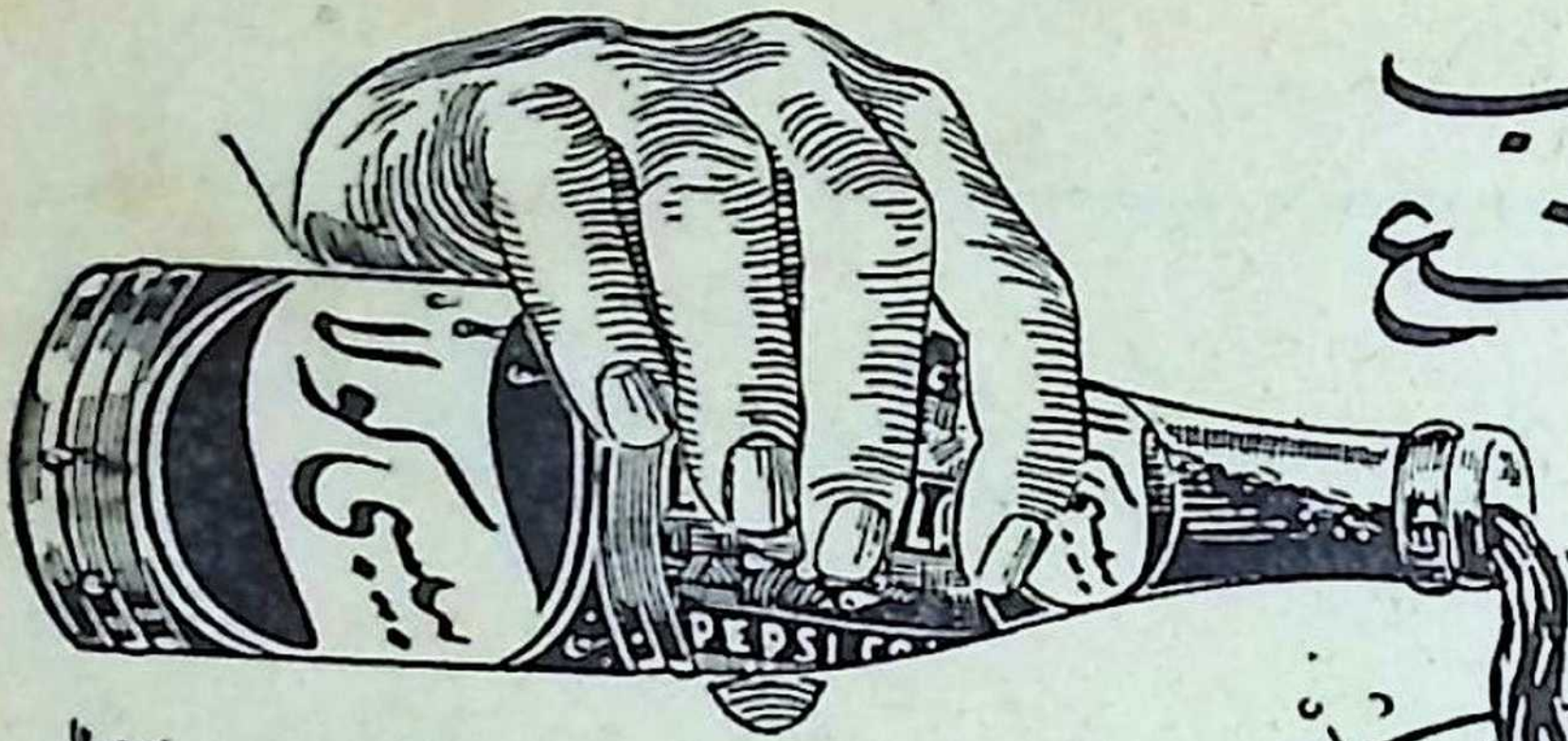
محتويات الكتاب

صفحة

الموضوع

- مذكرات كيوييد : قصة مصرية للمحرر ٥
- عند ما ترفع الستار : روائع المسرح العالمى ٣٨
- كلام الناس : قصة تمثيلية كبرى من المسرح الاسباني ٣٩
- خوافز الحياة : النفس والجنس والمجتمع ٥٠
- فن الزواج : للكاتب الكبير اندريه مورو ٥١
- الجريمة والعقاب : المحاكمات الكبرى فى الماضى والحاضر ٧٠
- محاكمة دريفوس : أشهر قضايا الفساد والتطهير ... ٧١
- كتب الاولون : كنوز الكتب القديمة ٩٦
- يوتوبيا (الدولة المثالية) : توماس مور ٩٧
- حدث ذات يوم : من قصص التاريخ وماآسيه ١٢٢
- مأساة ملكة : سيرة فاضحة من مخازى الملوك الغاشمين ١٢٣
- الحياة قصة : روائع القصص العالمى ١٤٠
- أيام بومبى الاخيرة : لورد ليتون ١٤١
- اقرأ معى : كتاب الشهر ١٥٨
- كيف نجحوا فى الحياة : (روكفيللر ، سومرست موم ،
وليم هيرست ، شكسبير ، زهاروف) للكاتب الامريكى
الاشهر « ديل كارنيجى » ١٥٩

المرطب
الممتع



لذيذة
فوّارة



معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش.م.م

SPMO

الحمار الذي أراد أن يركب صاحبه توما

قال حمار الحكيم "توما":
معي نصفتي الزمان فأركب،
فأنا جاهل بسيط، أما صاحبي
فجاهل مركب....!



افترأ الفرق بين الجاهل البسيط والجاهل المركب

حمار الحكيم

بقلم توفيق الحكيم
مقدمته

أكتوبر ١٩٥٢

كتب للجميع

كنايات

الثامن

"مذكرات كيوسيد" .. ولا كتب عالمية كبرى:

- مذكرات كيوسيد: قصة مصيرة للحر • كلام الناس:
- قصة تمثيلية كبرى من روائع المسرح الإسباني • فن الزواج:
- للكاتب الفرنسي الكبير "انريه موروا" • يوتوبيا (الدولة المثالية): الكتاب الخالد الذي كتب الوهابي في الأدب من صدره وأعدم مؤلفه الصلح السياسي "توماس مور" بأمر الملك الطاغية هنري الثامن • أيام "يوسيف الأفعيرة": من روائع القصص العالمي • قضية دريفوس:
- أشهر محاكمات "الطهرية" في فرنسا • فضيحة طلاق الملكة كارولين: من قصص الملوك ومخازيرهم • كتاب الشهر: كيف نجحوا في الحياة - للكاتب الأمريكي الأشهر "ديل كاسنيجي" .. الخ